الجمهوريـــة الجزائرية الديمقـــراطية الشعبـــية

وزارة التعلـــيم العـــالي والبـــحث العلمي

المركز الجامعي أحمد زبانة غليزن

معهد الأدب واللغات

قسم اللغة العربية

مشروع التكوين في الطور الثالث

اللسانيات العربية المقارنة

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه (ل. م. د) موسومة بـ:

التشكلات الصوتية لبنية الخطاب القرآني في ظل أطروحات السند الإعجازي

إعداد الطالب :

رقيق إسماعيل

إشراف الأستاذ :

ابراهيمي بوداود

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د/ عطاطفة بن عودة	أستاذ التعليم العالي	المركز الجامعي أحمد زبانة غليزان	رئيسا
أ.د/ ابراهيمي بـــوداود	أستاذ التعليم العالي	المركز الجامعي أحمد زبانة غليزان	مشرفا ومقررا
أد/ آيت حمادوش فريدة	أستاذ التعليم العالي	جامعة أحمد بن بلة – وهران1-	مناقشا
أد. طـــاطـــة بن قـــرمـــاز	أستاذ التعليم العالي	جامعة حسيبة بن بوعلي- شلف-	مناقشا
د.بن شيحة نصيرة	أستاذ محاضر -أ-	المركز الجامعي أحمد زبانة غليزان	مناقشا
د.ناعوس بن يحي	أستاذ محاضر -أ-	المركز الجامعي أحمد زبانة غليزان	مناقشا

السنة الجامعية

2020/2019

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى من قرن الله طاعتهما بعبادته، وتنهي بلاغة الكلمات عند وصفهما، والديّ

الكريمين.....

إلى من علّمني كيف أقرأ كتاب الله وأحفظه، وأتدبّر معانيه وأغوص ما بين سطوره شيخي

وقرّة عيني...

إلى كلّ من له لهفة لكتاب الله وتعتريه نزوات الوصل والشوق لقداسته .....

إلى كل حافظ متقن متدبّر لكتاب الله تعالى .....

إلى كل من دعا وترجّى لنا بلوغ المقام .....

أهدي ثمرة هذا البحث هؤلاء .....

شكر وعرفان

لا أدري كيف يمكنني أن أؤدّي الأستاذيّ الكريمين " ابراهيمي بوداود " و" بن شيحة

نصيرة " أسمى عبارات الشكر والامتنان وخطاب الثناء والتقدير.

كيف يمكنني مطاولتهما بكثير من أعذب الأذواق وأرفع المجازات وتحوّل الاستعارات ،

وكيف يمكنني أن أؤدّي لهما مؤدَّى من الأداء الذي يبلغ مقامهما السامق الوامق،

قياماً يوافيه تبجيلٌ وتوقيرٌ، واحترامٌ وتقدير....

لك أستاذي وأستاذتي شكراً يليق فضلكما، واحتراما يوازي علمكما وحلمكما معاً .

مقدمة

ممّا لا شك فيه أنّ القرآن هو كلام الله المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، هدى الله به القلوب، وأنزله في أوجز لفظ، وأعذب أسلوب، فأعيت بلاغته البلغاء، وأسكتت فصاحته الفصحاء، وأبهرت حكمته الحكماء، وأذهلت روعته الخطباء، فهو الحجة البالغة، والدلالة الدامغة، والنعمة الباقية، والعصمة الواقية، وهو شفاء الصدور، والحكم العدل فيما أحكم وتشابه من الأمور.

والقرآن الكريم ورد مورود، وخطاب إلهي بليغ، أعجز الله به العرب فصحاء اللسان المبين، فلم يستطيعوا إلى مجاراته سبيلا، كونُه كتاب العربية الأوّل، صلته بها وثيق لا انفصام لها، وهو معيار فصاحتها ومصدر قوّتها، وفيه انصهرت لهجاتها، وتوحّدت في لسان مبين، ومنه استمدّت معظم علوم العربية أصولها ومن أجله وضعت قوانينها، إذ أنّ نشأة الدّرس اللّغوي عند العرب كانت في رحابه بغية فهمه وترتيله على الضوابط التي سنّها الشارع، فهو رسالة لغوية وسر المعرفة الكونية.

وبذلك، فإن القرآن الكريم يتشكل مجاله الإعجازي اللغوي، بفعل الاتساق الإيقاعي والدلالي بين وحداته التركيبية، التي تنبثق من بؤرة الصوت، بوصفه المكون التركيبي القاعدي الذي يفضي إلى تشكل معالم الأنساق الصرفية والتركيبية والأسلوبية، وبوصفه معلما نطقيا وفيزيائيا يعكس مختلف التمظهرات الصوتية والإيقاعية والانفعالية لقارئ القرآن.

ومن ثم، اكتسب المكون الصوتي للخطاب القرآني ملمحا تأثيريا مضاعفا، لكونه يندرج ضمن نسق تركيبي معجز، تتبدّى قيمه الإيقاعية والدلالية الإيحائية، التي تبعث على التأمل والتدبر على الصعيدين الخطابي والنصي، فكان أن جمع القرآن بين البعد

التأثيري للصوت المنطوق ضمن محيط تداولي يجمع بين مرسل (قارئ القرآن) ومتلق (المستمع للخطاب القرآني) ، والقراءة الفردية التي تتحد فيها شخصية المقرئ مع المتلقي، لتقدم كينونة خاصة تتفاعل مع حروف النص القرآني.

ضمن هذا المسلك من الطرح، اكتنز الخطاب القرآني ظواهر صوتية شديدة الخصوصية، لكونها ترتبط بسمة الإعجاز التي يتصف بها، وهو ما دفع علماء اللغة –قدماء ومحدثين– للالتفات إلى مختلف التمظهرات التي يفضي إليها التركيب الصوتي القرآني، سواء كانت هذه التمظهرات مفردة، أم مركبة، وتحديد خصوصية الاشتغال الصوتي التي ينهض عليها الخطاب القرآني.

تماشيا مع هذا التصور، انبثقت المقاربات اللغوية التراثية لتؤسس لمشروع بحثي شمولي، يتقصى مختلف التشكلات النسقية والتمظهرات السياقية التي يندرج فيها المكون اللغوي القرآني، وقد كان المكون الصوتي أحد المكونات التي حرص القدماء على تجلية ملامحها المادية والتأثيرية ضمن النسق التركيبي القرآني، معتمدين في ذلك على الكفاءة النموذجية التي تأسست عليها المنظومة اللغوية التراثية برمتها.

وبذلك تشكلت معالم المقاربة الصوتية لدى علماء اللغة، وتحددت قواعدها باستشراف آفاق التحليل الوصفي للمكونات الصوتية، باللجوء إلى إمكانات التحليل الذاتي، بدءا من مقاربة "**أبي الأسود الدؤلي**" باعتبارها نقطة انطلاق بحثية مهّدت لتأسيس آفاق بحثية أعمق، سعت إلى بناء منظومة صوتية صلبة، تنهض على الروافد المعرفية لعلم الأصوات (**فونتيك– فونولوجيا**)، وهو ما تكشّفت ملامحه لدى علماء اللغة والقراءات والبلاغة.

وإذا كانت المعرفة الصوتية التراثية، ارتهنت إلى إجرائية التحليل الذاتي، لغياب التقنية الرقمية، فإن المقولات الصوتية التراثية، ما انفكت تتقاطع مع بعض التصورات الحديثة التي أفرزتها مختلف التحولات المنهجية والإجرائية والمعرفية التي شهدتها اللسانيات الحديثة، وما تمخض عنها من مقاربات صوتية، تشكلت معالمها بفعل التوجه المنهجي الذي انساقت فيه النظرية الصوتية بشقيها الفونتيكي والفونولوجي.

في ظل هذه الدعائم المتباينة، بين الروافد الصوتية العربية التراثية والغربية الحديثة، كان لزاما على الممارسات الصوتية العربية التي تشتغل على تجلية مكامن الإعجاز في الخطاب القرآني، أن تواكب مختلف التحولات المنهجية والإجرائية التي شهدتها النظرية الصوتية الغربية، وأن تؤسس لمقاربة صوتية توافقية، تنهض على سند منهجي يستقي مرتكزاته من الرافدين –التراثي والحداثي– لصياغة المعالم النظرية والإجرائية لصوتيات الخطاب القرآني، بالارتهان إلى إجرائية التحليل التي تتوافق فيها منهجية المقاربة مع الخصوصية الإعجازية التي يتسم بها الخطاب القرآني.

بناء على هذه المسارات المعرفية التي شهدتها الدراسات الصوتية العربية التي حرصت على احتواء صوتيات الخطاب القرآني، انبثقت الملامح الأولية لهذه المقاربة، فكان أن عمدنا إلى حصر مجمل المقولات الصوتية التي اخترقت الفضاء الإعجازي للخطاب القرآني.

تماشيا مع هذا المسعى، وبالتساند مع الاستقطاب المعرفي الذي حرص السادة الأساتذة القائمين على مشروع الدكتوراه الموسوم بـ: "**اللسانيات العربية المقارنة**"

على تفعيله، تولدت لدينا رغبة ملّحة لولوج عالم الخطاب القرآني، واستشراف فضائه الصوتي، فكان أن وقع اختيارنا على هذا الموضوع الذي وسمناه بـــ:

التشكلات الصوتية لبنية الخطاب القرآني في ظل أطروحات السند الإعجازي

وقد تكشفت معالم هذا العنوان إثر انبثاق إشكالية البحث، التي ما انفكت تراودنا بدءا من لحظة الانكشاف على القيمة التأثيرية للصوت اللغوي، إن على الصعيد الأسلوبي أم الإيقاعي، والذي يتخطى البعد المادي الجاف بتفاصيله الفيزيولوجية والفيزيائية المحضة، وصولا إلى ترصّد الأطروحات التي احتوت المجال الصوتي الحديث، سواء ما أفرزته الدراسة الأكوستيكية المحضة، أو ما أحاطت به أبحاث الذكاء الاصطناعي، فكان أن انبثقت إشكالية هذا البحث على النحو الآتي:

- ما هي المرتكزات المنهجية والإجرائية التي اتكأت عليها المقاربات الصوتية التراثية، التي راودت الخطاب القرآني؟
- إلى أي مدى يمكن استثمار التباين الحاصل بين استراتيجية التحليل الصوتي التراثي والحداثي للخطاب القرآني وتفعيل مغريات كل منهما قصد استجلاء طبيعة التشكلات الصوتية لبنية الخطاب القرآني والوقوف على أبعادها الإعجازية؟.
- هل يمكن تأسيس مقاربة صوتية للخطاب القرآني، تستفيد من الأطروحات التي تمخضت عن التحولات المنهجية والإجرائية التي افرزتها اللسانيات الغربية؟.
- مهل يمكن تأسيس مقاربة صوتية توافقية، تنهض على التراكم المعرفي التراثي، وتسفيد من المنجز الصوتي الغربي؟.

وقد اقتضت منّا المعالجة التحليلية لهذه الإشكالية نسقا بنائيا معيّنا، انقسمت على إثره أركان البحث إلى مقدمة ومدخل وثلاث فصول، توخينا من خلالها الإحاطة بالأبعاد الصوتية ذات الأفق الإعجازي الذي طبع النسيج الصوتي للخطاب القرآني، بتوضيح صفات الأصوات وخصائصها ومدى انسجام مخارجها، واستنباط استراتيجية التحليل الفونيتيكي والفونولوجي للخطاب القرآني، إضافة إلى إحالة المعطيات النظرية للجانب التطبيقي من البحث للدراسة المخبرية.

ومن ثم، جاءت المقدّمة لتحدد الإطار العام لموضوع البحث، بتحديد الإشكالية والمنهج الذي اعتمدناه في الدراسة.

أمّا المدخل فقد حرصنا الوقوف فيه على " **المقولات المركزية للإعجاز القرآني بين الدرس اللغوي القديم والحديث**"، إذ تطرقنا فيه إلى أقوال العلماء عن الإعجاز القرآني، قصد تبيان أوجه الإعجاز من منظور العلماء من ناحية لفظه ومعناه ونظمه، إضافة إلى بعض الأطروحات التي أحاطت بتجليات الإعجاز اللغوي.

وبعد المدخل جاء الفصل الأوّل الموسوم بـ: "**مقتضيات التنظير الفونتيكي للبنية الصوتية في الخطاب القرآني**"، وهو ما استدعى منّا الحديث عن استراتيجية التحليل الفونتيكي للخطاب القرآني، واستحضار مجمل المقولات الصوتية التي اعتمدت على النسق اللغوي الذي ينهض عليه التركيب الإعجازي للخطاب القرآني، وهو مطلب استوجب منّا الحرص على انتقاء المدونة الصوتية العربية التي تطرقت إلى القضايا الفونتيكية للصوت في الخطاب القرآني.

أمّا الفصل الثاني فقد وردت مقولاته تتوخى الإحاطة بـــ: "**نماذج التنظير الفونولوجي للخطاب القرآني بين النزعة النسقي والصوائتة التطريزية**"، إذ تطرقنا فيه إلى الظواهر التطريزية في الخطاب القرآني، ووقفنا على ظاهرتي النبر والتنغيم، حيث حرصنا على تحديد دلالة النبر وأقسامه التي اختُصرت على ثلاثة أنواع، وهي: نبر الكلمة، ونبر الجملة، والنبر الانفعالي، ثم انتقلنا إلى الحديث عن التنغيم وتجليّاته في الخطاب القرآني، بدءًا بالوقوف على مفهوم التنغيم والانتقال إلى ملامحه في الدّرس اللغوي العربي، ثم الإحالة على علاقة التنغيم بالإيقاع، ودلالته مرتبطا بالتنغيم، وعلاقة الوقف بالتنغيم، لتكون نهاية الفصل بيانا لدلالة التنغيم في الخطاب القرآني.

في حين، توجّه الفصل الثالث للكشف عن "**طبيعة المقاربة الصوتية للخطاب القرآني في رحاب الذكاء الاصطناعي**" بالتطرق إلى طبيعة المقاربة الصوتية العربية في ظل الذكاء الاصطناعي، وذلك بتعقّب الجانب الذهني لعملية التصويت، ثم الانتقال إلى الدراسات الصوتية التي تتبع الجانب البرمجي للصوت في الخطاب القرآني، مرفوقة بصور طيفية لآيات قرآنية تمّت قراءتها قراءة أكوستيكية وفق البرنامج المعتمد .

وفي الختام، اتجهت الدراسة صوب حصر مجمل القضايا والأطروحات التي وقفنا عليها، والمقاربات التي استشرفنا آفاقها.

ولاشك أن هذه الدراسة ما كان لها أن تستقيم على عودها، لولا مجموعة من المصادر والمراجع التي أعانتنا على تقصّي الآفاق الجمالية والإعجازية للصوت اللغوي في الخطاب القرآني، نذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر بعد القرآن الكريم براوية حفص:

- معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي
- الخصائص لابن جنّي
- قضايا إبستمولوجية في اللسانيات لحافظ إسماعيل علوي
- الصوت اللغوي في القرآن لمحمد حسين علي الصغير
- التصوير الفني في القرآن لسيد قطب.
- في ظلال القرآن لسيد قطب.
- في الصوتيات العربية والغربية، أبعاد التصنيف الفونتيقي ونماذج التنظير الفونولوجي، لمصطفى بوعناني
- القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، لأحمد البايبي
- دراسة الصوت اللغوي لأحمد مختار عمر

وقد استعنا في ذلك، الآليات المعتمدة في المنهج الوصفي التحليلي لصياغة ملامح هذا المشروع العلمي.

أمّا عن أسباب اختيار الموضوع ودوافعه، فتكمن في إيماني بأنّ موضوع هذا البحث من أجلّ ما يصرفُ فيه طالب العلم وقته وجهده، ذلك لأنّه مرتبط بكلام الله عزّ وجّل، ويقيني الكامل بأنّ هذا الكتاب هو خيرُ بحر يكشف عن جمال أصوات اللّغة العربية، إذ يُعدّ القرآن أوّل مصادرها، وإبراز أهم الجوانب الصوتية التي تُميّز كلام الله عن غيره من الكلام، والمتعلّقة بإظهار ميزة الإيقاع والتّطريب والبنية الصوتية في الخطاب القرآني.

ولاشك أن أيّ بحث علمي لا يخلو من الصعوبات التي قد تعيق مساره ، وليس بمنأى عنها، وقد تعترض الباحث صعوبات ومشقّات تستوجب منه الركون إلى الله والتشبّث بحبله المتين، والصبّر كلّ الصّبر للوصول، وقد تمّ لنا ذلك بفضل الله وتوفيقه، بعد أن واجهتنا صعوبات أثناء عملية التحليل الأكوستيكي، شقّت علينا فترة من الزّمن، ولكنّنا استطعنا تجاوزها بالبحث والإصرار والاجتهاد، حتى تمكنّا من وضع البحث ضمن مساره السليم.

وبعد، فهذا كلّ ما استطعت إليه من سبيل في إخراج البحث على هذه الصورة، وأخلصت فيه لله قصدي، ومع ذلك لا أجدني أشعر أو أزعم بأنّ هذا البحث قد بلغ الغاية في تقصي كلّ الظواهر والتجليات الإعجازية التي حملها الخطاب القرآني، من دقائق وأسرار، فلولا الاقتصار على منهج البحث والاختصار لذهب الوقت دون بلوغ الغاية.

ولاشك أن هذا البحث لا يعدّ إلاّ بداية ومحاولة جادّة، توخينا فيها الإحاطة بمختلف الإشعاعات الإعجازية والجمالية، فإن أصابها التوفيق فبفضل من الله وحده عزّ وجلّ، وإن أخطأنا فمن قصورنا لا تقصيرينا، ومن عجزنا أمام هذا الإعجاز العظيم، والبيان الرفيع، الذي كلّما اقتربنا منه أدركنا جهلنا به، وضعفنا إزاءه، وتعترينا تراكمات بعض الهواجس التي تؤرّق الخاطر وتزعجه، ويبقى الكمال كلّه لله سبحانه، ولا أحد كاملٌ غيره، فإن كان هناك خللٌ أو نقص فلا سبيل لنا إلاّ تمثّل بيت الحريري القائل:

وإِنْ تَجِدْ عَيْباً فَسُدّا الخَلَلا *** فَجلَّ مَن لاَ عَيْبَ فِيهِ وَعَلاَ

وفي الأخير، أحمد الله تعالى على أن هيّأ لي فرصة البحث، وأعانني على إنجازه وإتمامه، كما لا يفوتني في مقام الذكر هذا أن أنزاح إجلالا وتوقيرا واحتراما لأستاذي المشرف "**الأستاذ الدكتور بوداود براهيمي**" المشرف الرئيسي على هذا البحث، والذي لم يبخل علي بتوجيهاته وحرصه الشديد في توجيه البحث إلى الوجهة السليمة المنهجة، ولا أجدني في النهاية قادرا على توفية أستاذتي الفاضلة " **الدكتورة بن شيحة نصيرة**" التي تفضّلت على أن تكون مساعدة في الإشراف وعونا لي على إنجاز وإتمام هذا البحث من بدايته إلى نهايته، فقد حظيت بأستاذة كريمة النّصح، والإرشاد والتوجيه، فأسأل الله أن يجزيها خير الجزاء عنّي، وأن يطيل من عمرها في خدمة العلم والقرآن، وأن يزيدها صحّة وعافية، ونورا وعلما وتوفيقا، إنّه سميع قريب مجيب الدّعاء.

كما لا يفوتني أن أشكر اللّجنة الموقّرة، كلّ باسمه ووسمِه ودرجتِه، والتي تحملت مشقّة قراءة البحث، وعلى ما سيقدّمونه لي وللحضور الكريم، من نصائح وتوجيهات وإرشادات، تكون نتاج البحث وخلاصته من خلال خبرتهم وممارستهم العلمية والعملية لمثل هذه البحوث.

وختاما أحمد الله العظيم وأشكر فضله، وأدعوه أن يكلّل مسعانا بالنّجاح والقبول والتوفيق، وأن ينفع به أهل العلم والبحث، وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد النّبيّ الأكرم وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليما.

الطالب: رقيق إسماعيل

غليزان في: 2020/06/16

المدخل

المقولات المركزية للإعجاز القرآني بين الدرس اللغوي القديم والحديث

ميّز الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم بخطاب إلهي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فكان الآية الكبرى التي دلّت على صدقه ولا زالت حجة قائمة، فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قال: « ما من الأنبياء نبي إلاّ أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة»"[1].

واستنادا إلى ما سبق، أمر الله سبحانه نبيه بإعلان التحدي للمعارضين والمكذبين من أهل قريش وغيرهم بأن يأتوا بعشر سور من جنس القرآن الكريم، أو سورة واحدة من مثله على الأقل، فجاءت آيات التحدي في كتاب الله تعالى في عدة مواضع على نحو ما نلفيه في قوله تعالى: ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾** ﴾"[2].

إن المتمعن في الآيات الكريمة يلمح تدرّجا في التحدّي تكشّف بدءا بالتصعيد في وتيرة التحدي، حيث افتتحه بعشر سور ليتدنّى لاحقا إلى سورة واحدة، وهو ما تبدّى من خلال قوله تعالى: ﴿ **وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾** ﴾"[3].

1- محمد بن اسماعيل البخاري، كتاب فضائل القرآن، دار ابن كثير، دمشق، سورية، ط1، 2003، حديث رقم(4981)، ص: 73/12.

2- سورة هود، [الآية: 14].

3- سورة البقرة، [الآية: 23].

وعليه انبرت هذه الآية لتكون تحديا صارخا لهم، يعلن صراحة عن عجزهم وانهزامهم إزاء الإتيان بآية شبيهة لآيات القرآن الكريم، وقد أشار "**محمد عبد الله درّاز**" في قوله تعالى: ﴿**مِّن مِّثْلِهِۦ**﴾ إحالة إلى المقاربة لا المماثلة أو المطابقة، وكأنّه يقول: «لا أكلفكم بالمماثلة العامة بل حسبكم أن تأتوا بشيء في جنس المماثلة ومطلقها، وبما يكون مثلا على التقريب لا التحديد، وهذا أقصى ما يمكن التنزّل، ولذا كان هو آخر صيغ التحدّي نزولا»"[1]".

وأمام هذا العجز الظاهر ألفينا فصحاء العرب وقريش يقفون وقفة العاجز المنبهر صوب هذا التحدي، والإعلان المتهكم بهم وهم ممّن خُصّوا بالبلاغة والفصاحة، « يروى أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن، فكأنّه رقّ له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال له: يا عمّ، إنّ قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ليعطوه لك، فإنّك أتيت محمدا لتعرض لما قبله (أي لتنال من فضله) فقال الوليد، لقد علمت قريش أني من أكثرها مالا، فقال له أبو جهل: فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له، قال وماذا أقول ؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني، لا برجزه، ولا بقصيده، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه هذا الذي يقول شيئا من هذا، ووالله إن لقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو وما يعلى عليه ...فقال أبو جهل اللعين: والله ما يرضى قومك حتى تقول فيه، فقال: فدعني أفكر، فلمّا فكّر قال: « إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ »"[2]"، فنزل فيه قول الله تعالى: ﴿**ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ﴿١١﴾ وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ﴿١٢﴾**﴾"[3]"، إلى قوله: ﴿**إِنَّهُۥ فَكَّرَ**

1- محمد عبد الله درّاز، النبأ العظيم، دار القلم، الكويت، 1957، ص: 84.

2 - محمد علي الصابوني، التبيان في علوم القرآن، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ط3، 1986، ص: 102.

3 - سورة المدثر، [الآية: 12].

وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ ﴾"[1]".

ثم ما لبث الأمر، حتى ظهرت آراء المعتزلة الذين مزجوا بين الدين والفلسفة وتفرّقوا إلى فرق اختلفت فيها آراءهم حول قضية الإعجاز، فكانت جملة من الأساطير التي اكتتبوها، إذ زعموا « أن الإعجاز بالصرفة، أي أن الله صرف العرب عن معارضته، وسلب عقولهم، وكان مقدورا لهم، لكن أعاقهم أمر خارجي فصار كسائر المعجزات»"[2]".

وأنكر لفيف من العلماء هذا القول ونبذوه، وقد تصدّى الجاحظ لهذا الفكر التضليلي، فأورد في كتابه "**الحيوان**" و"**البيان**" أدلّة واضحة نلمس فيها الدّفاع عن بلاغة القرآن وإثبات الإعجاز فيه ببراهين تدحض اعتقادهم بالصرفة، وردّها في العلّة إلى أنّ الله صرف أوهام الناس عنها، ورفع ذلك القصد من صدورهم ثم عدّ منها: « ما رفع من أوهام العرب وصرف نفوسهم عن المعارضة لقرآنه، بعد أن تحدّاهم الرسول بنظمه »"[3]".

ومما نقله الإمام "**عبد القاهر الجرجاني**" للجاحظ في ذكر إعجاز القرآن الكريم قوله: « ولو أن رجلا قرأ من خطبائهم وبلغائهم سورة قصيرة أو طويلة لتبين له في

1 – سورة المدثر، [الآية: 18 – 25].

2 – جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1988، ج4، ص: 706.

3–مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1927، ص146– 147.

نظامها ومخرجها من لفظها أنه عاجز عن مثلها، ولو تحدّى بها أبلغ العرب لأظهر عجزه عنها»"[1]".

أما إذا انتقلنا إلى الإمام "**الزركشي**"، فنجده قد ترفّع بالقرآن الكريم إلى أعلى مراتب البلاغة وقممها، فنقض القول بالصرفة وأبطله وقد بيّن ذلك في كتابه "**البرهان**"، والتي نجتزئ منها أهم هذه النقاط :

- ✓ أنّ هذا القول باطل فاسد بدليل قوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾"[2]".
- ✓ يلزم من القول بالصرفة زوال الإعجاز عن القرآن بزوال زمان التحدّي، وفي هذا يخلو القرآن عن الإعجاز، ويمنع كون القرآن معجزة للرسول صلى الله عليه وسلّم إلى قيام الساعة.
- ✓ القول بالصرفة يستلزم خرق إجماع الأمة على إعجاز القرآن، حيث أجمعوا على بقاء معجزة الرسول العظمى ولا معجزة له باقية سوى القرآن"[3]".

1-الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تعليق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، (د.ت)، ص: 251.

2 - سورة الإسراء، [الآية: 88].

3 -ينظر، محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط3، 1980، ص: 94.

1-تعريف الإعجاز لغة واصطلاحا:

لغة: جاء في لسان العرب أن الإعجاز من مادة (ع ج ز): « والعجز نقيض الحزم، عجز عن الأمر يعجز وعجز عجزا فيهما، ورجلٌ عجزٌ وعجُزٌ: عاجزٌ. ومرأةٌ عاجزٌ: عاجزةٌ عن الشيء. قال سيبويه: هو المعجز والمعجز، الكسر على النادر والفتح على القياس لأنه مصدر والعجز: الضعف، تقول عجزتُ عن كذا أعجزُ. والمعجزةُ بفتح الجيم وكسرها مفعلة من العجز وهو عدم القدرة، وفي الحديث: كل شيء بقدر حتى العجز والكيس. ومعنى الإعجاز الفوت والسبق، يقال أعجزني فلان أي فاتني، والمعجزة واحدة معجزة الأنبياء عليهم السلام »"[1]".

والإعجاز في اللغة العربية هو نسبة العجز إلى الغير، قال تعالى: ﴿ **قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ** ﴾"[2]"، وتسمى المعجزة في اللغة العربية (معجزة)، لأن البشر يعجزون عن الإتيان بمثلها ، لأنها أمر خارق للعادة خرج عن حدود الأسباب المعروفة »"[3]"، ولا شك أنّ « إعجاز القرآن معناه إثبات عجز البشر – متفرقين ومجتمعين – عن الإتيان بمثله »"[4]".

يتجلّى لنا من خلال هذه المفاهيم السابقة، أن ماهية التعجيز **(إعجاز القرآن)** لا يقصد بها تعجيز البشر لذات التعجيز، فهذا أمر جلي، وإنما المبتغى من ذلك أن إعجاز القرآن حق ساطع ودليل قاطع على مشروعية الكتاب وقداسته، وأنّه مُنزّل من

1- ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1994، ج (5، 369)، مادة عجز .

2 - سورة المائدة، [الآية: 31].

3 - محمد علي الصابوني، التبيان في علوم القرآن، ص: 89.

4 - المرجع نفسه، ص: 89.

ذات عليّا وأنّ من تلقّاه وأوحي إليه صادق ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤﴾"[1]"، وأن هذه المعجزات إنّما هي براهين نورانية تثبت صدق النبوة وقدرة الخالق، وأن ليس بأحد من البشر أيّا كان أن يجاريه في هذا الأمر العجيب فذاك هو معنى الإعجاز والمعجزة.

2-إعجاز القرآن الكريم بين المنظور البلاغي القديم والحديث:

انبثقت الدراسات لاحتواء المجال الإعجازي للقرآن الكريم بمختلف تجلياته وتمظهراته اللفظية منها والمعنوية، فكان أن تباينت الرؤى والتوجهات التحليلية، وتعدّدت الآراء بشأن الإعجاز، وكانت آراء بعض المشكّكين والمعارضين من أهل الإسلام وغيرهم ممّن جاهروا بالتكفير والزيغ، الأثر البالغ في اتّساع مساحة الدرس الإعجازي وعمقه، بعد أن مضى أكثرهم من رؤوس الفرق الإسلامية إلى محاولة طمس معالم هذه القضية وانتحال آراء توهّموا فيها صلابة أهل الحق وعناده، ما فتئت أن تحوّلت إلى أساطير وأضغاث أحلام امّحت بفعل أطروحة وسند إعجازي مؤسّس على يقين ومنطلقات منطقية وعقيدة راسخة بإعجازية هذا الخطاب القرآني.

2-1-ملامح الإعجاز اللغوي القرآني من المنظور البلاغي القديم:

2-1-1-الرماني ونظريته في الإعجاز:

تمكن الرماني من صياغة نظرية في الإعجاز القرآني، أشار من خلالها إلى أن قضايا الإعجاز موزعة على سبعة أوجه وهي: «ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدّة

1 - سورة النجم، [الآية: 2- 4]

الحاجة، والتحدّي للكافة، والصرفة، والبلاغة، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة، ونقض العادة، وقياسه بكل معجزة »"[1]".

وهو في ذلك، يوجه النظر لملامح الإعجاز اللغوي إلى البعد البلاغي، الذي يتموقع فيه النص القرآني في أعلى مراتب الإبداع، وفي ذلك ألفيناه يقول: « فأما البلاغة فهي على ثلاث طبقات:

1- منها ماهو في أعلى طبقة .

2- ومنها ماهو في أدنى طبقة.

3- ومنها ما هو في الوسائط، بين أعلى طبقة وأدنى طبقة.

فما كان في أعلاها طبقة فهو معجز، وهو بلاغة القرآن، وما كان منها دون تلك فهو ممكن كبلاغة البلغاء من الناس »"[2]".

يتجلّى لنا من خلال هذا القول، أن الرماني قد أولى كل تركيزه على الوجه البلاغي والمقدّمُ عنده في ذلك إعجاز القرآن، إذ يقول: « فأعلاها طبقة في الحسن بلاغة القرآن، وأعلى طبقات البلاغة للقرآن خاصة، وأعلى طبقات البلاغة معجز للعرب والعجم كإعجاز الشعر المفحم، فهذا معجز للمفحم خاصة كما أن ذلك معجز للكافة»"[3]".

1- النكت في إعجاز القرآن، للرماني، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح محمد خلف الله أحمد، د. زغلول محمد سلام، ط4، دار المعارف، مصر، ص: 75.

2- ينظر، محمد مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، دار المسلم، الرياض، ط2، 1996، ص: 50-51.

3 - المرجع نفسه، ص: 51.

2-1-2-وجه الإعجاز من منظور الإمام الخطابي:

إن المتأمل في كتاب الخطابي "**بيان إعجاز القرآن**"، يجده قد تطرّق لآراء العلماء الذين سبقوه في الحديث عن الإعجاز القرآني وبلاغته كالرماني والجاحظ، إلاّ أنّنا نجده يضفي مسحة جديدة لمفهوم النظم ووجوه الإعجاز في القرآن وهي عنده تبرز في وجوه ثلاثة إذ يقول: « وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة، لفظ حامل، ومعنى به قائم ورباط لهما ناظم، وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لاترى شيئا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظما أحسن تأليفا وأشد تلاؤما وتشاكلا من نظمه وأمّا المعاني فلا خفاء على ذي عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها والترقي إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها»"[1]".

إلى جانب ذلك، فإنّ الخطابي قد ربط إعجاز القرآن إلى بلاغته التي ترتد لجمال لفظه وحسن نظمه وسمو معانيه، يقول: « إنّ بلاغة القرآن قد أخذت من كل قسم نصيبا، ومن كل نوع شعبة، فانتظم لها بامتزاج هذه الأوصاف نمط واحد من الكلام يجمع صفتي الفخامة والعذوبة، وهما على الانفراد في نعوتهما كالمتضادين، لذلك كان اجتماعهما في نظم القرآن، فضيلة خُصّ بها القرآن »"[2]"، ثم يخلص قائلا: « فتفهّم الآن واعلم أن القرآن إنما صار معجزا لأنه جاء بأحسن الألفاظ، مضمّنا أحسن المعاني»"[3]".

1- الإمام الخطابي، أبو سليمان الخطابي، بيان في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح محمد خلف الله، د.محمد زغلول سلام، ط4، دار المعارف، مصر، ص: 27.

2 - المصدر نفسه، ص: 27.

3 - - المصدر نفسه، ص: 26.

فتتأتّى بذلك معالم الإعجاز عند الخطابي حول اللفظ والمعنى معا، داخل نسق ما يعرف بالنظم الذي زاوج فيه بين فصيح الألفاظ وأحسن نظوم التأليف ليصحّ بذلك المعنى ويستقيم.

وتماشيا مع نفس المنحى، فإن الخطابي قد ساق في طيّات كتابه وتحدّث عن ما يكتنزه الخطاب القرآني من معان تؤثر في النفوس وتستهوي العقول فقال: « إنّ الذي يوجد لهذا الكلام من العذوبة في حسن السامع والهشاشة في نفسه، وما يتحلى به من الرونق والبهجة التي يباين بها سائر الكلام، حتى يكون له هذا الصنيع في القلوب، والتأثير في النفوس، فتصطلح من أجله الألسن على أنه كلام لا يشبهه كلام، ويحصر الأقوال عن معارضته، وتنقطع به الأطماع عنها، أمر لابدّ له من سبب، بوجوده، يجب له هذا الحكم، وبحصوله يستحق هذا الوصف »"[1]".

2-1-3-عبد القاهر الجرجاني والنظم:

اهتم عبد القاهر الجرجاني بقضية الإعجاز ورأى أن وجه الإعجاز يبدو جليا في فكرة "**النظم**"، كون القرآن الكريم يتّسم بنظم مفارق ومخالف « لكل نظم معهود في لسان العرب، فالقرآن الكريم لا يشبهه شيء في نظمه لا من شعر ولا من نثر وذلك بشهادة أساطين البلاغة وأئمة الفصاحة والبيان »"[2]".

1 – محمد رفعت أحمد زنجير، مباحث في البلاغة وإعجاز القرآن الكريم، الكويت، ط1، 2007، ص: 181.

2 –محمد علي الصاوني، التبيان في علوم القرآن، ص: 102.

وفكرة النظم جلية بازغة، تستمدّ جذورها ممّا كتبه النّحاة والبلاغيون قديما، والتي استوت على سوقها بين يدي "**عبد القاهر الجرجاني**" من خلال كتابه "**دلائل الإعجاز**"، الذي أعطى فكرة النظم صورتها الجلية، إذ ميّزها عن باقي الأفكار والنظريات، واستبعد الآراء التي اعتبرت أن إعجاز القرآن الكريم مرهون بفواصله ومقاطعه، فهو معجز في مختلف تجلياته اللغوية والدلالية المنتظمة وفقا لنسق يتّسم بخصوصية متفرّدة. ومن ثمّ ألفينا عبد القاهر الجرجاني يقول: « فإذا بطل أن يكون الوصف الذي أعجزهم عن القرآن في شيء ممّا عدّدناه، لم يبق إلاّ أن يكون في النظم، لأنه ليس من بعد ما أبطلنا أن يكون فيه إلا النظم " و"الاستعارة " ولا يمكن أن تجعل "الاستعارة" الأصل في الإعجاز، وأن يقصر عليها، لأنّ ذلك يؤدي أن يكون الإعجاز في آي معدودة، وإذا امتنع ذلك فيها ثبت أن النظم مكانه الذي ينبغي أن يكون فيه، وإذا تبيّن أنه النظم والتأليف، والنظم ليس شيئا غير توخي معاني النحو، وأحكامه فيما بين الكلم »"[1]".

يتجلى لنا من خلال هذا القول، أن وجه الإعجاز في القرآن هو ما اشتمل عليه من النظم الغريب المخالف لنظم العرب ونثرهم في مطالعه وفواصله ومقاطعه، إذ هو حلقة مترابطة يشد بعضها بعضا، لا يشوبه تناقض أو تعارف، فعبد القاهر الجرجاني إنما أكّد على سرّ الإعجاز وأرجعه إلى النظم ولم يقصره على جانب واحد، فالحرف الواحد من القرآن والكلمة والجملة معجزة في أي موضع منه.

1 – عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تعليق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، (د ت)، ص: 251.

وبناء على العرض السابق، ترسخت قضية الإعجاز، وتأكد وضوحها في الكتاب العظيم، وقد ساق "**عبد القاهر الجرجاني**" جملة من الأمثلة لتكون برهانا ساطعا على شرعية الإعجاز في القرآن وتقريرا لفكرة النظم من خلال قوله تعالى: ﴿**وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ** ﴿٤٤﴾﴾"[1]، إذ يقول: «فتجلى لك منها الإعجاز، وبهرك الذي ترى وتسمع، أنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة، والفضيلة القاهرة، إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض، وأن لم يعرض لها الحسنُ والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثالثة، والثالثة بالرابعة، وهكذا إلى أن تستقريها إلى آخرها، وأن الفضل تنَاتَج ما بينها، وحصل من مجموعها»"[2].

ثم أردف قائلا: « إن شككت فتأمّل: هل ترى لفظة منها بحيث لو أخذت من بين أخواتها وأفردت، لأدت من الفصاحة ما تؤديه وهي في مكانها من الآية؟ قل: ﴿**ٱبۡلَعِي**﴾ واعتبرها وحدها من غير أن تنظر إلى ما قبلها وما بعدها، وكذلك فاعتبر سائر ما يليها»"[3].

2-2-ملامح الإعجاز اللغوي القرآني من منظور المحدثين:

وإذا ما انتقلنا إلى العصر الحديث، فإنّنا نجد قضية الإعجاز قد نالت نصيبا من البحوث والدراسات القيمة لدى جملة من العلماء حاولوا من خلال بحوثهم احتواء مجال الإعجاز القرآني بجلّ تمظهراته وتجلّياته، وأوّل من نقف عنده من شرح لحقيقة الإعجاز

1 - سورة هود، [الآية: 44].

2 - ينظر، محمد رفعت أحمد زنجير، مباحث في البلاغة وإعجاز القرآن الكريم، ص: 110.

3 - المرجع نفسه، ص: 110.

"**الرافعي**" إذ يقول في هذا الباب: « أمّا الذي عندنا في وجه إعجاز القرآن، وما حققناه بعد البحث، وانتهينا إليه بالتأمّل أن القرآن معجز بالمعنى الذي يُفهم من لفظ الإعجاز على إطلاقه، حين ينفي الإمكان بالعجز عن غير الممكن، فهو أمر لا تبلغ منه الفطرة الإنسانية مبلغا، وليس إلى ذلك مأتى ولا جهة، وإنما هو أثر من الآثار الإلهية، ويشاركها في إعجاز الصنعة وهيئة الوضع، وينفرد عنها بأن له مادة من الألفاظ كأنها مفرغة إفراغا من ذوب تلك المواد كلّها»"[1]".

يتّضح لنا من خلال هذا الشرح، أن الإعجاز القرآني عنده يتمثّل في نظمه وهو الوجه المقدم، ضف إلى ذلك أن القرآن معجز بدليل العجز عن الإتيان بمثله أو المعارضة إذ يقول: « فالحرف الواحد من القرآن معجز في موضعه، لأنه يمسك الكلمة التي هو فيها ليمسك بها الآية والآيات الكثيرة، وهذا هو السر في إعجاز جملته إعجازا أبديا، فهو أمر فوق الطبيعة الإنسانية، وفوق ما يتسبب إليه الإنسان إذ هو يشبه الخلق الحي تمام المشابهة، وما أنزله إلاّ الذي يعلم " السر " في السموات والأرض »"[2]".

ويقول في موضع آخر: « لو تدبّرت ألفاظ القرآن في نظمها لرأيت حركاتها الصرفية واللغوية تجري في الوضع والتركيب مجرى الحروف أنفسها فيما هي له من أمر الفصاحة، ولن تجدها إلا مؤتلفة مع أصوات الحروف مساوقة لها في النظم الموسيقي»"[3]"، فلو نظرنا إلى لفظة (النُذُر) جمع نذير، رأينا الضمّة ثقيلة فيها لتواليها على النون والذال

1 – مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، تح عبد الله المنشاوي، ط1، مكتبة الإيمان بالمنصورة، مصر، 1997، ص: 134.

2 –مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط9، 1973، ص: 211.

3 – محمد علي الصابوني، التبيان في علوم القرآن، ص: 106.

معا، وموضع القلقلة في دال: ﴿وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم بَطۡشَتَنَا فَتَمَارَوۡاْ بِٱلنُّذُرِ﴾"[1]"، وفي الطاء من بطشتنا وفي الفتحات المتوالية فيما وراء الطاء إلى الواو ومن قوله « بطشتنا فتماروا مع الفصل بالمدّ ليكون ثقل الضمّة عليه مستخفا بعد، ولتكون هذه الضمّة قد أصابت موضعها كما تكون الأحماض في الأطعمة»"[2]".

وفي القرآن لفظة غريبة ما صلح لهذا الموضع غيرها في القرآن وهي كلمة (ضيزى) في قوله تعالى: ﴿ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ ﴾"[3]"، فالكلمة من سورة النجم، والسورة مفصّلة كلها على الياء فكانت الكلمة فاصلة من الفواصل، جاءت ردّا على المشركين وزعمهم في قسمة الأولاد، فجعلوا الملائكة والأصنام بنات الله، فقال تعالى: ﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ ﴾"[4]"، فكانت غرابة اللفظة أشدّ الأشياء ملاءمة لغرابة القسمة التي أنكرها، إنكار في الأولى وتهكّم في الثانية، فكانت أبلغ ما في القرآن وتمكّنا في موضعها من الفصل.

ومظاهر الإعجاز في نظم القرآن من منظوره ثلاثة: حيث خصّص لكل واحد منها فصلا وهي على النحو الآتي:

1- في الحروف وأصواتها.
2- في الكلمات وحروفها.
3- في الجمل وكلماتها "[5]".

---

1 – سورة القمر، [الآية: 36]

2 – محمد علي الصابوني، التبيان في علوم القرآن، ص: 106.

3 – سورة النجم، [الآية: 22].

4 – سورة النجم، [الآية: 21-22].

5- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص: 212.

فعلى صعيد الحروف وأصواتها نجد الرافعي يهتم ويركّز على خصوصية التلاؤم الصوتي، وعند كلامه عن الكلمات وحروفها، بيّن أنّ في كلمات القرآن أصواتا ثلاثة :

الأول: صوت النفس وهو إيقاع الألفاظ والموسيقى ونغمها الفنّي.

الثاني: صوت العقل وهو الصوت المعنوي الذي يتعلّق بمعاني القرآن.

الثالث: صوت الحس وهو أبلغ هذه الأصوات شأنا، ففيه يلتئم إيقاع الألفاظ وروعة المعاني، أي التحام صوت النفس وصوت العقل معا.

وتعدّ هذه المعايير الثلاثة وجها « من الوجوه القائلة أن الإعجاز يكمن في فصاحة ألفاظه وبلاغة عباراته وجودة سبكه، إذ هو في الدرجة العليا من البلاغة التي لم يُعهد لها مثيل »"[1]".

وينتهي قائلا: « فأنت تعلم أن سر الإعجاز هو في النظم، وأن لهذا النظم ما بعده، وقد علمت أن جهات النظم ثلاث: في الحروف، والكلمات، والجمل، فههنا ثلاثة فصول تعرفها... »"[2]".

وبعد هذا، فإنّ القرآن ونظمه العجيب قد تغلغل إلى نفوس البلغاء والفصحاء وكسى قريحتهم وزيّنها من كل لغو وقبح، وارتقى بهذه اللغة إلى مدارج العلوّ والرفعة «ولقد كان هذا النظم عينه هو الذي صفى طباع البلغاء بعد الإسلام، وتولى تربية الذوق الموسيقي اللغوي فيهم، حتى كان لهم من محاسن التركيب في أساليبهم – مما يرجع إلى تساوق النظم واستواء التأليف – ما لم يكن مثله للعرب من قبيلهم، وحتى خرجوا عن

1 – ينظر، محمد علي الصابوني، التبيان في علوم القرآن، ص: 100.

2 – مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص: 211.

طرق العرب في السجع والترسُّل على جفاء كان فيهما، إلى سجع وترسل تتعرف في نظمها آثار الوزن والتلحين، على ما يكون من تفاوتهم في صفة ذلك ومقداره، ومبلغهم من العلم به، وتقدمهم في صنعته »"[1]".

ولولا « القرآن وهذ الأثر من نظمه العجيب، لذهب العرب بكل فضيلة في اللغة، ولم يبق بعدهم للفصحاء إلا كما بقي من بعد هؤلاء في العامية، بل لما بقيت اللغة نفسها، كما بسطناه في موضعه »"[2]".

وينصرف الرأي القائل بإعجاز القرآن، إلى تبني الأطروحات التي تتّجه صوب الأخذ بالرأي القائل بخلو القرآن الكريم «من التناقض واشتماله على المعاني الدقيقة والأمور الغيبية التي ليست بمقدور البشر ولا في استطاعتهم معرفتها»"[3]".

وقد ألفينا " **محمد عبد الله درّاز** " من خلال كتابه " **النبأ العظيم** " نظرات جديدة في القرآن الكريم، يشير إلى الجمال اللفظي للقرآن، ويقف على أهم خصائص أسلوبه التي أوردها على النحو الآتي:

1- القصد في اللفظ، والوفاء في المعنى.
2- خطاب العامة وخطاب الخاصة.
3- إقناع العقل، وإمتاع الوجدان.
4- البيان والإجمال"[4]".

---

1 – مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص: 215.
2 – المرجع نفسه، ص: 215.
3 – المرجع نفسه، ص: 100.
4 – ينظر، محمد عبد الله درّاز، النبأ العظيم، دار القلم، الكويت، 1957، ص: 84.

أمّا عن إعجاز القرآن الكريم فهو عنده على ثلاثة أنواع:

الأولى: الإعجاز اللغوي، ويرى أنه هو أظهر وجوه الإعجاز، لأنّه هو الذي وقع به التحدّي.

الثانية: الإعجاز العلمي.

الثالثة: الإعجاز الشرعي الاصطلاحي التهذيبي الاجتماعي"[1]".

وممّا لاشكّ فيه أنّ الأسلوب القرآني لا يحمل أيّ لبس يتقاطع به مع غيره، بل «يدع الأعناق تشرئبّ إليه ثم يردّها ناكسة الأذقان على الصدور»"[2]".

ثم يضيف قائلا: «وهي أنّ أسلوب القرآن لا يُدانيه شيء من هذه الأساليب كلها. ونحسب أنه بعد الإيمان بهذه الحقيقة لن يسعه إلا الإيمان بتاليتها...استدلالا بصنعة (ليس كمثلها شيء) »"[3]" على صانع ﴿ **لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ**﴾"[4]"، ويقول أيضا عن أسلوب القرآن « فلو كان أسلوب القرآن من عمل صاحبه الإنسان لكان خليقا أن يجيء بشيء من مثله من كان أشبه بهذا الإنسان مزاجا، وأقرب إليه هديا وسمتا، وألصق به رحما، وأكثر عنه أخذا وتعلما. أو لكان جديرا بأصحابه الذين نزل القرآن بين أظهرهم فقرأوه واستظهروه، وتذوّقوا معناه وتمثلوه، وترسّموا خطواته واغترفوا من مناهله أن يدنوا أسلوبهم شيئا من أسلوبه على ما تقضي به غريزة التأسي، وشيمة الطباع من الطباع. ولكن شيئا من ذلك كله لم يكن، وإنما كان قُصارى

1 – محمد عبد الله درّاز، النبأ العظيم، ص: 99.

2 – المرجع نفسه، ص: 125.

3 – المرجع نفسه، ص: 126.

4 – سورة الشورى، [الآية: 11].

فضل البليغ فيهم كما هو جهد البليغ فينا: أن يظفر بشيء يقتبسه منه في تضاعيف مقالته ليزيدها به علوّا ونباهة شأن»"[1]".

ولو تدبّرت ألفاظ القرآن وانتبهت إلى أسلوبه، جذبك عنصر فعّال وخاصيّة لا يتأتّى بها نص آخر، إنها ميزة تآلف أصواته وجرس حروفه، وحركاته وسكناته ومدّاته وغنّاته، ولو ألقيت سمعك إلى هذا النسق الصّوتي، «ستجد اتّساقا وائتلافا يسترعي من سمعك ما تسترعيه الموسيقى والشعر. على أنه ليس بأنغام الموسيقى ولا بأوزان الشعر. وستجد شيئا آخر لا تجده في الموسيقى ولا في الشعر، ذلك أنك تسمع القصيدة من الشعر فإذا هي تتحد الأوزان فيها بيتا بيتا، وشطرا شطرا، وتسمع القطعة من الموسيقى فإذا هي تتشابه أهواؤها وتذهب مذهبا متقاربا، فلا يلبث سمعك أن يمجّها، وطبعك أن يملّها، إذا أعيدت وكررت عليك بتوقيع واحد، بينما أنت من القرآن أبدا في لحن متنوّع، تنتقل فيه بين أسباب وأوتاد وفواصل على أوضاع مختلفة يأخذ منها كل وتر من أوتار قلبك بنصيب سواء »"[2]".

ليس هذا كله ينحصر على الألفاظ والأسلوب، بل يتعدّى مكمن الإعجاز إلى جماله التنسيقي في رصف حروفه وتأليفها وترتيبها، « هذا ينقر وذاك يصفر، وثالث يهمس ورابع يجهر، وآخر ينزلق عليه النَفسُ، وآخر يحتبس عنده النَفس، وهلُمّ جرّا فترى الجمال اللغوي ماثلا أمامك في مجموعة مختلفة مؤتلفة »"[3]".

1 – محمد عبد الله درّاز، النبأ العظيم، ص: 122.

2 – المرجع نفسه، ص: 128.

3 – المرجع نفسه، ص: 132.

ومن خلال هذه الخصوصيات، تتكشّف البنية السطحية للجمال القرآني وتتأتّى معالمها ضمن حيّز إعجازي لا يضاهيه في ذلك شعر ولا نثر، فقد أغراهم بطلاوته، وسحرهم بكلماته، ليبقى بذلك القرآن عاملا للتنافس وركيزة تتّكئ عليها اللغة في حدّ ذاتها، وقواما لبقاء الإنسان فردا وجماعة « فكذلك لما سبقت كلمتُه أن يصون علينا نفائس العلوم التي أودعها هذا الكتاب الكريم، قضت حكمته أن يختار لها صِوانا يحببها إلى الناس بعذوبته، ويغريهم عليها بطلاوته، ويكون بمنزلة (الحُداء) يستحث النفوس على السير إليها. ويُهوّن عليها وعثاء السفر في طلب كمالها، لاجرم اصطفى لها من اللسان العربي المبين ذلك القالب العذب الجميل. ومن أجل ذلك سيبقى صوت القرآن أبدا في أفواه الناس وآذانهم مادامت فيهم حاسةٌ تذوق وحاسةٌ تسمع، وإن لم يكن لأكثرهم قلوب يفقهون بها حقيقة سرّه، وينفذون بها إلى بعيد غوره ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ** ۝٩ ﴾"1"» "2".

3-الإعجاز القرآني ومقولة التصور الفني واليباني:

نلمس لدى سيد قطب في كتابه " **التصوير الفني في القرآن** "، تصويرا جديدا من وجوه الإعجاز البياني القرآني، وهو ما يتبدّى من خلال قوله: « التصوير هو الأداة المفضّلة في أسلوب القرآن، فهو يعبّر بالصورة التي يرسمها، فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجدّدة، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص حيّ، وإذا الطبيعة البشرية مجسّمة مرئية » "3".

---

1 - سورة الحجر، [الآية: 09].

2 - محمد عبد الله درّاز، النبأ العظيم، ص: 133.

3 - سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، بيروت، لبنان، 1973، ص: 36.

والذي يتّضح جليا من خلال قوله، هو سر الكينونة الإعجازية التي ما فتئت تنبثق من خلال ألفاظه وكلماته الرنّانة الساحرة « وهذه كلمات تتحرّك بها الألسنة، فتنم عن الأحاسيس المضمرة»"[1]".

ثم يسوقنا "**سيد قطب**" إلى معنى التصوير وماهيته في القرآن ويحدّده في أربع صور إذ يقول: « ويجب أن نتوسّع في معنى التصوير، حتى ندرك آفاق التصوير الفني في القرآن، فهو تصوير باللون، وتصوير بالحركة، وتصوير بالتخييل، كما أنه تصوير بالنغمة تقوم مقام اللون في التمثيل »"[2]".

ثم يضيف قائلا: « وكثيرا ما يشترك الوصف، والحوار، وجرس الكلمات، ونغم العبارات، وموسيقى السياق، في إبراز صورة من الصور، تتملاها العين والأذن، والحس والخيال، والفكر والوجدان »"[3]".

أما إذا انتقلنا إلى قضية تأثير القرآن عنده فنجده يقول: « إن في هذا القرآن، سرّا يشعر به كل من يواجه نصوصه ابتداء، قبل أن يبحث عن مواضع الإعجاز فيها ...أهو العبارة كلّها ؟ أهو المعنى الكامن فيها ؟ أهو الصور والظلال التي تشعها ؟ أهو الإيقاع القرآني الخاص المتميّز من إيقاع سائر القول المصوغ من اللغة ؟ أهي هذه العناصر كلها مجتمعة؟ أم إنها هي وشيء آخر وراءها غير محدود؟ ذلك سر مودع في كل نص قرآني

1 – سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص: 36.

2 – المرجع نفسه، ص: 37.

3 – المرجع نفسه، ص: 37.

يشعر به كل من يواجه نصوص هذا القرآن ابتداء ثم تأتي وراءه الأسرار المدركة بالتدبر والنظر والتفكير في بناء القرآن كله»"[1]".

وفي ظل هذا الطرح، فإنّ القرآن بما يحمله من دلالات وألفاظ وخصائص وميزات جعلت منه الركيزة الأساسية والمنبع الأصيل للغة، كونه صورة واحدة تكشفت معالمها إثر تآلف عباراته وتناسق ألفاظه وفصاحة كلماته، ضمن نسق ما وسمه "**سيد قطب** "، بـ "**التناسق الفني**" إذ يقول في هذا: « والتناسق ألوان ودرجات ومن هذه الألوان ما تنبه إليه بعض الباحثين في بلاغة القرآن، ومنها مالم يمسسه أحد حتى الآن، منها ذلك التنسيق في تأليف عباراته، بتخير الألفاظ، ثم نظمها في نسق خاص، يبلغ في الفصاحة أرقى درجاتها، وقد أكثروا من القول في هذا اللون، وبلغوا غاية مداه، بل تجاوزوا الصحيح منه، إلى التمحل الذي لا ضرورة منه » "[2]".

تلك إذا حقيقة ساطعة تتكشّف معالمها النورانية، في إعجازية هذا الكتاب لما يبعثه في النفس البشرية من تأثير وإقناع فهو عبارة عن كتلة لغوية معجزة بحدّ ذاتها تتطلّع فيه كل جوانب العظمة والسمو على أصعدة ألفاظه، ومعانيه، وصوره وظلاله، وإيقاعه، وأسلوبه، «إنه قاهر غلاب بذلك السلطان الغلاب»"[3]".

1 – سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط36، 2007، ج6، ص: 99/33.

2 – سيد قطب التصوير الفني في القرآن، ص: 87.

3 – المرجع السابق، ج3، ص: 99/33.

وبعد هذا العرض الموجز، الذي يؤكد قضية الإعجاز الواضحة الساطعة في الكتاب العظيم، وأن هذا التحدّي في القرآن كان في نظمه وصحة معناه، ونلمح عند الزركشي أيضا في البرهان نقلا عن ابن عطية ما يثبّت هذا القول « إنّه الذي عليه الجمهور والحذّاق وهو الصحيح في نفسه – أن التحدّي – إنما وقع بنظمه وصحّة معانيه، وتوالي فصاحة ألفاظه»"[1].

ومن جملة خصائص الأسلوب القرآني، أنه يخاطب العقل والقلب معا، بعبارات جزلة ومعان عميقة دليلة، فهو يجمع الحق والجمال معا، يسوق في طيّاته معان تهزّ القلوب هزّا، وتمتع العاطفة إمتاعا.

ومن جملة ما جاء في طيّ هذه الأدلة المسكتة المقنعة قوله تعالى: ﴿**وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾**﴾»"[2].

ولنتأمّل قوله تعالى في سورة "ق": ﴿ **وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾**﴾»"[3].

---

1 – محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط3، 1980، ص: 97

2 – سورة فصلت، [الآية: 39]

3 – سورة ق،[الآية: 11]

فبراعة الأسلوب الموظّف في هذه الآيات يقنع العقل ويقيم الحجّة ويمتع العاطفة ويثير الوجدان، حتى في الجملة التي هي بمثابة النتيجة من مقدّمات الدليل إذ قال: " إنّ الذي أحياها لمحيي الموتى "، وفي الأخير قال: « كذلك الخروجُ "، أي الخروج من القبور والبعث والنشور.

فلا جرم أن تجد القرآن كلّه مزيجا حلوا سائغا يخفف عن النفوس، ويرفّه عن القلوب بالتفاتاته ولمساته البيانية، فحين ننظر لكلام البشر نجده وفّى العقل تارة وبخس العاطفة تارة أخرى والعكس، ففيه من الجفاء والعرّي ما لا يهزّ القلوب ويحرّك النفوس « وذلك ناجم بالطبع عن الطبيعة الإشارية المزدوجة للوحي القرآني، الجمالية أولا والتواصلية الإرشادية ثانيا »"[1]". وبذلك يتحقق « الإقناع العقلي في الوقت الذي يتحقق فيه الإمتاع الوجداني »"[2]".

ومن ثم، فإن القرآن الكريم يبقى كلام الله المعجز للخلق أجمعين، على كل الأنظمة والمستويات، سواء في أسلوبه ونظمه، أو جزالة عباراته وتناسق فواصله ومقاطعه، أو روعة بيانه وتأثير أسلوبه، وقد أجمع أهل اللغة العربية قاطبة على أنّ القرآن (معجز بذاته) في ألفاظه وبيانه وأسلوبه ومسحته اللفظية، التي تتجلّى في نظامه الصوتي وجماله اللغوي وبراعته الفنية، وهو الذي يتّسم بخصائص وسمات لم يتأت لبشر أن يأتي بمثله، فأعجز به النبي صلى الله عليه وسلم أساطين الفصحاء وأعيى مقاويل البلغاء، وأخرص

1 – عشتار داود محمد، الإشارة الجمالية في المثل القرآني، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، سوريا، 2005، ص: 45.

2 – صلاح الدين عبد التواب، الصورة الأدبية في القرآن الكريم، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، مصر، 1995، ص: 180.

وألجم ألسنة فحول البيان في عصر برزت فيه الفصاحة وتصلبت فيه البلاغة، ولذا ألفينا الزرقاني يقول: « وها قد مرّت على اللغة العربية، من عهد نزول القرآن إلى عصرنا هذا أدوار مختلفة بين علو ونزول، واتّساع وانقباض، وحركة وجمود، وحضارة وبداوة، والقرآن في كل هذه الأدوار، واقف في عليائه، يُطلّ على الجميع من سمائه، وهو يشعّ نورا وهداية، ويفيض عذوبة وجلالة، ويسيل رقة وجزالة، ويرف جدة وطلاوة، ولايزال كما كان غضّا طريّا يحمل راية الإعجاز، ويتحدّى أمم العالمين في يقين وثقة قائلا في صراحة الحقّ وقوّته وسلطان الإعجاز وصولته»"[1]".

وإننا إذا تأملنا القرآن الكريم وقوفا على آيه ومعانيه، فإن له سرّا خاصا على نفوس البشر قاطبة، يؤثر بتلاوته المجردة على الذين لا يعرفون العربية، وعلى العوام الذين يسمعون إلى تلاوته ولا يطرق عقولهم منه شيء، لكنه يبلغ قلوبهم بإيقاعه ويظهر على ملامحهم سرّه: « إنّ كلّ آية وكل سورة تنبض بالعنصر المستكن العجيب المعجز في هذا القرآن، وتشي بالقوة الخفية المودعة في هذا الكلام، وإن الكيان الإنساني ليهتز ويرتجف ولا يملك التماسك أمام هذا القرآن كلما تفتح القلب، وصفا الحس، وارتفع الإدراك، وارتقت حساسية التلقي والاستجابة، وإن هذه الظاهرة لتزداد وضوحا كلما اتسعت ثقافة الإنسان»" [2]".

1 – محمد علي الصابوني، التبيان في علوم القرآن، ص: 105.

2 – سيد قطب، في ظلال القرآن، ج5، ص: 285.

الفصل الأول

مقتضيات التنظير الفونتيكي للبنية الصوتية في الخطاب القرآني

تمهيد:

تنهض المقاربة الفونيتيكية للصوت اللغوي على جانبين أساسين، يشكلان بتوحدهما هويته المادية، حيث يعمد الجانب الفيزيولوجي إلى الإحاطة بمختلف التفاصيل العضوية والفيزيولوجية التي يؤديها الجهاز النطقي أثناء عملية التصويت، ويسمّى علم الأصوات النطقي ***Articulatory Phonetics***، أو علم الأصوات الوظائفي ***Physiological Phonetics***، بحيث يُعنى « بدراسة حركات أعضاء النطق من أجل إنتاج أصوات الكلام، أو معالجة عملية إنتاج الأصوات اللغوية، وطريقة هذا الإنتاج»"[1]"، بينما يتكفل الجانب الفيزيائي بتوصيف الملامح الفيزيائية التي تعتري الصوت اللغوي، أثناء انتقاله في الوسط الهوائي على شكل ذبذبات وموجات صوتية، وصولا إلى أذن السامع، الذي يشكل مع المرسل، قِوام العملية التواصلية.

ولاشك أن المتأمل في طبيعة الدرس الصوتي العربي القديم، يلحظ أن الدراسة الفونتيكية للصوت اللغوي قد تشكلت مقولاتها في ظل المقاربات اللغوية، التي أرسى دعائمها الأولى "**الخليل بن أحمد الفراهيدي**" (ت175هـ)، لاسيما في شقّها الفيزيولوجي، المتمثل في تقسيمه للأصوات اللغوية إلى مخارج، ومدارج، ومبادئ، وأحياز، فكانت هذه الدراسة بمنزلة التّصور الأساس الذي انطلق منه تلميذه سيبويه (ت180 هـ) ليؤسس للدراسة الفونتيكية للصوت اللغوي بشقّيها: الفيزيولوجي، والفيزيائي؛ الذي تعرض من خلاله لصفات الأصوات مثل: الجهر والهمس، والشدة والتوسط والرخاوة، إلى جانب دراسته الفيزيولوجية الدقيقة والمفصلة لمخارج الأصوات، التي حصرها في ستة

1 – أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، 1997، ص98.

عشر مخرجا، فشكلت بهذا الدراسة الصوتية عند سيبويه مرتكزا تأسيسيا لكلّ من أتى بعده.

ولئن كنا نقرّ بأنّ المقاربة الفونيتيكية للصوت اللغوي، تسمح لنا بمعاينته المادية في شقّيها الفيزيولوجي والفيزيائي، وتمدّنا بنتائج في غاية الأهمية، تعيننا على رسم ملامح الهوية المادية للصوت، فإنّنا نقرّ في الوقت ذاته بأهمية المقاربة الفونولوجية للصوت اللغوي؛ التي تعنى بجانبه المحسوس، وتَكَشُّفِ وظائفه الدلالية التي يشكلها الفونيم ***le phonème*** داخل بنائية اللغة؛ ومردّ ذلك أننا « نتعامل مع ظاهرة تنهض على كِيانين متناظرين ومتكاملين، في الآن نفسه، كيان طبيعي ملموس، وآخر تجريدي محسوس، وكل تحليل أو تعليق يلحق بأحدهما، إلّا وجدنا له قرينة له في الجانب الآخر»"[1]"؛ فالدراسة المادّية بمعطياتها الفيزيولوجية والفيزيائية، تعدّ خطوة مهمّة تستند عليها الدّارسة الفونولوجية، في وضع القوانين والقواعد التي تضبط الصّوت اللغوي، لترتسم هويته في المنظومة اللّسانية كعنصر فاعل في تشكيل المنطوق، إزاء باقي أصوات المنظومة اللّسانية الأخرى.

1-معالم المقاربة الفونتيكية للخطاب القرآني:

يستدعي الحديث عن استراتيجية التحليل الفونتيكي للخطاب القرآني، استدعاء مجمل المقولات الصوتية التي اعتمدت على النسق اللغوي الذي ينهض عليه التركيب الإعجازي للخطاب القرآني، وهو مطلب يستوجب الحرص في انتقاء المدونة الصوتية العربية التي تطرقت إلى القضايا الفونتيكية للصوت في الخطاب القرآني بوصفه أرقى

1- براهيمي بوداود، فيزياء الحركات العربية بين تقديرات القدامى وقياسات المحدثين، رسالة دكتوراه، جامعة السانيا وهران، الجزائر، 2012/2011، ص: 02.

خطاب «استطاعت اللغة أن تفصح عنه، فليس به أدنى اختلال، بل إنّ الاتّساق البديع شامل لجميع نواحيه، في روحه الجليل الغامر، وفي نذره الرائعة المؤثرة، وفي مشاهداته الباهرة، وفي حلاوة وعوده الفائقة، وفي فكرته المتسامية المتشامخة، وأخيرا في أسلوبه البهي المعجز»"[1]".

وقد كانت المدونة التراثية على وعي بضرورة استحضار هذا المطلب، بتعزيز مجمل مقولاتها بالملمح الإجرائي المستند على البعد الإعجازي للمكون اللغوي القرآني، إذ حرصت منذ انبثاق أوليات الدرس اللغوي على رصد السمات الصوتية والتركيبية التي ينهض عليها النسق اللغوي للخطاب القرآني، ولذلك «تميز القرنان الهجريان الأولان بخضوع العلماء العرب لمرجعية النظام المعرفي الإسلامي في أدق تفاصيله، فانحصرت جهودهم في تحصين الأنظمة الفكرية للعلوم العربية الإسلامية المختلفة وبنائها خارج أي تأثير أجنبي»"[2]"، وهو ملمح تحقق منذ التجارب الأولى التي عمدت إلى تقديم المشروع اللغوي التراثي.

1-1-المجال التصوري للنظرية الفونتيكية في التراث اللغوي العربي:

1-1-1-السياق التمهيدي للدراسات الصوتية العربية:

ارتبط المجال التصوري لمجمل الحقول اللغوية في التراث العربي، بمقصدية تحصين الخطاب القرآني من اللحن، الذي كان يهدد السياق الدلالي الذي يؤديه النسق التركيبي القرآني، ولذلك انصبّ اهتمام العرب منذ بزوغ فجر الإسلام بمختلف التمظهرات

1 – مالك بن نبي: الظاهرة القرآنية، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط4، 1987م، ص: 275.

2 – مصطفى بوعناني، في الصوتيات العربية والغربية، أبعاد التصنيف الفونتيقي ونماذج التنظير الفونولوجي، علم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2010، ص: 05.

التركيبية والصرفية والصوتية للغة العربية، ضمن مسعى تقصد صون القرآن الكريم والحفاظ عليه من اللحن اللغوي.

ويشير السياق التاريخي لبوادر انبثاق الملامح التمهيدية للدراسة اللغوية، إلى تلك الفترة التي اختلط فيها اللسان العربي بالأعجمي، بفعل اتساع رقعة الدولة الإسلامية، ودخول الأعاجم إلى الإسلام، مما انجر عنه تأثر النسق الخطابي للعرب ببعض التمظهرات الصوتية الدخيلة عليها. وفي هذا يقول "**الزبيدي**": « لم تزل العرب تنطق على سجيّتها في صدر إسلامها وماضي جاهليتها حتى أظهر الله الإسلام على سائر الأديان فدخل الناس فيه أفواجا، وأقبلوا عليه أرسالا، واجتمعت الألسنة المتفرقة واللغات المختلفة ففشا الفساد في اللغة العربية»"[1]".

وقد ظهرت بوادر اللّحن في السياق اللساني العربي مع ذلك الأعرابي « الذي قدِم في خلافة أمير المؤمنين عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه فقال: من يقرئني شيئا ممّا أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، فأقرأه رجل سورة براءة، فقال: ﴿**أَنَّ ٱللَّهَ بَرِیۤءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِینَ ۙ وَرَسُولُهُۥ**﴾"[2]"، بالجرّ، فقال الأعرابي أوَ قد برئ الله من رسولِه؟ إن يكن الله برئ من رسولِه فأنا أبرأ منُه»"[3]". ويتضح من خلال هذه الحادثة المأثورة، أن هذا الأعرابي كسر لام كلمة (رسولِه) بدلا من ضمّها ممّا حدث عنه تغيّر في منحى الدّلالة، وهو لحن صوتي مسّ أحد الحركات.

1- الزبيدي (محمد بن الحسن أبو بكر): طبقات النحويين واللغويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1984م، ص: 11.

2 - سورة التوبة، [الآية: 03].

3 -أبو الطيب اللغوي، عبد الواحد بن علي، مراتب النحويين، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، (د، ط)، 2002، ص19.

وقد كان لهذه الوقائع الصوتية التي انحرف فيها بعض الأعراب عن المسار التركيبي والدلالي، لبعض آي القرآن الكريم، الأثر البالغ في انبعاث حركة التدوين التي تعد منعطفا تاريخيا، أدى إلى التحول بالثقافة اللسانية العربية من حدث التداول المعرفي الفطري، إلى التداول المعرفي المؤسس على القواعد المضبوطة»"[1]"، إذ« لم تكن عملية التدوين هاته، مجرد تسجيل أو تقييد فقط، بل مثلت استنفاذا مقصودا لكل إمكانيات البحث المتنوع والغني في شتى مجالات اللغة، بهدف الحفاظ عليها من الانحلال والانحراف اللذين مساها بفعل اللحن، وكذا تنويع مجالات اشتغالها خدمة للنص القرآني المقدس»"[2]". وبذلك يتضح لنا ارتباط المدونة التراثية بدءا من اللحظات الأولى لانبثاقها بالخطاب القرآني، ومبتغى الحفاظ عليه.

1-1-2-السياق التمهيدي للدراسات الصوتية مع أبي الأسود الدؤلي:

يشير السياق التاريخي للدراسات اللغوية العربية، أن الأصول المرجعية ترتد إلى تلك العتبة التمهيدية التي أرساها "**أبو الأسود الدؤلي**" (ت67 هـ)، التي انبثقت بفعل اللحن الذي طال بعض جوانب البنية الصوتية للخطاب القرآني، وما نتج عنه من انعكاسات على المجال الدلالي، الأمر الذي جعل أبو الأسود الدّؤلي ينتبه إلى فكرة ضبط النّطق الصحيح للكلم، حيث « ركّز على حركة الشّفتين وهو جانب فيزيولوجي عضوي تعتمده الصّوتيات الحديثة، لأنّه وصف مباشر قائم على الملاحظة والمشاهدة، وتلك النّقاط التي وضعها إنّما من أجل الحفاظ على النّطق السّليم للقرآن الكريم»"[3]".

1 - ينظر، مصطفى بوعناني، في الصوتيات العربية والغربية، أبعاد التصنيف الفونتيقي ونماذج التنظير الفونولوجي، ص: 04.

2 - المرجع نفسه، ص: 05.

1 – ينظر، المرجع نفسه ص: ن.

وبذلك عمد "**أبو الأسود الدؤلي**" إلى وضع آلية تعين على تمثل القراءة الصحيحة للقرآن الكريم، فكان أن لجأ إلى نقط المصحف الشريف **بعلامات الإعراب**، مستندا في ذلك على الهيئة الفيزيولوجية التي تتخذها الشفتان في أواخر الكلم، هو ما يتبدّى من خلال خطابه الذي وجهه لكاتبه: « إذا رأيتني فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه، وإن ضممت فمي فانقط النقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة نقطتين»"[1]"، ويظهر جليا من خلال هذا النقط، أن المنطلق الذي ارتهن إليه "**أبو الأسود الدؤلي**" لوضع الإطار النحوي للخطاب القرآني، هو منطلق صوتي، فتحديد مواضع الفتح والضم والكسر والسكون في أواخر الكلم، لا يمكن أن يتم إلا من خلال المشابهة، واستبيان الهيئة التي تكون عليها الشفتان.

واستنادا إلى ما سبق ذكره، فإن البوادر التمهيدية الأولى لانبثاق الحقل الصوتي، تزامنت مع بوادر ظهور النحو العربي، التي أصل لها العرب بتجربة "**أبي الأسود الدؤلي**"، وهو بهذا يُعدُّ المرجعية التأسيسية التي ترتد إليها الدراسات اللغوية ككل، والتي ارتبطت بالنسق اللغوي للخطاب القرآني.

1-1-3-السياق التمهيدي للدراسات الصوتية مع الخليل بن أحمد الفراهيدي:

تنهض وقائع الدرس اللغوي لدى "**الخليل بن أحمد الفراهيدي**"، على ملمحين أحدهما ملمح تمهيدي، وثانيهما ملمح تأسيسي، ويرجع السبب في ذلك إلى السياق الثقافي الذي عايشه "**الخليل بن أحمد الفراهيدي**"، والذي عايش فيه مرحلة انتقال العرب من الثقافة الشفوية إلى الثقافة البصرية، التي واكبت عصر التدوين، فالقراءة التي

1- ابن النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق، الفهرست، ترجمة يوسف علي طويل وأحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ط)، 1997، ص: 63.

قدمها "**الخليل بن أحمد الفراهيدي**" « قراءة عالم عاصر مرحلة الانتقال من الشفوية إلى الكتابة»"[1]". ولذلك تتماشى مساهمته اللغوية، مع السياقين: التمهيدي والتأسيسي.

فأما المساهمة التمهيدية التي قدمها "**الخليل بن أحمد الفراهيدي**"، فتتمثل في إعادة ترميم الإقرار النحوي والصوتي الذي أفرزه "**أبو الأسود الدؤلي**"، حيث عمد إلى استبدال علامات الإعراب بحركات بصرية، تحاكي الحركة التي تتخذها الشفتان أثناء النطق، وعلى هذا المنحى ابتدع الخليل علامات الضبط التي لازالت تستعمل إلى يومنا هذا، «إذ أخذ من حروف المد صورها مصغرة للدلالة عليها، فالضمة واو صغيرة في أعلى الحرف لئلا تلتبس بالواو المكتوبة، والكسرة ياء متصلة تحت الحرف، والفتحة ألف مبطوحة فوقه»"[2]".

وبذلك تسنى للخليل وضع معايير كمية وبصرية لاستبيان سمات الحركات العربية -القصيرة منها والطويلة- فـ« الفتحة وضع لها رمزا هو ألف صغيرة فوق الحرف، والكسرة وضع لها رمزا هو ياء صغيرة تحت الحرف، والضمة وضع لها رمزا هو واو صغيرة بين يدي الحرف، ثم طوّر هذه العلامات التي بين أيدينا وهي الفتحة /ـَ/ والكسرة/ ـِ/ والضمة /ـُ/، وذلك للتفريق بينهما وبين نقط الإعجام»"[3]".

كما انعكس هذا الملمح على تحديد الهيئة البصرية للهمزة، إذ وضعها على شكل رأس عين صغيرة (ء) وميّزها عن الألف، بدائرة صغيرة تمثل علامة السكون، كما ميّز

1- محمد العمري، تحليل الخطاب الشعري، البنية الصوتية في الشعر، الكثافة-الفضاء-التفاعل، الدار العالمية للكتاب للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط01، 1990، ص: 170.

2- شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة، ط7، ص: 33.

3- صلاح الدين محمد قناوي، التفكير الصوتي عند العرب بين الأصالة والتحديث، دار الفكر، دمشق، سوريا، (د ط)، 2008، ص: 11.

الحرف المضعّف بوضع سين صغيرة فوقها، وميّز بين همزة القطع وهمزة الوصل وفي هذا الصدد يقول السيوطي: «أوّل من وضع الهمزة والتشديد والروم والإشمام الخليلُ»"[1]"، على أن ظاهرة الروم صوتية يكون إدراكها بالسمع عكس الإشمام الذي يدرك بالعين.

ومن ثم، يتضح ارتباط السياق التمهيدي للدرس الصوتي العربي بصورة مباشرة مع النص القرآني، ومبعث هذا الارتباط يكمن في الخوف من تسرب بعض الظواهر الصوتية واللغوية الشاذة، التي امتد أثرها على الدلالة إلى حد أثار الفزع، ودفع إلى التصدي لها بانبثاق مشروع لغوي مؤسس على رؤية واعية تستند على النسق اللغوي للخطاب القرآني.

1-2-السياق التأسيسي للدراسات الصوتية العربية:

1-2-1-السياق التأسيسي للدراسات الصوتية مع الخليل بن أحمد الفراهيدي:

تندرج الدراسة الصوتية لدى "**الخليل بن أحمد الفراهيدي**" ضمن المشروع اللغوي التأسيسي، الذي انساق مع متطلبات عصر التدوين، والتي استوجبت تقديم صناعة معجمية تتفاعل مع الهدف المرجو من تدوين اللغة، والمتمثل في الحفاظ على نقاء اللغة العربية وصفائها، إذ « كان الحفاظ على التراث اللغوي العربي في مستوى معجمه، إحدى أولويات التحصين من الدخيل لفظا وفكرا»"[2]". وعليه اكتسب معجم "**العين**" سمة الأسبقية التاريخية.

1- السيوطي (جلال الدين ت911هـ): الإتقان في علوم القرآن، الحلبي، القاهرة، ط3، ص: 171.

2 – مصطفى بوعناني، في الصوتيات العربية والغربية، أبعاد التصنيف الفونتيقي ونماذج التنظير الفونولوجي، ص: 33.

إلا أن مظاهر الأسبقية لدى "**الخليل بن أحمد الفراهيدي**" لم تكن منحصرة في البعد التاريخي، وإنما اتضحت « في طريقة التجميع والترتيب أيضا، وفق منهج صوتي – صرفي، ومنهج رياضي يعتمد نظرية المجموعات في صيغتها المعاصرة»"[1]"، التي حرص "**الخليل بن أحمد الفراهيدي**" على تفعليها على المستويين الصوتي والصرفي. وبذلك يمثل «العين نقطة انطلاق لحركة كبرى في دراسة الأصوات العربية»"[2]"، وانعطافا بمسار الدراسة من البعد التمهيدي إلى البعد التأسيسي.

وتتضح هذه الرؤية الرياضية على الصعيد الصوتي من خلال حصره للحروف الهجائية ضمن مجموعة « أصلية كبيرة لا تزيد عن تسع وعشرين حرفا هجائيا، تشتق منها مجموعة فرعية: (حلقية، لهوية، وشجرية، وأسلية...)، تنتمي إلى مدارج وأحياز موضعية مختلفة في الجهاز النطقي، تحددها طرائق التحقيق الصوتي، بدءا بالأدخل في الحلق، وانتهاء بالأقرب إلى فتحة الفم»"[3]".

وقد باشر "**الخليل بن أحمد الفراهيدي**" تقديم رؤيته للصوت اللغوي، من خلال تقسيمه للأصوات على نحو ما أثبته في قوله: « في العربية تسعة وعشرون حرفا: منها خمسة وعشرون حرفا صحاحا لها أحياز ومدارج، وأربعة أحرف جوف وهي: الواو والياء واللف اللينة والهمزة، وسميت جوفا لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج

1 – مصطفى بوعناني، في الصوتيات العربية والغربية، أبعاد التصنيف الفونتيقي ونماذج التنظير الفونولوجي، ص: 33.

2– خليل إبراهيم الحماش، دراسة مقارنة للنواحي الصوتية في كتاب العين والنظرية الحديثة في علم الأصوات، مجلة كلية الآداب، مطبعة المعارف، بغداد، العراق، ع16، 1973، ص: 511.

3 – المرجع سابق، ص: 33.

اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدارج اللهاة، إنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف»"[1]".

وبعد أن تسنى له تحديد المعالم التمييزية بين الأصوات الصحيحة والأصوات الهوائية، عمد "**الخليل بن أحمد الفراهيدي**" إلى تقديم تمييز من نوع آخر، يستند على المعيار الفيزيولوجي، الذي يأخذ بالحيز الذي ينتمي إليه الصوت، ومبدئه ومخرجه ومدرجه. وعليه استقر على التوزيع الفيزيولوجي للأصوات على النحو الآتي"[2]":

- ❖ العين والحاء والخاء والغين حلقية لأن مبدأها من الحلق.
- ❖ القاف والكاف لهويتان لأن مبدأهما من اللهاة.
- ❖ الجيم والشين والضاد شجرية لأن مبدأها من شجر الفم أي مفرج الفم.
- ❖ الصاد والسين والزاي أسلية لأن مبدأها من أسلة اللسان وهي مستدق طرف اللسان.
- ❖ والطاء والدال والتاء نطعية لأن مبدأها في نطع الغار الأعلى.
- ❖ والظاء والثاء والذال لثوية لأن مبدأها من اللثة.
- ❖ والراء واللام والنون ذلقية لأن مبدأها من ذلق اللسان.
- ❖ والفاء والباء والميم شفوية لأن مبدأها من الشفة.
- ❖ والياء والواو والألف والهمزة هوائية في حيز واحد.

1 – الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، ج01، ص: 57.
2 – ينظر، المصدر نفسه، ج01، ص: 58.

وبذلك يكون"**الخليل بن أحمد الفراهيدي**" قد انزاح عن معايير الترتيب التي كانت تأخذ بالترتيب الأبجدي أو الهجائي، محدثا بذلك مفارقة جديدة دفعته للابتعاد عن الترتيبين، والارتهان إلى الترتيب الصوتي القائم على تتبع مخارج الحروف، وفقا للترتيب الآتي: **ع ح هـ / خ غ ق ك / ج ش ض / ص س ز / ط د ت / ظ ث ذ / ز ل ن ف / ب م / و ا ي/ ء** "[1]".

ولم يكتف "**الخليل بن أحمد الفراهيدي**" ببيان مواضع حدوث الصوت، وإنما أشار إلى بعض الجوانب المتعلقة بصفات الحروف، وفي هذا الصدد يقول: « فأقصى الحروف كلّها العين ثمّ الحاء ولولا بحّة في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين، ثمّ الهاء ولولا هتّة في الهاء، وقال مرّة "ههّة" لأشبهت الحاء لقرب مخرج الهاء من الحاء»"[2]"، كما كان الخليل «يسمّي الميم مطبقة؛ لأنّها تطبق الفم إذا نطق بها»"[3]"، وأشار في موضع آخر إلى جرسية ونصاعة العين والقاف قائلا: « ولكن العين والقاف لا تدخلان في بناء إلّا حسّنتاه، لأنّهما أطلق الحروف وأضخمهما جرسًا. فإذا اجتمعا أو أحدهما في بناء حسن البناء لنصاعتهما»"[4]"، ويضيف الخليل معلّلًا لزومية الدّال أو السّين للاسم، مع لزوم العين أو القاف؛ لأنّ « الدّال لانت عن صلابة الطّاء وكزازتها. وارتفعت عن خفوت التّاء فحسنت»"[5]".

1 – الخليل، العين، ج01، ص: 48.
2 – المصدر نفسه، ج 01، ص: 57.
3 – المصدر نفسه، ج 01، ص: 58.
4 – الخليل، العين، ج01، ص: 53.
5 – المصدر نفسه، ج01، ص: 54، 53.

1-2-2-السياق التأسيسي للدراسات الصوتية مع سيبويه:

إذا كان "**الخليل بن أحمد الفراهيدي**" قد اكتسب صفة الأسبقية التاريخية، التي جعلته العالم اللغوي الأول الذي ولج باب الدراسة الصوتية من خلال الصناعة المعجمية، فإن "**سيبويه**" سجل أسبقية من نوع آخر، إذ « سجل تاريخ النحو العربي أسبيقية كتاب سيبويه في تقديم المشروع العلمي الكبير لوصف اللغة العربية وتقنينها وتصنيف مستوياتها التخصصية بدرجة عالية من التكامل والتعمق، مشروع يثبت وجود النحو كحقل علمي مستقل، ويمنحه شروط الأصل الذي قامت عليه مختلف الدراسات اللغوية بشتى توجهاتها التخصصية وأسسها النظرية»"[1]".

وقد ارتبطت الدراسة اللغوية –بما فيها الصوتية– لدى "**سيبويه**" بالخطاب القرآني ارتباطا مباشرا، فقد كان القرآن الكريم وقراءته المصدر الرئيس لسيبويه أثناء وضعه للقواعد والأصول، حيث حوى كتابه مئات الآيات القرآنية وضع بعضها على وجه من وجوه القراءات، فكان كتابه المرجع الأساسي في دراسة النحو وأصوله، وجمع فيه من علوم العربية والأصوات اللغوية والضرورات الشعرية الكمّ الوافي حتى قال فيه أبو الطيب اللغوي : « هو أعلم الناس بالنحو بعد الخليل، وألّف كتابه الذي سمّاه الناس قرآن النحو»"[2]".

ويتضح هذا الارتباط الصميمي بين القرآن الكريم والدراسة الصوتية، من بداية الدراسة التي باشر فيها تقسيم الأصوات إلى أصوات **أصول**، وأخرى **فروع** بالاعتماد

1 – مصطفى بوعناني، في الصوتيات العربية والغربية، أبعاد التصنيف الفونتيقي ونماذج التنظير الفونولوجي، ص40.
2– شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1968، ص: 60.

على عنصر **المشافهة** التي تتوافق مع قراءة القرآن أو تتنافر معه، ولذلك تجده يردد عبارة: «تستحسن في قراءة القرآن»"[1]" أو « لا تستحسن في قراءة القرآن»"[2]".

بناء على هذه الرؤية التي استندت على الواقع الفعلي للغة، حصر "**سيبويه**" حروف العربية ضمن حدود تسع وعشرين حرفا أصلا، رتبها ترتيبا مخرجيا تصاعديا، إذ جاء ترتيبه على النحو الآتي: «الهمزة، والألف، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء، والكاف، والقاف، والضاد، والجيم، والشين، والياء، واللام، والراء، والنون، والطاء، والدال، والتاء، والصاد، والزاي، والسين، والظاء، والذال، والثاء، والباء، والميم، والواو»"[3]".

في ظل هذا التصنيف، تسنى لـ"**سيبويه**" ضبط الحروف الفرعية المنبثقة من الحروف الأصول، فكان أن أشار إلى انقسامات الحروف الفروع إلى نوعين: أحدهما **مستحسن**، وثانيهما **مستهجن**. فأمّا الحروف المستحسنة « فهي كثيرةٌ يؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار، وهي: النّون الخفيفة، والهمزة التي بَيْن بَيْنَ، والألف التي تمال إمالة شديدة، والشّين التي كالجيم، والصّاد التي تكون كالزّاي، وألف التّفخيم، يعنى بلغة أهل الحجاز، في قولهم: الصّلاة والزّاة والحياة»"[4]". وأمّا الحروف المستهجنة « فهي حروف غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة من ترتضى عربيته، ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشّعر؛ وهي: الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالكاف، والجيم التي كالشّين،

1 – سيبويه، أبي بشر عمرو عثمان بن قنبر، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، ، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي، الرياض، ط2، 1982، ج04، ص: 432.

2 –المصدر نفسه، ج04، ص: 432.

3 – المصدر نفسه، ج04، ص:431

4– المصدر نفسه، ج 04، ص: 432.

والضّاد الضّعيفة، والصّاد التي كالسّين، والطّاء التي كالتّاء، والظّاء التي كالثّاء، والباء التي كالفاء»"[1]".

إن هذا التمييز الذي أشار إليه "**سيبويه**" يشير إلى التنويعات النطقية للحروف الأصول المتحققة بالفعل، وهي إذ تعكس هذا الملحظ تفتقر إلى « القيمة الصوتية التي تمنحها خصوصيات التمايز عن الحروف الأصول، وبالتالي، فإنها لا تمثل إلا تنوعات وتحقيقات متفرعة عنها، تفتقد كل شروط إحداث التغيير الدلالي للوحدات اللغوية التي تتآلف فيها، وليس لها تمثيل خطي خاص بها، وإنما يبقى تمثلها في حدود صوتية لا غير»"[2]"، ولا يمكن أن تندرج ضمن النظام اللغوي الذي يؤسس للبنية الصوتية العربية التي تنحصر ضمن حدود الحروف الأصول.

1-2-2-1-طبيعة الدراسة الفونتيكية لدى سيبويه:

تتأسس النظرية الصوتية الفونتيكية التي أرسى دعائمها "**سيبويه**" على متطلبات أسس المعالجة الفيزيولوجية والفيزيائية، التي انعكست في سياق رصده لمخارج الحروف وصفاتها، وهو إذ استدرك النقص الذي شهدته الدراسة الصوتية الخليلية لعدم معالجته الجانب الفيزيائي للصوت، والاكتفاء ببعض الإشارات السطحية لها، ساهم في اكتمال أركان المقاربة الفونتيكية، وتصليب أرضيتها.

1 - سيبويه، الكتاب، ج04، ص432.

2 - مصطفى بوعناني، في الصوتيات العربية والغربية، أبعاد التصنيف الفونتيقي ونماذج التنظير الفونولوجي، ص: 42.

أ-تصنيف مخارج الحروف من منظور سيبويه:

حصر "**سيبويه**" مخارج الحروف ضمن ستة عشرة مخرجا، متوزعة على الحلق واللسان والشفتين، وقد توزعت على النحو الآتي: " واعلم أن مخارج هذه الحروف ستة عشر، ثلاثة منها في الحلق:

1- فأولها من أسفله وأقصاه، مخرج الهمزة والألف والهاء.

2- ومن وسط الحلق: مخرج العين والحاء.

3- ومما فوق ذلك من أول الفم، مخرج الغين والخاء.

4- ومما فوق ذلك من أقصى اللسان، مخرج القاف.

5- ومن أسفل ذلك وأدنى إلى مقدم الفم، مخرج الكاف.

6- ومن وسط اللسان، بينه وبين وسط الحنك الأعلى: مخرج الجيم والشين والياء.

7- ومن أول حافة اللسان وما يليها: مخرج الضاد.

8- ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، مما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج اللام.

9- ومن طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا: مخرج النون.

10- ومن مخرج النون، غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام: مخرج الراء.

11- ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا: مخرج الطاء والدال والتاء.

12- ومما بين الثنايا وطرف اللسان: مخرج الصاد والزاي والسين.

13- مما بين اللسان وأطراف الثنايا: مخرج الظاء والذال والثاء.

14- ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى، مخرج الفاء.

15- ومما بين الشفتين، مخرج الباء والميم والواو.

16- ومن الخياشيم، مخرج النون الخفيفة، ويقال الخفيفة أي الساكنة، فذلك ستة عشر مخرجا"[1]".

---

1 - سيبويه، الكتاب، ج4، ص433- 434.

ب-تصنيف صفات الحروف من منظور سيبويه:

إلى جانب معالم التمييز الفيزيولوجية التي تمكن "**سيبويه**" من رصدها، تطرق "**سيبويه**" إلى المعالم التمييزية الفيزيائية، التي اتضحت من خلال معالجته لصفات الحروف التي توزعت بين الجهر والهمس والشدة والرخاوة وصفات فارقة .

الصّفات	التوصيف	الأصوات اللّغوية
الجهر	حرف أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت"[1]"	ء، ا، ع، غ، ق، ج، ي، ض، ل، ن، ر، ط، د، ز، ظ، ذ، ب، م، و.
الهمس	فحرف أضعف الاعتماد في موضعه، حتى جرى النفس معه"[2]"	هـ، ح، خ، ك، ش، س، ت، ص، ث، ف.
الشدة	الحرف الشّديد هو الذي يمنع الصّوت أن يجري فيه"[3]"	ء، ق، ك، ج، ط، ت، د، ب.
الرخاوة	الحرف الرخو هو الذي يجري فيه الصّوت"[4]"	هـ، ح، غ، خ، ش، ص، ض، ز، س، ظ، ث، ذ، ف.
التوسط	بين الرخاوة والشّدّة	ع، ل، م، ي، ر، و، ن، ا سيبويه ذكر هنا (العين) فقط، ولم يذكر باقي الحروف

1 - سيبويه، الكتاب، ج04، ص434 .

2 - المصدر نفسه، ج04، ص434 .

3 - سيبويه، الكتاب، 4/ص: 434.

4- ينظر، المصدر نفسه، ج04، ص435

المنحرف	وهو حرف شديد جرى فيه الصّوت لانحراف اللّسان مع الصّوت، ولم يعترض على الصّوت كاعتراض الحروف الشّديدة"[1]"	اللّام
الغنّة	وهو الصّوت الذي يخرج من الأنف، واللّسان لازم لموضع الحرف"[2]"	الميم، والنّون
المكرّر	وهو حرف شديد يجري فيه الصّوت لتكريره وانحرافه إلى اللّام، فتجافى للصّوت كالرّخوة، ولو لم يكرّر لم يجر الصّوت فيه"[3]"	الرّاء
اللَّيِّنة	سمّيت باللّيّنة؛ لأنّ مخرجهما يتّسع لهواء الصّوت أشدّ من اتّساع غيرهما"[4]"	الواو، والياء
الهاوي	وهو حرف اتّسع لهواء الصّوتِ مُخرجُه أشدّ من اتساع مُخرَج الياء والواو، لأنّك قد تضمّ شفتيك في الواو وترفع في الياء لسانك قبل الحنك"[5]"	الألف

1 - سيبويه، الكتاب، ج04، ص435

2- المصدر نفسه، ج04، ص435

3 - المصدر نفسه، ج04، ص435

4 - سيبويه، الكتاب، ج04، ص: 435.

5 -المصدر نفسه، ج04، ص 436، 435.

المطبقة	وهي الحروف التي تُطبق لشيءٍ منهنّ لسانك، ترفعه إلى الحنك الأعلى	ص، ض، ط، ظ.
المنفتحة	وهي الحروف التي لا تُطبق لشيءٍ منهنّ لسانك، ترفعه إلى الحنك الأعلى"[1]"	وهي ماعدا حروف الإطباق الأربعة.

1-2-3-طبيعة المقاربة الصوتية لدى ابن جني:

تعد المقاربة الصوتية التي أنتجها "**ابن جني**" مسارا تكميليا للدرس الصوتي الذي تأسست أولياته الفونتيكية على يد "**سيبويه**"، فهو بحكم انتمائه للقرن الرابع الهجري، تمكن من تقديم رؤية صوتية تتوافق مع الانفتاح المعرفي الذي شهدته الدراسات اللغوية في القرن الرابع الهجري، « من حيث المفاهيم الإجرائية وآليات البحث في الأصوات اللغوية تحديدا وتصنيفا، ذلك أن الصوت اللغوي مع "**ابن جني**" أصبح —في حالات كثيرة- يوصف ويصنف ضمن أجناس صوتية [....]يكون لها من الخصائص، على مستويي المخارج والصفات»"[2]"، كما يكون لها وظائف على مستوى البنى التركيبية.

وقد اعتمد "**ابن جني**" منهجا يقوم على الوصف الدقيق والشرح والتعليل، فتطرق إلى وصف مخارج الحروف بطريقة دقيقة متعرضا إلى صفاتها العامة والتغيرات التي تعترض الصوت من إعلال وإبدال وقلب وإدغام ونقل وحذف، فأفرد مؤلفا خاصّا، وسمه بـ"**سر صناعة الإعراب**"، إذ أشار من خلال هذا الكتاب إلى إمكانية الربط بين الصوت وطريقة إصداره بفن الموسيقى ضمن مسعى تقريبي تمثيلي، يعين على ملامسة الوقائع

1 - سيبويه، الكتاب، ج04، ص 436.

2 - مصطفى بوعناني، في الصوتيات العربية والغربية، أبعاد التصنيف الفونتيقي ونماذج التنظير الفونولوجي، ص: 53.

الصوتية، وهو ما اتضح من خلال قوله: « أردنا بهذا التمثيل الإصابة والتقريب، وإن لم يكن هذا الفن ممّا لنا ولا لهذا الكتاب به تعلّق، ولكن هذا القبيل أعني علم الأصوات والحروف، له تعلق ومشاركة للموسيقى لما فيه من صنعة الأصوات والنغم»"[1]".

وقد انعكست هذه المقاربة التمثيلية من خلال تشبيه "**ابن جني**" للجهاز النطقي بالناي والعود، التي عقدها من خلال قوله: « شبّه بعضهم الحلق والفم بالناي، فإن الصوت يخرج فيه مستطيلا أملس ساذَجاً، كما يجري الصوت في الألف غُفلًا بغير صنعة، فإذا وضع الزامر أنامله على خروق الناي المنسوقة، وراوح بين عَمَلِه، اختلفت الأصوات، وسمع لكل خرْق منها صوت لايشبه صاحبه، فكذلك إذا قُطع الصوت في الحلق والفم باعتماد على جهات مختلفة كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة ونظير ذلك أيضا العود وَتَر العُود، فإن الضارب إذا ضربه وهو مُرْسَل سمعتَ له صوتا، فإن حَصَر آخر الوتر ببعض أصابع يسراه أدّى صوتا آخر، فإن أدناها قليلا سمعتَ غير الاثنين، ثم كذلك كلما أدنى أصبعه»"[2]".

إن اعتماد "**ابن جني**" على هذه الإجرائية، ناتج عن غياب التقنية المخبرية، بحكم انتمائه إلى مرحلة القرن الرابع الهجري، ولذلك لجأ "**ابن جني**" إلى هذه الآلية، ليتمكن من « تعويض القصور الإجرائي، بالاهتداء إلى الملمح الاستعاري»"[3]"، الذي أعانه على الوقوف على الحيثيات المادية للصوت.

---

1 – ابن جني، أبو الفتح عثمان، سر صناعة الإعراب، تح محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2005، ج01، ص: 9.

2 – المصدر نفسه، ج01، ص: 8-9.

3- بن شيحة نصيرة، الأنموذج الصوتي العربي ومسارات التحول من حيز الذكاء الفطري إلى رحاب الذكاء الاصطناعي، أعمال الملتقى الوطني، اللغة العربية وبرامج الذكاء الاصطناعي الواقع والرهانات، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2019م، ص: 71.

أ-تصنيف مخارج الحروف من منظور ابن جني:

إن المتأمل في مخارج الحروف التي تمكن "**ابن جني**" من حصرها، لا تكاد تختلف عن المخارج التي أثبتها "**سيبويه**" في كتابه، إذ اكتفى "**ابن جني**" بترديد مقولات سيبويه، وهذا ما يمكن أن نستجليه من خلال توزيعه للمخارج على النحو الآتي:

" واعلم أن مخارج هذه الحروف ستة عشر، ثلاثة منها في الحلق:

01- فأولها من أسفله وأقصاه، مخرج الهمزة والألف والهاء.

02- ومن وسط الحلق: مخرج العين والحاء.

03- ومما فوق ذلك من أول الفم، مخرج الغين والخاء.

04- ومما فوق ذلك من أقصى اللسان، مخرج القاف.

05- ومن أسفل ذلك وأدنى إلى مقدم الفم، مخرج الكاف.

06- ومن وسط اللسان، بينه وبين وسط الحنك الأعلى: مخرج الجيم والشين والياء.

07- ومن أول حافة اللسان وما يليها: مخرج الضاد.

08- ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، مما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج اللام.

09- ومن طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا: مخرج النون.

10- ومن مخرج النون، غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام: مخرج الراء.

11- ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا: مخرج الطاء والدال والتاء.

12- ومما بين الثنايا وطرف اللسان: مخرج الصاد والزاي والسين.

13- مما بين اللسان وأطراف الثنايا: مخرج الظاء والذال والثاء.

14- ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى، مخرج الفاء.

15- ومما بين الشفتين، مخرج الباء والميم والواو.

16- ومن الخياشيم، مخرج النون الخفيفة، ويقال الخفيفة أي الساكنة، فذلك ستة عشر مخرجا"[1]".

ب-تصنيف صفات الحروف من منظور ابن جني:

حصر "**ابن جني**" صفات الحروف ضمن أربعة وعشرين صفة، تنتظم وفقا لمعيار تعارضي، نثبتها على النحو الآتي"[2]":

الصّفة	التوصيف	الأصوات اللّغوية
الجهر	حرف أُشبع الاعتماد في موضعه ومنع النَّفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت	ما عدا الحروف المهموسة.
الهمس	حرف أُضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى معه النّفَس	هـ، ح، خ، ك، ش، ص، ت، س، ث، ف.
الشدة	الحرف الذي يمنع الصوت من أن يجري فيه	ء، ق، ك، ج، ط، د، ت، ب
الرخاوة	هو الذي يجري فيه الصوت	ماعدا الحروف الشديدة والتي بين الشدة والرخاوة فهي رخوة

1 - ابن جني، سر صناعة الإعراب، تح محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط2، 2008، ج01، ص: 60-61.

2 - المصدر نفسه، ج01، ص: 60-64.

التوسط	حروف لا يجري الصوت معها كل الجري ولا ينحصر كل الانحصار	ا، ع، ي، ل، ن، ر، م، و
الإطباق	أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مُطبقا له	ض، ط، ص، ظ
الانفتاح	تباعد اللسان والحنك الأعلى عن الآخر حتى يخرج النفس من بينهما عند النطق بالحرف	ما سوى حروف الإطباق فمفتوح غير مُطبق
الاستعلاء	أن تتصعّد في الحنك الأعلى	خ، غ، ق، ض، ط، ص، ظ
الانخفاض	أن تنخفض اللسان إلى الأسفل عند النطق بها	ماعدا حروف الاستعلاء
المنحرف	لأن اللسان ينحرف فيه مع الصوت	اللام
المكرّر	إذا وقفت عليه رأيت طرف اللسان يتعثر بما فيه من التكرير	الراء
حروف القلقلة	وهي حروف مُشربة تحْفز في الوقف، وتضغط عن مواضعها	ق، ج، ط، د، ب
المهتوت	لما فيه من الضعف والخفاء	الهاء
حروف الذلاقة	لأنه يعتمد عليها بذَلَق اللسان، وهو صدره وطَرَفه	ل، ر، ن، ف، ب، م
الحروف المصمتة	يصمت عنها في البناء الرباعي أو الخماسي غير ذي الزوائد	ما عدا حروف الذلاقة

ومن القضايا الجوهرية التي أشار إليها "**ابن جني**"، تعرضه لانقسامات الحركات العربية، حسب المعايير الكمية، وهو ما نلفيه من خلال قوله: « اعلم أن الحركات أبعاض حروف المدّ واللين وهي الألف والياء والواو فكما أن هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاث وهي الفتحة والكسرة والضمة فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو، وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة والكسرة الياء الصغيرة والضمة الواو الصغيرة ... ألا ترى أن الألف والياء والواو واللواتي هنّ حروف توام كوامل، قد تجدهن في بعض الأحوال أطول وأتم منهن في بعض، وذلك قولك يخاف ويسير ويقوم فتجد فيهن امتدادا واستطالة ما، فإذا أوقعت بعدهنّ الهمزة، أو الحرف المدغم ازددن طولا وامتدادا، وذلك نحو يشاء... ويسوء... ويجيء...، وتقول مع الإدغام شابّة... ويطيب بكر، وتموّد الثوب... أفلا ترى إلى زيادة المدّ فيهن بوقوع الهمزة والمدغم بعدهنّ، وهنّ في كلا الموضعين يسمين حروفا كوامل»"[1]".

1-2-4-روافد النظرية الصوتية العربية في ظل القراءات القرآنية:

1-2-4-1-مفاهيم عامة حول القراءات القرآنية:

تعكس المقاربة الصوتية التي تم إفرازها في ظل القراءات القرآنية، حدث الترابط المباشر بين مستويات الأداء الصوتي للخطاب القرآني، ومعايير التحليل التي تبنتها المنظومة الصوتية ذات التوجه القرائي، فإذا « كانت أهمية تصنيف الأصوات اللغوية عند النحاة، مرتبطة بصياغة قوانين صوتية تمكن من تأليف الأبنية والألفاظ العربية، وتميز الأصيل فيها عن الدخيل من لغات أخرى غير عربي»"[2]"، فإن الأنموذج الصوتي الذي اشتغلت القراءات القرآنية بتوصيف معطياته الآدائية، اشتغل على «الضبط الدقيق

1 - ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج01، ص: 19، 20.

2- مصطفى بوعناني، في الصوتيات العربية والغربية، أبعاد التصنيف الفونتيقي ونماذج التنظير الفونولوجي، ص: 240.

لتحقيق الحروف أثناء قراءة النص القرآني، أو ترتيله أو تجويده، لأنهم جعلوا قداسة القرآن مرتبط بشرط سلامة وفصاحة النطق بأصواته»"[1]".

ولذلك وجّه القرّاء وعلماء التجويد اهتمامهم بدراسة الأصوات من أجل ضبط القراءة وأصولها، قصد تأدية قراءة القرآن قراءة مضبوطة ومنه، صار لزاما على قارئ القرآن أن يحيط بعلم الأصوات العربية، ومخارج الحروف وصفاتها ضمن مسعى تأديته الصائبة لقراءة القرآن، وفي هذا الصدد نجد "**الحافظ بن الجزري**" يقول في مقدمته"[2]":

والأخذ بالتجويد حتم لازم من لم يجوّد القرآن آثم
لأنه به الإله أنزلا وهكذا منه إلينا وصلا
وهوم أيضا حلية التلاوة وزينة الأداء والقراءة
وهو إعطاء الحروف حقها من صفة لها ومستحقها

ولما كان القرآن هو عصب اللغة العربية وركيزتها الأساسية، أدّى هذا الأخير ترابطا وثيقا بين مختلف العلوم الأخرى، وتفرقت من خلاله الدراسة الصوتية بين هذه العلوم، على مستوى الكتب التي ألفت في هذا الصدد ككتب القراءة والتجويد، والنحو والصرف، وغيرها من الكتب الأخرى.

ويعود الأصل في تعدد القراءات القرآنية، إلى ذلك التباين في لهجات القبائل العربية قبل البعثة المحمدية، «ولقد مرّت نشأة القراءات القرآنية بأدوار متلاحقة متلازمة متناسقة، شغلت الأمة العربية ابتداء، ثم الأمة الإسلامية —على اختلاف شعوبها وتعدّد

1- مصطفى بوعناني، في الصوتيات العربية والغربية، أبعاد التصنيف الفونتيقي ونماذج التنظير الفونولوجي، ص، ن.

2 - ابن الجزري، محمد بن محمد بن علي بن يوسف، شرح متن الجزرية في معرفة تجويد الآيات القرآنية، شرح، عبد الفتاح القاضي، قصر الكتب، البليدة، (د، ط)، (د ت)، ص: 13-14.

لغاتهم – انتهاء، فكانت تملأ الحياة علوما ومعارف وثقافات ربّانية من حيث التشريع والتوحيد والآداب والأخلاق، حتى ربطت الأمّة الإسلامية بأقوى حركة فكرية علمية ثقافية تشريعية عرفتها الإنسانية قاطبة، وكانت نشأة القراءات ابتداء من نزول أوّل سورة من القرآن في غار حراء، وانتهاء إلى تأصيلها، علما ذا قواعد وأصول، ذات أدوار تاريخية متلاحقة»"[1]".

ثم إنّ هذا التعدّد والاختلاف في القراءات إنّما هو « بمنزلةٍ سواء في الأسلوب والغاية، فهي كلها معجزة، وتلك حقيقة لا نستغربها ما دامت كلّ قراءة قد أُنزلت من عند الله، أو أذن بها الله »"[2]".

إلا أن هذه التعددية اللهجية التي عرفتها القبائل العربية، لم تكن عائقا أمام العرب لاستيعاب و« فهم القرآن والتأثر ببلاغته»"[3]" والإقرار بإعجازه، لأنه خطاب نزل بلسان عربي، مستوعبا جل التمظهرات اللهجية العربية، ولذلك لم يقرئ القرآن على وجه واحد لكي لا يشُقّ على القبائل العربية التي تباينت لهجاتها، فكان أن أقرأ الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه القرآن على غير وجه، طلبا للتيسير على الناس.

وقد علل "**ابن قتيبة**" هذا الملمح التعددي في قراءة القرآن، لتعدد لهجات العرب بقوله: « ولو أن كل فريق من هؤلاء، أمر أن يزول عن لغته، وما جرى عليه اعتياده

1 – خالد عبد الرحمن العك، تاريخ توثيق نص القرآن الكريم، دار الفكر، سورية، دمشق، 1986، ط2، ص:78-79.

2 – لبيب السعيد، الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، (دت ط)، ص: 165.

3– محمد العمري، تحليل الخطاب الشعري، البنية الصوتية في الشعر، الكثافة –الفضاء–التفاعل، الدار العالمية للكتاب، الدار البيضاء، المغرب، ط01، 1990، ص: 70.

طفلا وناشئا وكهلا لاشتدّ ذلك عليه، وعظمت المحنة فيه، ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة، وتذليل للسان، وقطع للعادة، فأراد الله، برحمته ولطفه، أن يجعل لهم متّسعا في اللغات، ومتصرفا في الحركات، كتيسيره عليهم في الدين»"[1]".

وبعد اكتمال نزول القرآن جمعت هذه الوجوه المختلفة التي قُرئ بها القرآن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، واصطلح على تسميتها بـ"**القراءات القرآنية**"، والتي تعدّ كنزا كونها زوّدت اللغوي بمعين لا ينضب وزاد لا ينفذ يلجأ إليها لأجل فهم تراكيب اللغة وتحليل مستوياتها. وبذلك ساهمت القراءات القرآنية في فتح « أبواب العلوم اللغوية جميعا، وكانت مع الأداء الرائع الذي ارتقت إليه اللغة تحفظ على الأسلوب موسيقاه الداخلية والخارجية المتوافقة مع الفواصل المتأتية على قدر العظات والأهداف في الترهيب والترغيب»"[2]".

1-2-4-2-مفهوم القراءة القرآنية:

أ- المفهوم اللغوي:

تشير السندات المعجمية إلى أن « القراءات جمع قراءة والقراءة مصدر الفعل قرأ يقرأ قرآنا فهو قارئ وهم قرّاء وقارئون»"[3]"، ويقول "**ابن فارس**" في هذا الصدد: «القاف والراء والحرف المعتل، أصل صحيح يدل على جمع واجتماع، من ذلك القرية سميت بذلك لاجتماع الناس فيها، ويقولون قريت الماء في المقرات: جمعته... وقال في موضع

1- ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2007، ص: 32.

2- نشأة محمد رضا ظبيان، علوم اللغة العربية في الآيات المعجزات، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص: 14.

3- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح علي الهلالي، الكويت، 1966، ج1، ص: 101.

آخر في حديثه عن همز الحرف الثالث من "قرى" أن قرى وقرأ سواء، يقولون ما قرأت هذه الناقة سلى قطّ، أي لم تحمل قطّ، ولم تضم رحما على ولد»"[1]".

وضمن ذات السياق الدلالي، قدّم "**ابن منظور**" المفهوم اللغوي للقراءة بوصفه جذرا مشتقا من مادة (ق–رأ) « قرأه، ويقرؤه، ويُقرؤه، قرءا وقراءة وقرآنا فهو مقروء، ومعنى القرآن معنى الجمع، وسمي القرآن بذلك لأنه يجمع السور فيضمنها، وقوله تعالى: ﴿**فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ**﴾"[2]"، أي قراءته»"[3]".

ويقول الراغب الأصفهاني: « والقراءة ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل، وليس يقال ذلك لكل جمع، لا يقال قرأت القوم جمعتهم، ويدل على ذلك أنه لا يقال للحرف الواحد إذا تفوه به قراءة والقرآن سمّي بذلك من بين الكتب السماوية لكونه جامعا لثمرتها، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم»"[4]"، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ **مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾"[5]". وبذلك يتجلّى لنا من خلال هذه المفاهيم السابقة، أن ماهية القراءة وما اكتنزته من دلالة لغوية سواء بالهمز أم الاعتلال، تبلورت حول أصل واحد هو الجمع والاجتماع.

1- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ج5، ص: 74.
2- سورة القيامة،[الآية: 18].
3- ابن منظور جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1990، ج1، مادة قرأ، ص: 128.
4- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، دت، ص: 402.
5- سورة يوسف،[الآية: 111].

ب-المفهوم الاصطلاحي:

يتجه المفهوم الاصطلاحي للقراءة القرآنية صوب تمثل الدلالة التي تتماشى مع الأداء الشفوي للخطاب القرآني عبر التواتر، وهو ما يتضح من خلال التحديد الاصطلاحي الذي أشار إليه "**ابن الجزري**" (**833 هـ**) في مصنفه "**النشر في القراءات العشر**" معبرا عن ذلك بقوله: « علمٌ بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزوا لناقله»"[1]".

وهذا يعني أنّ «علم القرءات يقومُ على بيان كيفية أداء الكلمة القرآنية على الوجه الذي تواتر سماعه ونقله عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أي : إنّ علم القراءات يبحث في بيان الصورة اللفظية للكلمة القرآنية كما نطق بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم» "[2]".

وعرّف الإمام القسطلاني (ت 923هـ) القراءات بقوله: « فليعلم أن علم القراءات هو علم يعرف منه اتفاق الناقلين لكتاب الله واختلافهم (في اللغة والإعراب) " علم القراءات" والحذف والإثبات والتحريك والإسكان والفصل والاتصال وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال، حيث السماع، أو يقال : " علم يعرف منه اتفاقهم واختلافهم في اللغة والإعراب والحذف والإثبات والفصل والوصل» "[3]".

1- ابن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، مراجعة محمد الشنقيطي وأحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1980، ص: 03.

2 - خالد عبد الرحمن العك، تاريخ توثيق نص القرآن الكريم، ص: 74.

3 -نبيل بن محمد إبراهيم آل إسماعيل، علم القراءات نشأته – أطواره – أثره في العلوم الشرعية، مكتبة التوبة، الرياض، السعودية، 2000، ط1، ص: 27.

أمّا إذا انتقلنا إلى "**الزركشي**"(794 هـ) فإننا نلفيه، يتعامل مع مصطلح "**القراءة القرآنية**" بوصفه انعكاسا لاختلاف « ألفاظ الوحي المذكور في الحروف وكيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرها، ولا بدّ من التلقي والمشافهة لأن القراءات القرآنية أشياء لا تحكم إلا بالسماع والمشافهة»"[1]"، وهو ملمح دلالي يتفق إلى حد بعيد مع ما استقر عليه المحدثين، إذ أشار جلهم إلى أن القراءات « فن يعرف به كيفية النطق بكلمات القرآن بواسطة التلقي والمشافهة، حسبما نقله القراء واتفقوا عليه أو اختلفوا فيه، مع ردّ كل وجه لناقله»"[2]".

1-2-4-3-الفرق بين علم القراءات وعلم التجويد:

إنّ المتأمّل في مصلطحي القراءات وعلم التجويد يجد أنّهما يتداخلان مع بعضهما، ف « يتعاضد علم القراءات وعلم التجويد في بيان ما يرتبط بتلاوة القرآن الكريم من مسائل القراءة وأدائها وما يتعلق بهما من القضايا»"[3]".

ولا يخفى على كل دارس أن علم التجويد يتقاطع مع علم القراءات في بؤرة واحدة هي ألفاظ القرآن، ولكن الميزة التي تفرق بينهما أن علم التجويد يعنى بحقائق النطق، وطبيعة الأصوات وخصائصها بينما يبحث علم القراءات في اختلاف وجوه النطق المروية عن القرّاء.

1 بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 2006، ج1، ص: 49.

2- العبيدي فتحي، الجمع بالقراءات المتواترة، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص: 28.

3- خالد عبد الرحمن العك، تاريخ توثيق نص القرآن الكريم، ص: 74.

وحول هذه المقارنة بين علم التجويد والقراءات يذكر محمد المرعشي نصا في هذا الصدد إذ يقول: «إن قلت: ما الفرق بين علمي التجويد والقراءات؟ قلت: علم القراءات علم يعرف فيه اختلاف أئمة الأمصار في نظم القرآن في نفس حروفه أو في صفاتها، فإذا ذكر فيه شيء من ماهية الحروف فهو تتميم، إذ لا يتعلق الغرض به، أما علم التجويد فالغرض منه معرفة ماهيات صفات الحروف، فإذا ذكر فيه شيء من اختلاف الأئمة فهو تتميم»"[1]".

ويقول المرعشي في هذه النقطة أيضا: « اعلم أن علم القراءة يخالف علم التجويد لأن المقصود من الثاني معرفة حقائق صفات الحروف مع قطع النظر عن الخلاف فيها، مثلا يعرف في علم التجويد أن حقيقة التفخيم كذا وحقيقة الترقيق كذا، وفي القراءة يعرف فخمها فلان ورققها فلان»"[2]".

وعلى هذا النسق، وفي ظل هذه الرؤى نجد أن علم القراءة والتجويد يتكاملان في نقاط عدّة كمسألة البحث في مخارج الأصوات وصفاتها، وما يعتريها حال التركيب من أحكام تتعلق بالترقيق والتفخيم، والإمالة والإدغام...على أن البحث في هذه المسائل يرتبط كل الارتباط بعلم التجويد، أما إذا عرّجنا إلى علم القراءات فإنه يأخذ هذه القضايا وينسبها للقارئ الذي أخذ بوجه من الوجوه السابقة عن القراءة التي يتبعها.

والذي نخلص إليه مما سبق ذكره هو تلك العلاقة المكملة بين علم القراءات والتجويد، إذ من غير الإمكان للقارئ أن يتلو القرآن بصورة صحيحة دون الاطلاع

1 – المرعشي، جهد المقل، تح سالم قدوري الحمد، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان– الأردن، 2008، ط2، ص: 110

2– غانم قدوري الحمد، محاضرات في علوم القرآن، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2003، ص: 157.

ومعرفة قواعد التجويد معرفة جيدة، وكان عليه واجبا أن يبحث وينقب جيدا عن قواعد العلمين معا «ليجري لسانه بالنطق الصحيح الفصيح، فيكون بذلك مستوفيا لشروط القراءة، راجيا ثوابها، متجاوزا لإثم التقصير فيها»"[1]".

بناء على ما سبق من أطروحات، يتضح أن جل المقاربات التي التفتت إلى الدراسة الصوتية من منظور القراءات القرآنية، سواء أكانت قديمة أم حديثة، حصرت دلالة المصطلح ضمن الحدود الأدائية للكلمات القرآنية، وفقا لما تناقله القرّاء مشافهة على اختلاف الظواهر الصوتية أو النحوية أو الصرفية.

2-الأسس الإجرائية لصوتيات الخطاب القرآني:

تتأسس صوتيات الخطاب القرآني، على جملة المقاربات الصوتية التي باشرها علماء اللغة، والتي استثمرها علماء التجويد لتأسيس مقاربة صوتية تعكس المنحى الأدائي لأصوات الخطاب القرآني، لاسيما أن مجال الاشتغال الذي اعتمدت عليه المقاربتين (اللغوية والتجويدية)، اعتمد بشكل كبير معايير التحقيق النطقي الذي أثبتته القراءات القرآنية، بوصفها المنهل الأول، والمصدر التاريخي الذي كشف لنا صورة اللغة العربية الفصحى بمختلف مستوياتها، فهي « الوثيقة التاريخية التي نطمئن إليها في فقه اللغة الفصحى من جميع نواحيها، الوثيقة التي تنتقل إلينا بالصورة والصوت معا، يتواثرها القراء جيلا عن جيل [....]إذ إن هذه القراءات على اختلاف رواياتها سجل دقيق لما

1 – غانم قدوري الحمد، محاضرات في علوم القرآن، ص: 159.

كان يجري في كلام العرب من تصرفات صوتية ولغوية»"[1]". ولذلك لم يكن لعلماء اللغة وعلماء التجويد غنى عنها.

وبهذا تتجلى فائدة هذا العلم في «حسن الأداء وجودة القراءة، الموصلان إلى رضى الله تعالى الذي يحقق سعادتي الدنيا والآخرة، وعصمة اللسان من اللحن في القرآن»"[2]".

2-1-معالم الدراسة الصوتية لدى علماء التجويد والقراءات:

2-1-1-في فضل علم التجويد والتلاوة:

إن ثمرات معرفة علم التجويد جمّة عظيمة، فبتعلّمه تُصان « الكلمات القرآنية عن التحريف والتصحيف، والزيادة والنقص»"[3]"، وفضل هذا العلم « من أشرف العلوم إن لم يكن أشرفَها، لتعلّقه بأشرف كلامٍ أنزل، على أشرف بشرٍ أرسل»"[4]".

وعن أبي هريرة، وأبي سعيد الخُدريّ – رضي الله عنهما – أنهما قالا: « يُقال لصاحب القرآن (يوم القيامة): اقرأ وارتقِ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها، وزاد فيه

1- عبد الصبور شاهين، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي " أبو عمرو العلاء "، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1987، ص: 09.

2 - أحمد محمود عبد السميع الشافعي، الوافي في كيفية ترتيل القرآن الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2000م، ط1، ص: 14.

3- محمود خليل الحصري، أحكام قراءة القرآن الكريم، دار البشائر الإسلامية، (د ت ط)، ص: 25.

4 - المرجع نفسه، ص: 26.

عاصم بن بَهدلةَ عن زِرٍّ (بن حُبيشٍ) عن عبد الله بن عمروٍ – رضي الله عنهما –: ورتّل كما كنت تُرتّل في الدّنيا، فإنّ منزلتك من الدّرجات عند آخر ما تقرأ»"[1]".

ومما جاء في استحباب تحسين الصوت بالقرآن والتجويد به مارواه أبو هريرة رضي الله عنه قال، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما أذِن الله لشيء ما لنبي حسن الصوت يتغنّى بالقرآن يجهر به " رواه البخاري ومسلم. ومعنى أذن إستمع وهو إشارة إلى الرضى والقبول»"[2]". و «عن البَراء بن عازب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: زيّنوا القرآن بأصواتكم » [رواه داود والنّسائي] "[3]".

ولعلّ الغاية من علم التجويد «تمكّن القارئ من جودة القراءة، وحسن الأداء، وعصمة لسانه من اللحن عند تلاوة القرآن الكريم لكي ينال رضا ربه وتتحقق له السعادة في الدنيا والآخرة»"[4]"، كما أن « تعلمه له أهمية كبرى حيث يعين المسلم على تلاوة القرآن الكريم حق التلاوة »"[5]".

وقد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الذي يجود القرآن ويحسن قراءته، ويصير متقنا له ماهرا به عاملا بأحكامه، فإنّه في مرتبة الملائكة المقرّبين، ولذلك فيما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

---

1 – أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (437 هـ)، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تح مكتبة قرطبة للبحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، ط1، 2005، ص: 24.

2 – محمد صادق قمحاوي، البرهان في تجويد القرآن، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1980، ط1، ص: 125.

3 – المرجع نفسه، ص: 126.

4– عطية قابل نصر، غاية المريد في علم التجويد، الرياض، 1994، ط4، ص: 40.

5 – المرجع نفسه، ص: 40.

« الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران »"[1]".

وإنّ مُجوّد القرآن " قلبه عامر به، يتدبر آيات الله، ويتفكر في دلائل قدرته وعظمته، وبذلك تصفو نفسه، وتجمل أخلاقه، وترق أحاسيسه، والرسول صلى الله عليه وسلم يخبرنا بأن حفاظ القرآن هم أصفياء الله وخاصته وأولياؤه وأنصاره وذلك فيما رواه أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « إن لله أهلين من الناس فقيل من أهل الله فيهم ؟ قال : أهل القرآن هم أهل الله وخاصته»"[2]".

2-1-2-الإطار المعرفي لعلم التجويد:

مما لاشك فيه، أن الانبثاقة المعرفية لعلم التجويد، لم تكن من العدم، إذ سبقتها المعرفة الصوتية التي أفرزتها المنظومة النحوية، والتي كانت بمثابة السند المرجعي الذي استندت إليه الدراسات الصوتية المنبثقة عن المجال المعرفي لعلم القراءات"[3]"، ولقد قامت دراسة الأصوات لدى علماء التجويد على ماسمّوه باللّحن الخفي الذي لا يدركه إلاّ المقرئ الضابط المتقن للتلاوة والقراءة، ومحاولة منهم لمعالجة هذا الخلل وتقويمه كانت سببا وراء الدراسة الصوتية عند علماء التجويد فيتضح من خلال هذا «أنّ ملاحظة اللحن الخفي في قراءة القرآن ومحاولة معالجتها وتصحيح النطق بها كانت السبب الذي يقف وراء الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، وأنهم درسوا أصوات اللغة وحددوا صور نطقها الصحيحة، ورصدوا الانحرافات المتوقعة في نطقها مما سموه باللحن الخفي، ليحترز

1- عطية قابل نصر، غاية المريد في علم التجويد، ص: 12.

2- المرجع نفسه، ص: 14.

3- ينظر، مهدي المخزومي، عبقري من البصرة، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1986، ص: 40.

الناطق منها ويجتنبها، وقد تحققت لعلماء التجويد بذلك فرصة لدراسة أصوات العربية دراسة شاملة، لم تتحقق للنحاة الذين كانت تشغلهم دراسة الأصوات لمعالجة بعض القضايا الصرفية»"[1]".

يرتكز علم التجويد على البعد الإجرائي لعلم الأصوات، الذي يسعى من خلاله إلى « تجويد اللفظ بالقرآن الكريم، وإحكام النطق به بإعطاء كل حرف حقه من صفته، وإخراجه من مخرجه على مراتب دقيقة محكمة»"[2]". بناء على هذه الرؤية، استقر "**الداني**" على أن « تجويد القرآن هو إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها، ومراتبها، وردّ الحرف من حروف المعجم إلى مخرجه وأصله، وإلحاقه بنظيره وشكله، وإشباع لفظه، وتمكين النطق به على حال صيغته وهيئة من غير إسراف، ولا تعسّف، ولا إفراط، ولا تكلّف، وليس بين التجويد وتركه إلاّ رياضة من تدبّره بفكّه»"[3]".

وقد اتفقت جل المقاربات على مجموعة من المفاهيم، نوردها على النحو الآتي:

- ✓ بأنّه « علم يعرف به إعطاء كل حرف حقّه ومستحقه مخرجا وصفة، وقفا وابتداء من غير تكلف ولا تعسف، أو : إخراج كل حرف من مخرجه، وإعطاؤه حقّه ومستحقّه. وحق الحرف : صفاته اللازمة، ومستحقُّه: صفاته العارضة»"[4]".

---

1 – غانم قدروي الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2007، ط2، ص: 55-56.

2- مصطفى بوعناني، في الصوتيات العربية والغربية، أبعاد التصنيف الفونتيقي ونماذج التنظير الفونولوجي، ص: 65.

3 – الداني أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان، التحديد في صنعة الاتقان والتجويد، تح : فرغلي غانم قدروي الحمد، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2000، ص: 68.

4 _ محمد عصام مفلح القضاة، الواضح في أحكام التجويد، دار النفائس، الأردن، (د ت ط)، ص09

- ✓ والتجويد هو « إحكام القراءة وإتقانها. ويقال في تعريفه: هو إعطاء كل حرف حقه مخرجا وصفة»"[1]". ونقل بعضهم: « تجويد القراءة : هو تصحيح الحروف وتقويمها وإخراجها من مخارجها وترتيبها مراتبها وردها إلى أصولها وإلحاقها بنظائرها»"[2]".
- ✓ وبتعبير آخر يمكن القول أنّ «علم التجويد يبحث في الصورة الصوتية للحرف الهجائي القرآني »"[3]".

بناء على هذا التصور، تحددت المعالم الأساسية التي ينهض عليها علم التجويد، والتي لخصها "**الحسن بن القاسم المرادي**" من خلال قوله: « إن تجويد القراءة يتوقف على أربعة أمور: أحدها: معرفة مخارج الحروف، والثاني: معرفة صفاتها، والثالث: معرفة ما يتجدّد لها بسبب التركيب من الأحكام، والرابع: رياضة اللسان بذلك وكثرة التكرار»"[4]".

2-1-3-مقتضيات التنظير الفونتيكي من منظور علماء التجويد:

تحددت إجرائية البحث الصوتي لدى علماء التجويد، بناء على انقسامات اللحن، التي انقسمت من منظورهم إلى قسمين: أحدهما **لحن جلي**، وثانيهما **لحن خفي**، إذ

3- عبد الهادي الفضلي، القراءات القرآنية تاريخ وتعريف، مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، 2009، ط4، ص139

2 - المرجع نفسه، ص139

3- المرجع نفسه، ص140

4- المرادي، المفيد في شرح عمدة المجيد في النظم والتجويد، تح علي حسين البواب، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، 1987، ص: 22.

اعتبروا أن اللحن الجلي خطأ ظاهر يطرأ على البنية التركيبية والدلالية للغة"[1]"، أما اللحن الخفي فهو خلل « يطرأ على الأصوات من جراء عدم توفيتها حقوقها من المخارج أو الصفات، أو ما يطرأ لها من الأحكام عند تركيبها في الكلام المنطوق»"[2]".

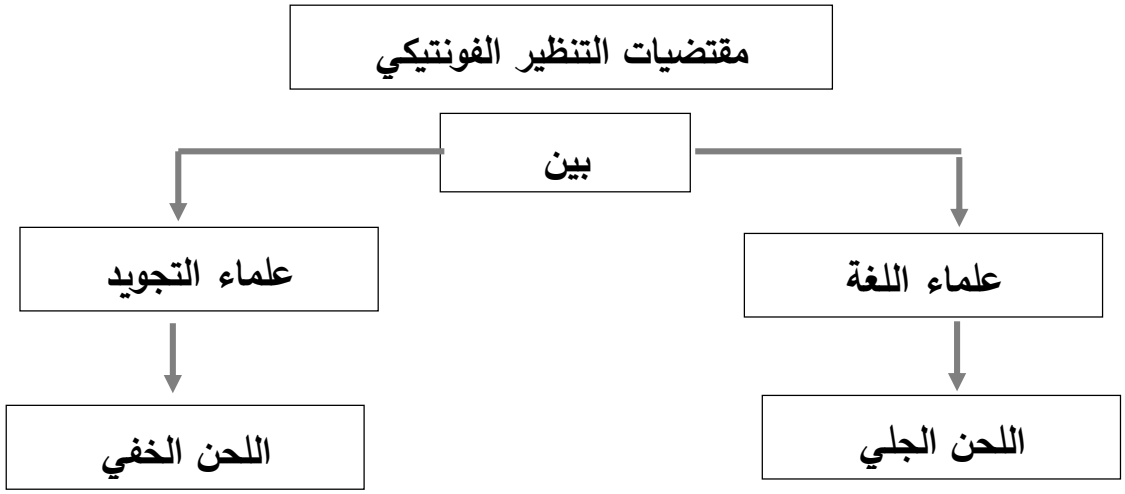

بناء على هذه الانقسامات، تحددت مجالات الاشتغال الصوتية وإجرائيته، فكان أن اهتم علماء اللغة بدراسة الصوت تفاديا لحدوث اللحن الجلي، ولذلك ارتبطت الدراسة الصوتية لديهم بالمباحث الصرفية والنحوية « أمّا علماء التجويد فإن دراستهم للأصوات كانت ترتبط بشكل أساسي بمعالجة ماسموه باللحن الخفي، فقد قسّموا اللحن إلى قسمين هما: اللحن الجلي، وهو الخطأ الظاهر في الحركات خاصة، وقالوا بأنه ميدان عمل النحاة والصرفيين، واللحن الخفي وهو الخلل الذي يطرأ على الأصوات من جراء عدم توفيتها حقوقها من المخارج أو الصفات أو ما يطرأ لها من الأحكام عند تركيبها في الكلام المنطوق، وقالوا بأن هذا هو ميدان عمل علماء التجويد»"[3]"، بينما اشتغل علماء التجويد على وضع الضوابط الصوتية التي تعيق ظهور اللحن الخفي، وهو ما استوجب

1- ينظر، غانم قدوري الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: 47.

2- المرجع نفسه، ص: 48.

3- المرجع نفسه، ص: 47-48.

حصر اهتمامات علم التجويد بمخارج الحروف وصفاتها وأحكامها التركيبية، التي تؤسس لمعالم المقاربة الصوتية في ظل علم التجويد"[1]".

وقد استرشد علماء التجويد بآلية إجرائية، تعين على الوقوف على التمظهرات الصوتية للحن الخفي، حيث اعتمدوا على المشافهة لتوصيف الملامح الصوتية الخفية للحن « بالأخذ من أفواه الضبط والدراية»"[2]"، وهو ما دفعهم إلى تحديد « مقادير المدات، وحدود الممالات، والملطفات، والمشبعات والمختلسات، والفرق بين النفي والإثبات، والخبر والاستفهام، والإظهار والإدغام، والحذف والإتمام، والروم والإشمام»"[3]".

أما الملمح الإجرائي الثاني، فيأخذ بالفضاء البصري للحرف المكتوب، للوقوف على التجليات النطقية للحن الخفي، لذا فهو «يتقيد بالخط ويدرك وصفه بالشكل والنقط، ويحتاج مبتغيه أولا إلى معرفة مخارج الحروف ومدارجها»"[4]"، ويمكن أن نتمثّل هذه الآلية الإجرائية التي اعتمدها علماء التجويد من خلال المقاربة التشجيرية الآتية:

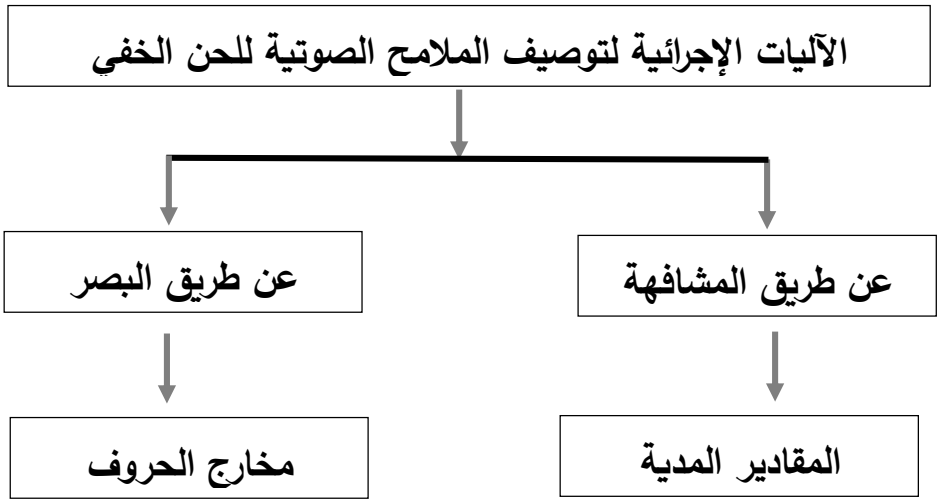

1 – ينظر، غانم أحمد قدوري، الدراسة الصوتية عند علماء التجويد، ص: 48.

2 – المرجع نفسه، ص: 53.

3 – المرجع نفسه، ص: 53.

4 – المرجع نفسه، ص: 53.

ثمّ إنّ اللحن على ضربين"[1]":

1- لحن جليٌّ.

2- ولحن خفيٌّ.

ولكلّ واحد منهما حدّ يخصّه، وحقيقة بها يمتاز عن صاحبه، فأمّا اللحن الجليُّ: فهو خلل يطرأ على الألفاظ، فيخلّ بالمعنى والعرف.

وأمّا اللحن الخفيّ: فهو خلل يطرأ على الألفاظ فيخلّ بالعرف دون المعنى، إلاّ أن الجليّ يخلّ بالمعنى والعرف، والخفيّ لا يخلّ بالمعنى وإنّما يخلّ بالعرف" .

ونجد هذا اللون من اللحن الخفي عند تكرير الراءات، وتطنين النّونات، وتغليظ اللامات وإسمانها وتشريبها الغنّة، وإظهار المخفي، وتشديد المليّن، وتليين المشدّد، والوقف بالحركات"[2]".

ولا يدرك كنه هذا اللحن وفجواته إلاّ «القارئ المتقن، والضابط المجوِّد، الذي أخذ عن أفواه الأئمة، وتلقّن من ألفاظ أفواه العلماء الذين ترتضى تلاوتهم ويوثق بعربيّتهم، فأعطى كل حرف حقه، ونزّله منزلته»"[3]".

ومن ثم، فإن هذا النوع من المقاربات الصوتية يعكس الجانب التطبيقي الوظيفي لمجمل الدراسات الصوتية السابقة، بدءا بتلك التي نشأت ملامحها الأولية في ظل المشافهة والتلقين، أو تلك التي انبثقت مع الكتابة والتدوين، إذ ما فتئ أن تكشّفت معالم هذا العلم بظهور مؤلفات عنيت ببيان وجوه الأداء المختلفة، مع التطرق إلى

1 - ابن الجزري، التمهيد في علم التجويد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971، تح فرغلي سيد عرباوي، ص:81 .

2- ينظر، المرجع نفسه، ص: 82-83.

3- المرجع نفسه، ص:84.

الظواهر الصوتية التي تعتري الكلم، يقول في هذا الصدد غانم قدوري الحمد: « لم يعرف مصطلح التجويد بمعنى العلم الذي يُعنى بدراسة مخارج الحروف وصفاتها، وما ينشأ لها من أحكام عند تركيبها في الكلام المنطوق إلا في حدود القرن الرابع الهجري، كذلك لم يعرف كتاب ألف في هذا العلم قبل القرن الرابع الهجري، ومعنى هذا أن علم التجويد تأخر في الظهور علما مستقلا بالنسبة إلى كثير من علوم القرآن وعلوم العربية أكثر من قرنين من الزمان»"[1]".

ضمن هذا المسعى، كانت بحوث علماء التجويد والقراءة أكثر تمحيصا وتدقيقا واحتفاء بالدراسة الصوتية، بغية الوصول إلى تلك الدقة في أداء كلمات القرآن على أحسن وجه، وفي ذلك يقول "**أحمد مختار عمر**": « كان لعلم التجويد الأثر الكبير في انتعاش الدرس الصوتي عند علماء العربية، ففي ظله تحدّدت معالمه، وتوحّدت مصطلحاته فكوّنت منه علما قائما بذاته، شأنه في ذلك شأن ما دأبت عليه لغات أخرى في عنايتها بعلم الأصوات لقدسية اللغة التي كانت بها كتبهم»"[2]".

ولما كانت أحكام التجويد ترتهن إلى الدقة في تحديد مخارج الحروف وصفاتها، وتوصيف مديات الحركات، ومختلف الهيئات الصوتية التي يحفل بها النص القرآني، فقد تمكنت المقاربة الصوتية التي تم إفرازها في ظل علم القراءات القرآنية، من ضبط مختلف التجليات الصوتية والتمظهرات النطقية للصوت القرآني.

1 –غانم قدوري الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: 15.

2 – أحمد مختار عمر، البحث الصوتي عند العرب، عالم الكتب، ط2، القاهرة، 1976، ص: 15.

2-1-2-1-تصنيف صفات الحروف من منظور علماء التجويد"[1]":

الأول:الحروف المهموسة: وهي عشرة أحرف يجمعها هجاء قولك: (ستشحثك خصفه)، أو هجاء قولك: (سكت فحثه شخص)، أو هجاء قولك: (سكت شخصه فحث). ومعنى الحرف المهموس: أنه حرفٌ جرى معه النَّفَس، عند النطق به لضعفه، وضعف الاعتماد عليه عند خروجه، فهو أضعف من المجهور... وإنّما لقّب هذا المعنى بالهمْس، لأن الهمْس: هو الحسّ الخفيّ الضعيف.

الثاني الحروف المجهورة: ومعنى الحرف المجهور أنه حرف قوي (الاعتماد عليه) فمنع النَّفَس أن يجري معه عند النطق به، لقوته، وقوة الاعتماد عليه في موضع خروجه، وهذه الحروف أقوى من المهموسة المذكورة أعلاه، وهي ما عدا المهموسة المذكروة قبل هذا. وإنّما لقب هذا المعنى بالجهر، لأن الجهر الصوت الشديد القويّ، فلمّا كانت في خروجها كذلك، لقّبت به، لأن الصوت يجهر بها، لقوّته.

الثالث: الحروف الشديدة: وهي ثمانية أحرف يجمعها هجاء قولك: (أجدك قطّبت). ومعنى الحرف الشديد: أنه حرف اشتدّ لزومه لمَوْضِعه وقوي به، حتى منع الصوت أن يجري معه عند اللفظ به.

الرابع: الحروف الرّخوة: وهي ثلاثة عشر حرفا، (يجمعها قولك : ثخد ظغش زحف صه ضس)، وهي ماعدا الشديدة المذكورة.

ومعنى (الحرف الرّخو): أنه حرف ضعُف الاعتماد عليه في موضعه عند النطق به، فجرى معه الصوت، فهو أضعف من الشديد. وإنما سميت بالرّخوة، لأن (الرّخاوة): اللين، واللين ضدّ الشدّة، فسميت بذلك، لأنها ضدّ الشديدة.

---

2 - أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، ص: 57-80.

الخامس: الحروف الزوائد: وهي عشرة أحرف، يجمعها هجاء قولك: (سألتمونيها)، وهجاء قولك: (اليوم تنساه)، ومعنى تسميتهم لها بالزوائد أنه لا يقع في كلام العرب حرف زائد في اسم ولا فعل إلا من هذه العشرة الأحرف المذكورة، وتلقب أيضا بالحروف المذبذبة وهو **اللقب السادس** لها، لأنّها لا تستقر على حال، تقع مرة زوائد، ومرة أصولا.

السابع: الحروف الأصلية (وهي تسعة عشر حرفا) ماعدا الحروف الزوائد المذكورة، وإنما سميت بالحروف الأصلية، لأنّها لا تقع أبدا في كلام العرب في الأسماء والأفعال إلا أصولا، إما فاء الفعل، أو عينه، أو لامَه.

الثامن: من حروف الإبدال: وهي اثنا عشر حرفا، يجمعها هجاء قولك (طال يوم أنجدته)، وإنما سميت حروف الإبدال، لأنها تُبدل من غيرها، تقول: هذا أمر لازب، ولازم، فتبدل أحدهما من الآخر، فالميم بدلٌ من الباء، ولا تقول: الباء بدلٌ من الميم لأن الباء ليست من حروف الإبدال، إنما يبدل غيرها منها.

التاسع: حروف الإطباق: وهي أربعة أحرف: الطاء، والظاء، والصاد، والضاد، وإنما سميت بحروف الإطباق، لأن طائفة من اللسان تنطبق مع الريح إلى الحنك عند النطق بهذه الحروف، وينحصر الريح بين اللسان والحنك الأعلى عند النطق بها مع استعلائها في الفم، وبعضها أقوى من الإطباق من بعض.

العاشر: الحروف المنفتحة: وهي (خمسة وعشرون حرفا) وهي ماعدا حروف الإطباق المذكورة، وإنما سميت بالمنفتحة لأن اللسان لا ينطبق مع الريح إلى الحنك عند النطق بها، ولا تنحصر الريح بين اللسان والحنك، بل ينفتح ما بين اللسان والحنك، وتخرج الريح عند النطق بها.

الحادي عشر: حروف الاستعلاء: وهي سبعة، منها الأربعة الأحرف التي هي حروف الإطباق المذكورة، والغين والخاء والقاف. وإنما سميت بالاستعلاء، لأن الصوت يعلو عند

النطق بها إلى الحنك، فينطبق الصوت مستعليا بالريح (مع طائفة من اللسان إلى الحنك مع حروف الإطباق المذكورة).

الثاني عشر: الحروف المستفلة: وهي اثنان وعشرون حرفا، وهي ماعدا الحروف المستعلية المذكورة، وإنما سميت مستفلة، لأن اللسان والصوت لا يستعلي عند النطق بها إلى الحنك، كما يستعلي (عند النطق) بالحروف المستعلية المذكورة، بل يستفل اللسان بها إلى قاع الفم عند النطق بها على هيئة مخارجها.

الثالث عشر: حروف الصفير: وهي ثلاثة: (الزاي والسين والصاد)، وإنما سميت بحروف الصفير، لصوت يخرج معها عند النطق بها يشبه الصفير.

الرابع عشر: حروف القلقلة: ويقال: اللقلقة: وهس خمسة أحرف، يجمعها هجاء قولك: (جد بطق) وإنما سميت بذلك، لظهور صوت يشبه النبرة عند الوقف عليهن وإرادة إتمام النطق بهن، فذلك الصوت في الوقف عليهن أبينُ منه في الوصل بهنّ، وقيل أصل هذه الصفة للقاف، لأنّه حرف ضُغط عن موضعه، فلا يقدر على الوقف عليه إلا مع صوت زائد، لشدة ضغطه، واستعلائه، ويشبهه في ذلك أخواته المذكورات معه.

الخامس عشر: حروف المدّ واللّين: وهي ثلاثة أحرف (الألف) و(الواو الساكنة قبلها ضمّة) و(الياء الساكنة التي قبلها كسرة)، وإنما سميت بحروف المد واللين، لأن مدّ الصوت لا يكون في شيء من الكلام إلا فيهنّ، ولأنهن في أنفسهن مدّات.

وإنما سمّين بحروف اللين، لأنهن يخرجن من اللفظ في لين من غير كُلفة على اللسان واللّهوات، بخلاف سائر الحروف.

السادس عشر: حرفا اللّين: وهما الواو الساكنة التي قبلها فتحة، والياء السّاكنة التي قبلها فتحة، وإنما سمّيتا بذلك، لأنهما يخرجان في لين، وقلة كُلفة على اللسان، لكنهما نقصتا عن مشابهة الألف، لتغير حركة ما قبلهما عن جنسهما فنقصتا عن المد الذي في الألف، وبقي فيهما اللّين، لسكونهما فسمّيتا بحرفي اللّين.

السابع عشر: الحروف الهوائية: وهي أيضا حروف المدّ واللّين المتقدّمة الذكر، وإنما سميت بالهوائية لأنهن نسبن إلى الهواء، ولأن كل واحدة منهن تهوي عند اللفظ بها في الفم، فعمدة خروجها في هواء الفم.

الثامن عشر: الحروف الخفية: وهي أربعة: (الهاء) و(حروف المد واللين) المتقدمة الذكر، وإنما سميت بالخفية لأنها تُخفى في اللفظ إذا اندرجت بعد حرف قبلها، إنما لفظها في هذا خفي بين حرفين، أو بعد حرف، أو حروف هواء.

التاسع عشر: حروف العلة: وهي أربعة: الهمزة، و(حروف المدّ واللّين المتقدّمة الذكر)، وإنما سمّيت بحروف العلّة، لأن التغيير والعلّة والانقلاب لا يكون في جميع كلام العرب إلاّ في أحدها.

العشرون: حروف التفخيم: وهي حروف الإطباق المذكورة، يتفخم اللفظ بها لانطباق الصوت بها بالرّيح من الحنك.

الحادي والعشرون: حروف الإمالة: وهي ثلاثة أحرف (الألف)، و (الراء)، و (هاء التأنيث)، وإنما سميت بحروف الإمالة، لأن الإمالة في كلام العرب لاتكون إلا فيها. ومعنى الإمالة أن تُميل الفتحة نحو الكسرة، وتميل الألف نحو الياء، وإذا أملت من أجل الرّاء، فلا بدّ من إمالة ما قبلها.

الثاني والعشرون: الحروف المُشربَةُ: ويقال لها: المخالِطَة – بكسر اللام، وفتحها –، وهي الحروف الستّة التي ذكرنا أن العرب اتّسعت فيها، فزادتها على التسعة والعشرين الحروف المستعملة، نحو (الصّاد) بين (الصّاد) و (الزّاي) و (همزة) بين بين، وشبه ذلك فهي مُشْربة بغيرها.

الثالث والعشرون: الحرف المكرّر: وهو (الرّاء) وسمّي بذلك لأنه يتكرّر على اللّسان عند النطق به، كأن طرف اللسان يرتعد به.

الرابع والعشرون: حرفا الغنّة: وهما النون والميم الساكنتان، سمّيتا بذلك، لأن فيهما غنّة تخرج من الخياشيم عند النطق بهما فهي زائدة فيهما.

الخامس والعشرون: حرفا الانحراف: وهما (اللام) و (الرّاء)، وإنما سمّيا بذلك، لأنهما انحرفا عن مخرجهما، حتى اتّصلا بمخرج غيرهما، وعن صفتهما إلى صفة غيرهما.

السادس والعشرون: الحرف الجرسيّ: وهو (الهمزة) سمّيت بذلك لأن الصوت يعلو عند النطق بها، ولذلك استُثقلت في الكلام، فجاز فيها التحقيق، والتخفيف، والبدَل، والحذف، وبين بين، وإلقاء الحركة.

السابع والعشرون: الحرف المستطيل: وهو (الضّاد) وسمّيت بذلك، لأنّها استطالت على الفم عند النطق بها حتى اتّصلت بمخرج اللام، وذلك لما اجتمع فيها من القوة بالجهر، والإطباق، والاستعلاء، فقويت (بذلك)، واستطالت في الخروج من مخرجها حتى اتصلت باللام، لقرب مخرج اللام من مخجها.

الثامن والعشرون: الحرف المُتفشّي: وهو (الشّين)، سمّيت بذلك، لأنها تفشّت في مخرجها عند النطق بها حتى اتصلت بمخرج الظاء، وقد قيل: إنّ في (الثاء تفشّيا).

التاسع والعشرون والثلاثون: الحروف / المُصمتة والحروف المُذلقة: فبهذين اللقبين لقّب ابن دُريد الحروف كلّها، قال ومعنى (المصمتة) – على ما فسره الأخفش –: أنها حروف أُصمتت، أي مُنعت أن تختص ببناء كلمة في لغة العرب، إذا كثُرت حروفها لاعتياضها على اللسان.

ومعنى الحروف المذلقة – على ما فسّره الأخفش–: أنها حروف عمَلُها وخروجها من طرف اللسان، وما يليه من الشفتين، وطرف كل شيء: ذلَقُه، فسُمّيت بذلك، إذ هي من طرف اللسان، وهو ذلقه.

الحادي والثلاثون: الحروف الصُّتم: وهي الحروف التي ليست من الحلق، وهي ماعدا السبعة الأحرف الخارجة من الحلق، وهي (الهمزة، والهاء، والألف، والعين، والحاء،

والغين، والخاء)، فما عدا هذه السبعة الأحرف يقال له صُتْمٌ، وإنما سمّيت صُتما لتمكنها في خروجها من الفم واستحكامها فيه، يقال للمُحكَم: المصتمُ.

الثاني والثلاثون: الحرف المهتوفُ: وهو الهمزة، سمّيت بذلك لخروجها من الصدر كالتهوع، فتحتاج إلى ظهور صوت قوي شديد، والهتف: الصوت الشديد.

الرابع والثلاثون: الحرف الرّاجعُ: وهو الميم الساكنة، سميت بذلك لأنها ترجع في مخرجها إلى الخياشيم، لما فيها من الغنّة، ويجب أن يشاركها في هذا اللقب النّون الساكنة، لأنها ترجع أيضا إلى الخياشيم، لما فيها من الغنّة.

الرابع والثلاثون: الحرف المتّصل: وهو الواو، وذلك أنها تهوي في مخرجها في الفم، لما فيها من اللّين حتى تتصل بمخرج الألف.

ثم يضيف قائلا في هذا الباب: « قال أبو محمّد: فهذه أربعة وثلاثون لقبا (للحروف) قد بيّناها وشرحناها، وكل واحد من هذه الألقاب يدلّ على معنى وفائدة في الحرف ليس في غيره ممّا ليس له ذلك اللقب» "[1].

وبعد هذا التفصيل للحروف الأربعة والثلاثين وألقابها " بقيت عشرة ألقاب تمام (أربعة وأربعين) لقبا، لقبها بها الخليل بن أحمد في أول كتاب (العين)، جعل ألقابها عشرة مشتقة من أسماء المواضع التي تخرج منها الحروف وهي:

الأول من العشرة: الحروف الحلقية: وهي ستّة: العين، والحاء، والهاء، والخاء، والغين، والهمزة، فهذه الحروف تخرج من الحلق، نسبهن إلى الموضع الذي يخرجن منه وهو الحلق، فقال فيهن حلقية، ولم يذكر الخليل معهن الألف لأنها تخرج من هواء الفم، وتتصل إلى آخر الحلق، فلما لم تقتصر في خروجها على الحلق دون الفم لم يذكرها مع حروف الحلق.

1 – أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، ص: 77.

الثاني: (الحروف اللهوية): وهما حرفان: (القاف)، و (الكاف)، سمّاها الخليل بذلك لأنه نسبهما إلى الموضع الذي يخرجان منه، وهو اللهاة، واللهاة: مابين الفم والحلق.

الثالث: الحروف الشّجرية: وهي ثلاثة أحرف (الشين) و (الضاد) و(الجيم)، سماهنّ الخليل بذلك، لأنه نسبهنّ إلى الموضع الذي يخرجن منه، وهو مفرج الفم.

الرابع: الحروف الأسلية: وهي ثلاثة: (الصاد) و (السّين) و (الزّاي) وسماهن الخليل بذلك، لأنه نسبهُنّ إلى الموضع الذي يخرجن منه، فلما كنّ يخرجن من طرف اللسان – وطرف اللسان: أسلتُهُ – نسبهن إلى ذلك.

الخامس: الحروف النطعية: وهي ثلاثة: (الطاء) و(الدّال) و(التّاء) سماهنّ الخليل بذلك، لأنه نسبهن إلى الموضع الذي يخرجن منه، فلما كان مخرجهن من نِطعِ الغار الأعلى – وهو سقفُه – نسبهن إليه.

السادس: الحروف اللثوية: وهي ثلاثة: (الظاء) و(الثاء) و(الذال)، وسماهن الخليل بذلك لأنه نسبهن إلى اللثة، لأنهن يخرجن منها، واللّثة: اللحم المركب فيه الأسنان.

السابع: الحروف الذلقية: ويقال: الذِّلقية، والذّوْلقية، وهن ثلاث: (الراء) و (اللام) و(النون)، وسماهن الخليل بذلك لأنه نسبهن إلى موضع خروجهن وهو طرف اللسان، وطرف كلّ شيء: ذلَقُه.

الثامن: الحروف الشفهية: ويقال: الشفوية، وهي ثلاثة: (الفاء) و(الباء) و(الميم)، وسماهن الخليل بذلك لأن مخرجهن من بين الشفتين، فنسبهن إلى الشفة.

التاسع: الحروف الجوفية: ويقال: الحروف الجُوفُ – جمع أجوف – وهن ثلاثة: (الألف) و (الواو)، و (الياء)، وهي حروف المد واللين المتقدمة الذكر، وسماهن الخليل بذلك لأنه نسبهنّ إلى آخر انقطاع مخرجهن، وهو الجوف.

العاشر: الحروف الهوائية: وهن الجوف، وقد تقدم ذكرهن وشرحهنّ، فذلك أربعة وأربعون لقبا، بتكرير لقب واحد، فاعرف هذه الصفات والألقاب، واختلاف معانيها

وأحكامها و(طباعها)، فلولا اختلاف صفات الحروف ومخارجها وأحكامها وطِباعها التي خلقها الله – جلّ ذكره – عليها، لما فُهم الكلام، ولا عُلم معنى الخطاب، ولكانت الأصوات ممتدة لا تُفهم من مخرج واحد، وعلى صفة واحدة كأصوات البهائم "[1]".

2-1-2-2-التغيرات الصوتية في أداء بعض القراءات القرآنية:

إنّ ما يطرأ على الأصوات اللغوية من تغيير أو تأثر ببعضها البعض أثناء عملية الأداء راجع لطبع الإنسان وميله دائما للتسهيل والتيسير قصد اختصار الجهد أثناء عملية النطق، فيستعين في ذلك إلى تغيير بعض الأصوات بأصوات أخرى ليكون التلفظ أيسر في النطق وأكثر تآلفا مع الأصوات الواردة لها وبذلك تتأتى معالم الانسجام الصوتي أثناء الأداء، وإذا كانت هذه التغيرات الصوتية تمس دائما التركيب الأدائي من تبدّل أو اختلاف في الأصوات بين تشكيل لغوي سابق وآخر لاحق، فذلك راجع لتأثير عوامل من داخل الكلمة ناجمة عن تفاعل الأصوات مع بعضها أو تجاور بعض الكلمات، ضف إلى ذلك فاعلية العوامل النحوية والصوتية ضمن الجملة «ممّا ينعكس على الأصوات حذفا أو إبدالا إو إعلالا إو إدغاما أو إمالة»"[2]".

ومن جملة المظاهر الصوتية التي وردت في أداء بعض القراءات القرآنية ما يأتي:

1. **تسهيل الهمزة وتخفيفها** : وتسهيلها معروف منذ القدم، «حيث مالت كل اللهجات السامية إلى التخلص منها في النطق»"[3]"، عكس ما كان عند العرب فقد

1- أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، ص: 79.

2 – ينظر، سامي عوض، وصلاح الدين سعيد حسين، التغيرات الصوتية وقوانينها: – المفهوم والمصطلح – مجلة جامعة – تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سورية، اللاذقية، مجلد 31 – العدد : 1- 2009- ص131

3 – إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط8، 1992، ص: 77.

حققوها وكانت من ضمن خصائصهم اللهجية البدوية شرقي الجزيرة العربية ووسطها كتميم وما جاورها.

وكانت العرب تستلطف تسهيل الهمزة لما لهذا الأثر من نغمة موسيقية محبّبة لديهم، تستريح إليها الأذن عند سماعه بتمطيط الصوت، ضف إلى هذا قلة الجهد العضلي المبذول في التسهيل عكس ما يومئ إليه التحقيق، وبخاصة عندما تلتقي همزتان في كلمتين وهما مختلفتا الإعراب"[1]".

ثم يضيف قائلا لمثل هذه الحالة: ستة أوجه، وجه منها لم يجئ في القرآن، وهي الهمزة المكسورة التي بعدها همزة مضمومة كقولك: (هؤلاء أمراء)، وباقيها موجودة في القرآن:

1-فأول ذلك المضمومة التي بعده المفتوحة كقوله: ﴿**ءَالسُّفَهَآءُ أَلَآ**﴾"[2]"، تهمز الأولى وتخفف الثانية وتنحو بها نحو الألف.

2-وبعد ذلك المضمومة التي بعدها مكسورة كقوله:﴿ **وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ**﴾"[3]"، تهمز الأولى وتنحو بالثانية نحو الياء من غير أن تكسرها.

3-والثالثة المفتوحة التي بعدها مكسورة نحو قوله: ﴿**أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ**﴾"[4]".

4-والرابعة المفتوحة التي بعدها مضمومة كقوله: ﴿ **جَآءَ أُمَّةَۢ رَّسُولُهَا**﴾ "[5]"، تهمز الأولى وتنحو بالثانية نحو الواو من غير ضم.

---

1 - أبو زرعة عبد الرحمن، حجة القراءات، تح سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط5، 1997، ص: 90 .

2 - سورة البقرة، [الآية: 13].

3 - سورة البقرة، [الآية: 282].

4 - سورة البقرة، [الآية: 133].

5 - سورة المومنون، [الآية: 44].

5-والخامسة المكسورة التي بعدها مفتوحة نحو قوله: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ﴾"[1]"، تهمز الأولى وتنحو بالثانية نحو الألف، فهذا مذهب نافع وابن كثير وأبي عمرو"[2]".

ويقول أن حجّتهم في تلك القراءة « أن العرب تستثقل الهمزة الواحدة فتخففها في أخف أحوالها وهي ساكنة نحو (كاس) فتقلب الهمزة ألفا، فإذا كانت تخفف وهي وحدها فأن تخفف ومعها مثلها أولى»"[3]".

أمّا إذا اقترنت الهمزتان واتفقتا في الإعراب وذلك إذا أتيتا " مكسورتين كهمزة (هؤلاء) وهمزة (إن) في قوله تعالى:﴿ إِن كُنتُمۡ ﴾"[4]"، أو تكونا مفتوحتين كهمزة (جاء) وهمزة (أمرنا) في قوله تعالى: ﴿ جَآءَ أَمۡرُنَا ﴾"[5]"، أو تكونا مضمومتين كالهمزة الأخيرة في (أولياء) والهمزة الأولى في (أولئك) في قوله تعالى: ﴿ أَوۡلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾"[6]" فقرأ ابن عامر وأهل الكوفة جميع ذلك بهمزتين"[7]".

أمّا ورش عن نافع في قراءته، والقواس عن ابن كثير فقرءا بتحقيق الهمزة الأولى وتليين الثانية والإشارة إليها بالكسر «يهمزان الأولى ويلينان الثانية ويشيران بالكسر إليها، وفي المفتوحتين يشيران بالفتح إليها، وفي المضمومتين يشيران بالضم إليها»"[8]".

1- سورة الملك، [الآية: 16].
2- أبو زرعة عبد الرحمن، حجة القراءات، ص: 90-97.
3- المرجع نفسه، ص:91.
4- سورة الملك، [الآية: 25]
5- سورة هود، [الآية: 40]
6- سورة الأحقاف، [الآية: 32]
7- أبو زرعة، حجة القراءات، ص91.
8 - المرجع نفسه، ص: 92.

بناء على ما سلف ذكره من ترجيحات يظهر جليا أن علّة تسهيل الهمزة الثانية بغية التخفيف واقتصاد الجهد العضلي، لأن النطق بالهمزة يتطلب جهدا لحبس الهواء مع الأولى وانفتاح العضو بعدها مباشرة للهمزة الثانية فيصعب ذلك أو العكس، وقد بيّنت المخابر الحديثة وأدلت في ذلك «أن الصدر لا يواصل ضغطا ثابتا خلال المجموعة النَفَسية وأن عضلات الصدر تنتج نبضة منفصلة من الضغط لكل مقطع»"[1]".

وقد نبّه سيبويه على مثل ذلك في قضية تسهيل إحدى الهمزتين عند تجاورها في حالات معينة فقال: « وليس من كلام العرب أن تلتقي همزتان فتحققا، ومن كلام العرب تخفيف الأولى وتحقيق الآخرة »، وهو قول أبي عمرو: وذلك قوله: ﴿ **جَآءَ أَشۡرَاطُهَا** ﴾"[2]" ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ ﴾"[3]"، ومنهم من يحقق الأولى ويخفف الآخرة، سمعنا ذلك من العرب.وهو قولك (فقد جاء أشراطها)، و (يا زكرياءُ إنا نبشرك)"[4]".

ومن أمثلة القراءات التي أوردت تسهيل الهمزتين المتجاورتين:

1- قرأ أبو عمرو ونافع وقالون وغيرهم بتسهيل الهمزة الثانية وإدخال ألف بين الهمزتين"[5]" في قوله تعالى: " أأنذرتهم ".

2- وقرأ ابن كثير وورش بتسهيل الثانية وعدم إدخال ألف"[6]"، وقرأ ورش من طريق الأصبهاني، وكثير عنه من طريق الأزرق، وقنبل، فيما رواه الجمهور، عنه، من طريق ابن

1 - أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص: 237-238.

2 - سورة محمد، [الآية: 18].

3 - سورة مريم، [الآية: 07].

4 - سيبويه، الكتاب، ج3، ص: 549.

5 - أبو حيان، البحر المحيط، مطبعة السادة، القاهرة، ط1، 1328هـ، ج1، ص: 128.

6- المرجع نفسه، ص: 128.

مجاهد، وكذا رويس، من غير طريق أبي الطيب، بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية بين بين، في الأنواع الثلاثة "[1]".

وفي التخفيف وإبدالها حرف مد فقد «قرأ ورش، من طريق الأزرق، فيما رواه عنه الجمهور، من المصريين، ومن أخذ عنهم من المغاربة، وقنبل – أيضا – من طريق ابن شنبوذ، فيما رواه عنه عامة المصريين، والمغاربة، بإبدالها حرف مد خالصا، من جنس سابقها، ففي الفتح ألفا، وفي الكسر ياء، وفي الضم واوا، مبالغة في التخفيف، وهو سماعي »"[2]".

واختلفوا في المحذوف منها بين الأولى والثانية « ما ذكر من أن المحذوف هو الأولى، هو الذي عليه الجمهور، من أهل الأداء. وذهب سيبويه، وأبو الطيب، وابن غلبون، إلى أنها الثانية، وتظهر فائدة الخلاف –كما في النشر–في المد: فمن قال بالأول كان المد عنده من قبيل المنفصل، ومن قال بالثاني كان عنده من قبيل المتصل» "[3]".

اختلاس الحركة:

يصطلح على الاختلاس عند علماء التجويد بأنه: «عبارة عن الإسراع بالحركة إسراعا يحكم السامع به أن الحركة قد ذهبت وهي كاملة في الوزن»"[4]"، وقال الداني: «وأما المختلس حركته من الحروف فحقه أن يسرع اللفظ به إسراعا، يظن السامع أن

1- أحمد بن محمد البنا، اتحاف فضلاء البشر بالقراءات العشر، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1987، ج1، ص: 194

2 - المرجع نفسه، ص: 194.

3- المرجع نفسه، ص: 195.

4- ينظر، غانم قدوري أحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: 431 .

حركته قد ذهبت من اللفظ لشدة الإسراع، وهي كاملة في الوزن تامة في الحقيقة، إلا أنها لم تمطط، ولا ترسل بها، فخفي إشباعها ولم يتبين تحقيقها»"[1]".

وقال الداني أيضا في موضع آخر: " وكذا المخفى حركته من الحروف سواء، قال سيبويه : المخفى بوزن المظهر. وقال غيره: هو بزنته ألا إنه أنقص صوتا منه. وحقيقته في اللغة السترة، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا** ﴾"[2]" أي: أسترها.

والمخفى شيئان: حرف وحركة. فإخفاء الحرف نقصان صوته، وإخفاء الحركة نقصان تمطيطها"[3]".

هذا وقد اتضح من خلال هذه التحديدات لمصطلح الاختلاس في عدم نطق الحركة كاملة فيكتفي القارئ بثلثي الحركة أو أكثرها فتنحو بذلك الحركة منحى الضعف، قال ابن جني: «فأمّا الحركة الضعيفة تخفيفا، فليست حركة مشمّة شيئا من غيرها من الحركتين، وإنما أضعف اعتمادها، وأخفيت لضرب من التخفيف، وهي بزنتها إذا وفّيت ولم تختلس»"[4]". ثم يبيّن عبد الصبور شاهين أن «الحركة في الاختلاس تكون أقصر زمنا، وتكاد تفقد الجهر مثلما تحدث في الإسرار أو الوشوشة»"[5]".

ومن جملة الأمثلة التي وردت فيها القراءة بالاختلاس في الحركة ما يأتي، قرأ الدوري بخلف عنه عن أبي عمرو البصري بالضمة المختلسة في الراء في قال تعالى:

1 – غانم قدوري أحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: 431.

2 – سورة طه، [الآية: 15].

3– المرجع السابق، ص: 431.

4– أبو الفتح عثمان ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1، ص: 56.

5 – ينظر، عبد الصبور شاهين، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، ص: 370 .

﴿يَأۡمُرُهُمَ ﴾"1"، ويقول تعالى: ﴿ يَنصُرُكُمۡ ﴾"2"، وقال تعالى: ﴿ يُشۡعِرُكُمۡ ۖ ﴾"3"، ويخلف عنه أيضا بالكسرة مختلسة في قول الله تعالى: ﴿ بَارِئِكُمۡ ﴾"4"، والوجه الثاني هو السكون المحض"5".

وقال الداني: «فأما إخفاء الحركات فهو اختلاسها والإسراع باللفظ بها من غير تسكين ولا تشديد، وهو عند النحويين بزنة متحرك، يعنون أن الصوت يضعف لا أنه يسكن رأسا، وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾"6" في قول الجماعة، وقوله: ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ﴾"7"، ﴿لا يَحِلُّ لَكُمۡ ﴾"8"، ﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ ﴾"9"، وشبه ذلك من مذهب أبي عمرو"10".

وتأتي أحيانا كلمة الاختلاس في استخدماتها بمعنى غير الذي ذكر، "وهو الإتيان ببعض الحركة. فقول السعيدي مثلا في باب الواو إذا انفتحت وما قبلها مضموم، نحو

1- سورة الأعراف، [الآية: 157].
2 - سورة الملك، [الآية: 20].
3- سورة الأنعام، [الآية: 109].
4 - سورة البقرة، [الآية: 54].
5 - ينظر، الشاطبي، حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، سورية، تص محمد تميم الزعبي، ط4، 2004، ص: 37.
6- سورة يوسف،[الآية: 11].
7- سورة البقرة، [الآية: 185].
8 - سورة النساء، [الآية: 19].
9 - سورة الأعراف، [الآية: 32].
10 - ينظر، غانم قدوري أحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: 432.

قوله تعالى " **هو الذي**" وما كان مثله : « ينبغي أن تكون الضمة قبل هذه الواوات وما أشبهها مختلسة غير مشبعة، ولا يزاد على لفظها فتزول عن حد الاختلاس إلى الإشباع، فإنها إذا أشبعت الضمة قبلها صارت في اللفظ واوين، الأولى ساكنة، والثانية مفتوحة، كقوله: « هُووَ الذي...فلا يراد بالاختلاس هنا إنقاص الحركة حقها من المد، وإنما يقصد به إعطاؤها حقها مع التحفظ من الإشباع والزيادة في المد، لأنه موضع تميل الضمة فيه إلى الطول، فيتولد منها حينئذ حرف من جنسها وهو الواو، وفي ذلك إخلال بالتلاوة» "[1]".

وفي هذا الصدد يقول عبد الوهاب القرطبي: « ويفرق بين المشبع والمختلس في اللفظ ككسرة ما قبل الياء في (إنّي أخاف) و (يدي إليك)... فإن هذه الكسرات تُشبعُ مادامت الياء ساكنة، فإذا تحركت بالفتح عادت الحركة التي قبلها إلى الاختلاس، لأنك لو أشبعت كسرة ما قبلها مع الفتح فيها صارت في تقدير ياءين، وذلك مستكره»"[2]".

ويضيف في موضع آخر عن اختلاس الحركة وكيفية أداءها وعلى ماذا تقع، « فإذا سمعت حض أئمة القراءة وأصحاب الأداء على اختلاس الحركة في موضع ما فإنما ذلك لأن الحركة تظهر على ذلك الحرف، وفي ذلك المكان، وينطاع بها اللسان أكثر من انطياعه بها على حرف آخر وفي موضع آخر، فيكون الإشباع إليها أسرع» "[3]".

1 – ينظر، غانم قدوري أحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: 435.

2 – المرجع نفسه، ص: 435.

3 – المرجع نفسه، ص: 435.

قانون المماثلة الصوتي:

في كثير من الأحيان ما تقترب الأصوات من بعضها البعض في المخرج أو الصفة أو يتأثر بعضها ببعض أثناء الأداء ممّا يؤدّي إلى المماثلة التامة فتحدث ظاهرة الإدغام في كنف هذا التجاور والتقارب، تختلف في نسبة التأثر من صوت لآخر، فهناك أصوات سريعة التأثر تندمج مع أصوات أخرى بسرعة كبيرة وهذا راجع لمسألة الإنسجام الصوتي واختصار الجهد العضلي أثناء النطق.

وعقد سيبويه لهذه الظاهرة بابا سمّاه (المضارعة)، فقال: « هذا باب الحرف الذي يضارع به حرف من موضعه والحرف الذي به ذلك الحرف وليس من موضعه»"[1]"، والمضارعة في هذا القول يقصد بها التماثل والمشابهة.

والأمثله في هذا الباب كثيرة أوردها القرآن الكريم في مواضع شتّى« كلّها يوضح تأثر الأصوات العربية بالجوار ويسجلها القرآن بشتى ألوانها وأوضاعها، وكلّ منها يشير إلى بند من بنود القاعدة العامة للجوار الصوتي»"[2]".

وجاء في طيّ الآية من سورة البقرة قوله تعالى: ﴿ **وَإِنۡ أَرَدتُّمۡ أَن تَسۡتَرۡضِعُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ** ﴾"[3]"، والملاحظ هنا في الآية تأثر حرف التاء بما قبله من حرف، وهما حرفان يتفقان في نفس المخرج فحدث التماثل بينهما بحيث أدغمن الأولى في الثانية، «وفي هذا الرسم الذي شدّدت في التاء، أثر ثم إيضاح للتأثر الصوتي الذي

1 - سيبويه، الكتاب، ج2، ص: 462.

2- نشأة محمد رضا ظبيان، علوم اللغة العربية في الآيات المعجزات، ص: 97.

3 - سورة البقرة، [الآية: 233].

ألغى صوت الدال واستعاض عنه بالإدغام في التاء كتاءين، وهو كما لا يخفى دليل على أن الإدغام لا يكون للمتماثلين فحسب وإنما يكون للأصوات المتجاورة في المخرج الصوتي، أو تلك المتحدة بالصفات، وهنا التجاور في المخرج جعل التأثر رجعيا بين الدال والتاء، فقلبت الأولى تاء، وأدغمت بها كما ورد في السورة المذكورة سابقا»"[1]".

وفي موضع آخر من نفس السورة في قوله تعالى: ﴿ **مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ** ﴾"[2]"، «لقد تأثر حرف السين المهموس بالطاء المجهورة وهو كما ترى تأثر صوتي رجعي فانقلبت السين المهموسة إلى مجهورها الصاد لتناسب الحرف المجاور ولتسهل على النطق الانتقال من صوت إلى صوت آخر تخفيفا لجهد أعضاء النطق، جلّت قدرة اللطيف الخبير»"[3]".

وفي هذا الصدد نجد إشارة للعلامة الجمزوري إلى ما تقدم ذكره في التحفة قائلا:

إن في الصفات والمخارج اتّفق * حرفان فالمثلان فيهما أحقّ**
أو إن يكونا مخرجا تقاربا * وفي الصفات اختلفا يُلقّبا**
متقاربين أو يكونا اتّفقا * في مخرج دون الصفات حُقّقا**
بالمتجانسين ثمّ إن سكن * أوّل كل فالصغير سمّين**
أو حرّك الحرفان في كلّ فقل * كل كبيرٌ وافهمنه بالمُثل"[4]"**

1- نشأة محمد رضا ظبيان، علوم اللغة العربية في الآيات المعجزات، ص: 97.

2- سورة البقرة، [الآية: 245].

3- المرجع السابق، ص: 97.

4 - عبد الفتاح السيد عجمي المرصفي، هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، مكتبة طيبة، المدينة المنورة، دت، ط2، ص: 223.

ومن التماثل الكلي ما نلحظه في القرآن ونسمعه أثناء الأداء القرآني، الإدغام حيث عرّفه مكي بقوله: « اعلم أنّ معنى الإدغام هو أن يلتقي حرفان متقاربان أو مثلان فتدغم الأول في الثاني وتردهما بلفظ حرف واحد مشدّد، ولا يقع الإدغام البتّة حتى يصيرا مثلين ويسكن الأول، فإذا كانا غير مثلين أبدلت من الأول حرفا مثل الثاني ثم تدغم، فتكون بذلك قد أدغمت مثلين»"[1]".

أمّا ابن الجزري فيعتبر الإدغام: « عبارة عن خلط الحرفين وتصييرهما حرفا كالثاني مشدّدا وكيفية ذلك أن يصير الحرف الذي يراد إدغامه حرفا على صورة الحرف الذي يدغم فيه فإذا تصيّر مثله حصل حينئذ مثلان، وإذا حصل مثلان وجب الإدغام حكما جماعيا»"[2]". هذا وإن الإدغام ظاهرة صوتية لهجية يميل مستعملها إلى مزج المتقاربين أو المثلين وهو قسمان عند القرّاء:

1-الكبير: « ما كان الأول من الحرفين فيه متحركا، سواء أكانا مثلين أم جنسين أم متقاربين وسمي كبيرا لكثرة وقوعه إذ الحركة أكثر من السكون، وقيل لتأثيره في إسكان المتحرك قبل إدغامه وقيل لما فيه من الصعوبة، وقيل لشموله نوعي المثلين والجنسين والمتقاربين»"[3]".

2-الصغير : « عبارة عما إذا كان الحرف الأول منه ساكنا»"[4]".

---

1 - أبو مكي بن أبي طالب القيسي، التبصرة في القراءات االسبع، تح محمد غوث الندوي، مطبوعات الدار السلفية، الهند، ط2، 1982، ص: 350-351.

2 - شمس الدين أبو الخير محمد بن الجزري، التمهيد في علم التجويد، تح غانم قدوري الحمد، مؤسسة الرسالة، ط4، 1997، ص: 69.

3 - أبو الخير محمد بن محمد بن الجزري، النشر في القراءات العشر، تح علي محمد الضباع، دار الكتاب العربي، دت، ج1، ص: 274.

4 - المرجع نفسه، ج2، ص: 02.

وقال: «البناء: "الإدغام الكبير" وهو ما كان الأول من المثلين أو المتجانسين أو المتقاربين متحركا» "[1]، وقال عن الصغير : « هو ما كان الحرف المدغم منه ساكنا»"[2]".

أما التماثل فنعني به الاتفاق والاتحاد مخرجا وصفة لحرفين متتاليين، قال عنه ابن الجزري: « التماثل أن يتفقا مخرجا وصفة – يقصد الحرفين – كالباء والتاء في التاء وسائر المتماثلين»"[3]".

ويطلق إدغام مثلين صغيرين على ما كان مصحوبا بالغنة كقوله تعالى: ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ ﴾"[4]"، و"الٓمٓ " و﴿ لَن نُّؤۡمِنَ ﴾"[5]"، « فيسمّى إدغام مثلين صغيرا مع الغنّة»"[6]".

وفي الختام، نخلص إلى أن معالم استراتيجية التحليل الفونيتيكي للخطاب القرآني، تستوجب استجلاء مجمل القضايا والأطروحات الصوتية، التي احتوت النسيج اللغوي المكوّن لإعجازية الخطاب القرآني، من خلال استقراء المدوّنة الصوتية العربية التي خاضت في مجمل القضايا الفونتيكية للصوت في القرآن الكريم، تركيزا على بعده الإعجازي .

1 – أحمد عبد الغني الدمياطي البناء، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، دار الندوة، ص: 20.
2 – المرجع نفسه، ص: 27.
3 – أبو الخير محمد بن محمد بن الجزري، النشر في القراءات العشر، تح علي محمد الضباع، ج1، ص: 278.
4 – سورة البقرة، [الآية: 249].
5 – سورة الاسراء، [الآية: 90].
6 – هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، ص: 238.

وتبعا لهذا، فإنّ الإرهاصات الأولى للنظرية الفونيتيكية في التراث اللغوي العربي، كانت بهدف صيانة الخطاب القرآني من اللحن وتحصينه من الزّلل الذي هدّد البنية الدلالية التي حملها نسقه التركيبي.

وعليه، اتّجه اهتمام العرب آنذاك دراسة وتمحيصا لجلّ التمظهرات التركيبية والصوتية والصرفية والدلالية للدرس اللغوي، في حدود صيانة القرآن الكريم من اللحن اللغوي.

الفصل الثاني

نماذج التنظير الفونولوجي للخطاب القرآني بين التوجه النسقي والصواتة التطريزية

تمهيد:

مما لاشك فيه أن وضع الإطار النظري لفونولوجيا الخطاب القرآني، يستوجب تحديد الموقف المنهجي للنظرية الفونولوجية، وموقعها ضمن سياق المعرفة اللسانية الحديثة، ومدى صلاحيتها لتحليل البعد الوظيفي للصوت في الخطاب القرآني، الذي يستدعي معالجة من نوع خاص تحترم الخصوصية الإعجازية التي ينهض عليها. ولذا، فإن الاعتماد على إجرائية التحليل الفونولوجي دون الأخذ بعين الاعتبار الخصوصية الإعجازية التي يتسم بها النسيج الصوتي للخطاب القرآني، لا تعدو أن تكون ضربا من العبث المنهجي.

ومن ثم، وحتى نتمكن من تحديد الأنموذج الفونولوجي الذي يصلح لمعالجة الصوت في الخطاب القرآني، نحسب أن المنهج يحتم علينا تحديد الإطار المنهجي للنظرية الفونولوجية التي أفرزتها المقاربات اللسانية الحديثة، ليتسنى لنا بعد ذلك الوقوف على إمكانية استثمار هذه المقاربات لتأسيس فونولوجيا الخطاب القرآني.

1-المرجعية اللسانية للنظرية الفونولوجية النسقية:

تقتضي المعالجة الفونولوجية للصوت الاعتماد على إجرائية التحليل الوظيفي التي تفرزها النظرية اللسانية، والتي تباينت بين تيار لساني يكتفي بالانغلاق على النسق، وتيار آخر استثمر الأبعاد الإنجازية للصوت، و « بذلك لا تظل الفونولوجيا متمسكة بظاهر الأصوات، بل تنفذ إلى جوهرها، إلى وظيفة الأصوات في النظام اللغوي لأن أصوات البشر المنطوقة لم توجد من أجل ذاتها، بل تمثل نظاما مرتبا من علامات الفهم»"[1]".

1-جرهارد هلبش، تاريخ علم اللغة الحديث، تر سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، 2003، ط1، ص99.

1-1-السياق اللساني للنظرية الفونولوجية النسقية:

استقرت الدراسات اللسانية الحديثة على اعتبار المبحث الفونولوجي مبحثا صوتيا وظيفيا يتعامل مع الفونيم وفقا للتصور المنهجي الذي تندرج ضمنه النظرية الصوتية، التي ارتبطت بالملمح المنهجي والإجرائي للنظرية اللسانية ككل.

وإذا ما تقصّينا طبيعة التحول الذي شهدته الدراسة اللسانية، فإنّنا نلفي انعطافا منهجيا انزاحت على إثره هذه الدراسة صوب تمثّل صياغة جديدة في إطار النظر اللساني للغات الطبيعية الخاصّة، وانطلاقا من هذا التأسيس « ظهر تيّاران مختلفان متمايزان، أصبحت اللسانيات مع أحدهما وصفا للغات وسعيا لإبراز ما يميّز كل لغة عن اللغات الأخرى [...]، بينما صارت مع التيار الآخر دراسة لكيفية اشتغال ملكة اللغة ***le fonctionnement du langage*** باعتبار أنّ اللغات المختلفة إنّما تمثل حالات خاصة لتجلّي ملكة اللغة المشتركة بين الآدميين، وأن الفوارق بينها لا تعدو أن تكون فوارق سطحية »"[1]".

وضمن هذا المنحى من التصور، شهد القرن العشرون بزوغ اتجاهات جديدة، أرست حجر الأساس لوضع منهج علمي جديد قائم على بحث علمي محض منظم وممنهج، يلغي كل الثوابت من المتغيرات الطارئة التي تتّكئ على عنصر الفعل، بل نهضت هذه الاتجاهات الجديدة وبمجمل ما قامت عليه، وفية للمأخذ القديم تمتح من تنظيراته في تناولها، وترتبط « ارتباطا لا ينفصم بنظرية المعرفة "الإبستيمولوجيا" ***epistemology***. ولما كان مفهوم البنية واقعا في موقع المركز من البحوث المعرفية، فقد بحث الدارسون إمكان إيجاد أكثر الإجراءات فعالية لوصف البنية بمصطلحات علمية، ولما كان الكلام

1 -عبد الجبار بن غريبة، مدخل إلى علم النحو العرفاني، (نظرية رونالد لانقاكر)، دار مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط01، 2010، ص: 14.

البشري غير ملائم لمثل هذه الأغراض، من حيث أنه ليس بالضرورة منضبطا ومنطقيا، فقد وحد الدارسون جهودهم لكي يضطلعوا بتأسيس قواعد "اللغة الواصفة" ***meta–language***، أي لغة التحليل العلمي التي هي أوفر اللغات حظا من المنطقية»"[1]".

وبذلك تهيأ للدرس اللساني على يد "سوسير" تحقيق الاستقلالية المعرفية التامة، والتخلص من التبعية للحقول المعرفية المجاورة، كالفلسفة وعلم التاريخ، وعلم النفس، والفيلولوجيا، فقد تمكن "**سوسير**" من تقديم تصور ينهض على منطلق أساسي، يعتبر اللسانيات « ذلك العلم الذي يدرس اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها، واضعا في حسبانه ضرورة بناء نظرية لغوية مستقلة تجيب عن أسئلة لسانية صرفة من مثل: ما طبيعة اللغة ؟ وكيف تتصرف إلى ألسن؟ »"[2]".

وعلى شفير هذا الملمح من الطرح، كان لابدّ من إضافة جديدة تثري هذه العلوم، منطلقة من إشكالاتها لا تسمياتها وهي تحاول تلافي جاهزية المعطيات القبلية، بالانفلات إلى منعرج مغاير يميط اللثام عن بعض الترهلات الحاصلة على مستوى المفهوم والقدرات وتفسيرها، ضمن جملة من الاعتبارات تتدرج بها وتندرج عبرها وشائج هذا التعالق وموالج التعاضد بين البنيوية والتوليدية كمشكاة تحمل صورتان لسانيتان « لكل من علم النسق وعلوم الإدراك»"[3]".

1 –ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني، ترجمة سعد عبد العزيز مصلوح، وفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، ط02، 2000، ص: 102.

2– محمد محمد العمري، الأسس الإبستمولوجية للنظرية اللسانية – البنيوية والتوليدية –، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، 2012، ط01، ص: 21.

3– المرجع نفسه، ص: 24.

ركحا على هذا التصور، وتساوقا مع ما أفرزته التصورات البنوية والتوليدية، تشكل السياق التحليلي للاتجاهين، فكان « الاعتباط والقيمة والدليل بالنسبة للبنيويين، وعنصر الإبداع اللغوي والمعرفة الفطرية والنحو الكلي بالنسبة للتوليديين»"[1]"، وهو ما دفع إلى تباين التساؤلات المطروحة في التيارين، حيث انشغل التيار البنوي بنسقية اللسان، بينما انصرف التوجه التوليدي لمعالجة القضايا اللغوية المتعلقة بالجانب الاستنباطي للكفاية اللغوية، و « الأساس الذهني للمعرفة اللغوية»"[2]".

تبعا لهذا الطرح، توقف الاتجاه النسقي للدرس اللساني « عند حدود اللسان الذي يعتبره أعلى درجات العام، ويقصي اللغة التي يرى فيها أنها كيان غير متجانس أو غير مؤنسق»"[3]"، بينما انصرف تشومسكي « إلى اللغة التي تجسد، في نظره، الخاصية التي لا يمكن معرفة القدرة اللسانية إلا بعد معرفتها، بحيث يصبح اللسان مجرد ظاهرة عرضية، وبعبارة مختصرة، فإن التوليدية ابتدأت من حيث انتهت البنيوية»"[4]".

وإذا ما تقصينا الثوابت المنهجية الإجرائية التي ينهض عليها الفكر اللساني النسقي، فإننا نلفيها تتأسس على النسق المعرفي الذي أسّسه دو سوسير، والذي ينهض –بدوره– على مجموعة من التقابلات والعلاقات الحاصلة بينها، والبث في كيفية البحث فيها، من خلال وضع الفوارق بين ثلاثية من المصطلحات الأساسية التي ارتكز عليها الفكر اللساني في تلك المرحلة، متمثّلة في اللغة، والكلام، واللسان، وفي ضوء هذا يرد

1 – محمد محمد العمري، الأسس الإبستمولوجية للنظرية اللسانية – البنيوية والتوليدية –، ص: 25.

2 –المرجع نفسه، ص: 24–25.

3 –المرجع نفسه، ص: 25.

4–المرجع نفسه، ص: 25.

تصور دي سوسير للغة « نتاجا اجتماعيا لملكة اللسان، وتواضعات ملحّة ولازمة، يتبنّاها الجسم الاجتماعي»"[1]".

تأسيسا على ما سلف يتّضح، أنّ سوسير يؤكّد على ضرورة « التباين الحاصل بين الظاهرتين، ففعل الكلام عنده هو سلوك فردي، يخضع إلى ملكة النطق التي وهبها الخالق للإنسان، وهو بهذا يحيل الظاهرة الكلامية إلى مصاف الظواهر البيولوجية والحيوية، التي تتملص من كل قيد اجتماعي، على نحو القيد الذي تقبع تحته الظاهرة اللغوية »"[2]".

بناء على هذه التصورات الأساسية، اشتغل سوسير على وضع الضوابط المنهجية والإجرائية التي تعين على « اكتشاف مبدأ الوحدة الذي يهيمن على تعدد الظواهر التي تسود خبرتنا باللسان، فلا يتأتى أن تصنف الظواهر اللسانية ضمن الظواهر الإنسانية إلا من خلال هذا المبدأ وحده. ويوفر اختزال اللسان في اللغة الشرط المزدوج الذي يسمح بفرض اللغة كمبدأ للوحدة من جانب، ومن ثم يسمح بإفساح مجال للغة بين الظواهر الإنسانية من جانب آخر »"[3]".

تبعا لهذه المنطلقات، فإن الركيزة الأساسية التي استند عليها موضوع اللسانيات ضمن هذا التصوّر تمثّلت في عنصر اللسان بوصفه كيانا متجانسا، « لا يمكنه أن يتعارض مع اللغة ***langage***، فهو لا يلتبس بها وإن كان جزءا أساسيا منها، إنّه في آن

1 –فردينان ده سوسر، محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة يوسف غازي، مجيد النصر، دار نعمان للثقافة، لبنان، ص: 21.

2 –براهيمي بوداود، فيزياء الحركات العربية بين تقديرات القدامى وقياسات المحدثين، ص: 06

3 –المرجع السابق، ص: 194.

واحد، نتاج اجتماعي لملكة اللغة»"[1]" يتجلى حضوره الفعلي عبر مؤديات الفعل الخطابي والكلامي.

1-2-إجرائية المقاربة الفونولوجية النسقية:

1-2-1-إجرائية التعارض الفونيتيقي:

ركحا على ما تم إيراده من معطيات أولية، فإننا نلفي انبثاقا لموضوع الفونولوجيا تأسست سنداته المنهجية ومعطياته العلمية من منظور المعطى البنيوي، وقد تحدد هذا الموضوع الفونولوجي ضمن المبحث الصوتي الذي ينهض على أوليات الطرح الوظيفي للصوت وتجليته داخل النسق.

إن هذه الرؤية الوظيفية لم تكن حبيسة المقاربة البنوية التأسيسية، وإنما تطورت نماذجها مع التيارات البنوية الوظيفية، التي ما فتئ "**تروبسكوي**" يضع من خلالها المبادئ الأساسية للفونولوجيا الوظيفية، حيث تمكن من إعادة « صياغة ما كان غامضا بعض الشيء عند ***saussure*** داخل إجراء التمييز الموضوعي والإجرائي بين الفونيتيقا التي تشمل الدراسة المفصلة للأصوات، والفونولوجيا التي لا تهتم إلا بدراسة الأصوات المميزة داخل نظام اللغة العام، اعتمادا على أسس إجرائية متنوعة»"[2]"، ليتهيأ لـ"**رومان جاكبسون** الذي « يعدّ المنظّر العظيم لمفهوم السمات المائزة »"[3]"، الوقوف على حقيقة الوحدات الصوتية الصغرى (الفونيمات) ودورها الوظيفي التمييزي"[4]".

1 -مبارك حنون، مدخل إلى لسانيات سوسير، ص: 23.

2 -مصطفى بوعناني، في الصوتيات العربية والغربية، أبعاد التصنيف الفونيتيقي ونماذج التنظير الفونولوجي، ص: 16.

3 -ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني، ص: 255.

4 -ينظر: براهيمي بوداود، فيزياء الحركات العربية بين تقديرات القدامى وقياسات المحدثين، ص: 08.

في ظل هذا الطرح، اعتبر جاكبسون أن التقابلات الصوتية التي تؤدي إلى إحداث التمايز الدلالي، هي الحاصل الذي يساهم في بث نقطة الاختلاف الدلالي لكل مفردة وبنائها اللغوي، وفي نفس المنحى « ثمة علاقة ارتباط بين هذه الحقائق وما يتعلق بها من عوامل نطقية، وتشمل الفروق الموجودة في موضعية النطق وكيفيته »"[1]"، مؤكدا على هذا النظام التقابلي التمايزي بين الأصوات وما ينجرّ عنه من مُنجز يتمثّل وفق ثنائية وصفية في خصائص الأصوات، « فكل العلاقات بين الوحدات الصوتية التمايزية في اللغات المختلفة تخضع لنظام ثنائي»"[2]".

وبناء على هذا التحديد الذي يؤديه التفصيل في المسألة، فإن هذه النظرية كانت وثيقة الارتباط بالبحث لدى الشكلانيين، الذين أكدّوا على أنّ « سمة التمايز الحاصلة بين الوحدات الصوتية المشكلة لبنية الكلمة هي نواة تشكل الدلالة، كما أن الفروق الحاصلة هي السبب المباشر الذي يسهم في تسهيل عملية الاستقبال والتلقي في العملية التواصلية »"[3]".

وضمن هذا المنحى، سلكت المدرسة الشكلانية مذهبا خاصا من خلال تعاملها مع الظاهرة اللغوية التي أرسى دعائمها دي سوسير، وأقر بحتمية الفصل بين علم الفونتيكا والفونولوجيا، على أن العلم الأول يعنى بـ « الأصوات بوجه عام بصرف النظر عن انتمائها إلى أي لغة وهو يهتم بالصوت المفرد وهو الوحدة الأساسية فيه. أما العلم

1 – ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني، ص: 256.

2 –فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1993، ط1، ص: 38.

3 – براهيمي بوداود، فيزياء الحركات العربية بين تقديرات القدامى وقياسات المحدثين، ص: 09.

الثاني (الفونولوجيا) فالوحدة الأساسية منه هو (الفونيم) وهو وحدة الكلام الصغرى التي تميز منطوقا عن آخر»"[1]".

وعليه، انحصرت حدود المقاربة لعلم الأصوات ضمن « الجانب الفيزيولوجي للأصوات باعتبار طريقة إنجازها وباعتبار الأعضاء التي تساهم في تحقيقها في ما يسمى بعلم الأصوات النطقي ***la phonétique articulatoire***، [....]، أمّا علم وظائف الأصوات ***la phonologie*** فإنّه يقوم بتقطيع الدّال إلى صواتم، إنّه يأخذ المدلول بعين الاعتبار ويدرس الدّال دون فصله عن المدلول كما يفعل علم الأصوات»"[2]".

في ظل هذا الطرح، وتقصّيا لطبيعة التحولات المنهجية والإجرائية التي سارت «وفق هذا التوجه النظري ألحّ ***saussure*** – فيما يخص المستوى الفونولوجي للغة – على ضرورة الاهتمام بالخاصيات الأكوستية للأصوات اللغوية إلى جانب الاهتمام بفعل التصويت [...] وبذلك اعتبر منهج التحليل الفونولوجي عنده منهجا بنيويا يمكن من إعادة تقييم النظام اللساني العام تحديدا لخاصياته المجردة، والاعتباطية، والاجتماعية الوظيفية في علاقته بالواقع الصوتي الملموس الذي يشكله »"[3]"، وهو ما دفعه إلى التعامل مع «مجموع المكونات الصوتية التي تعالجها النظرية داخل النظام اللساني [...] باعتبارها وحدة ونسقا موحدا، تتحدّد المهمة الأساسية داخلها في الكشف عن قوانينه الداخلية الثابتة والدينامية [...] ولكن وفق شروط داخلية وظيفية بالأساس»"[4]".

1 –محمد جواد النوري، علم الأصوات العربية، منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان، الأردن، 2007، ص: 102.

2 –عبد الجبار بن غريبة، مدخل إلى علم النحو العرفاني، ص: 15.

3 –مصطفى بوعناني، في الصوتيات العربية والغربية، أبعاد التصنيف الفونيتيقي ونماذج التنظير الفونولوجي، ص: 15

4 –المرجع نفسه، ص: 15

وعلى هذا الملمح من الطرح، تخطّت الثوابت النظرية التي أسس لها الباحثون والدارسون آنذاك، من خلال استبدال ماهية الموضوع بماهية الموقع « وأصبحت الأصوات (الفونيمات) تُحدّد موقعيا (تحديد الموقع الذي تحتله داخل نسق فونولوجي معيّن) ووظيفيا (وظيفتها في تمييز دلالات الكلمات) باعتماد إجراء الاختلاف / التعارض والتمايز، والاستبدال أيضا»"[1]".

وإذا كان تروبتسكوي قد عمد إلى وضع إجرائية منهجية متطورة للتحليل الفونولوجي، معتمدا على التعارضات الفونولوجية، فإنّ جاكبسون قد « تبنّى منهجا ينبني في أساسه على اعتبار الوحدات التمييزية (الملامح) للغة، نظاما من توافقات ثنائية قادرة على تبرير المشروعية الكونية لوصف الخصوصيات الملمحية لأصوات اللغات الإنسانية عامة»"[2]".

وعليه، فإن نظرية جاكبسون الفونولوجية قد انفتحت على « إمكانيات إيجابية جديدة لتحليل مكونية النظام الفونيمي للغات المختلفة»"[3]"، وذلك عن طريق « ترتيب الأولوية بين التعارضات والترابطات الثنائية في تعيين الكليات الملمحية، وتشكيل القيم التمييزية للملامح»"[4]".

وعليه، تمكن جاكبسون من خلال عرضه للنظرية الفونولوجية من حصر « عدد الملامح لوصف الأنظمة الفونولوجية لكل لغات العالم في 12 ثنائية ملمحية رتّبها وفق فصيلتين:

1 – مصطفى بوعناني، في الصوتيات العربية والغربية، أبعاد التصنيف الفونيتيقي ونماذج التنظير الفونولوجي، ص: 154.
2 –المرجع نفسه، ص: 155.
3–المرجع نفسه، ص: 155.
4– المرجع نفسه، ص: 155.

1- ملامح جهارة: (***traits de sonorite***)

2- ملامح نغم: (***traits de tonalite***)»"[1]".

وبذلك، تحددت معالم النظرية الفونولوجية لدى جاكبسون « على أساس الاعتقاد بأن التقابلات المائزة مؤسسة على مبدأ الثنائية ***binarism*** (أو الازدواجية ***dichotomy***)»"[2]"، وذلك أن هذا المبدأ يظهر من خلال تقابل الوحدات اللغوية في صورة تتبدّى من خلال التقاء عنصرين معا.

ونجده يعالج هذه التقابلات الصوتيمية التي ذكرها للسمات المائزة، تبعا « لمبدأ الثنائية بالتدقيق والإحكام، وأصبحت بالفعل من أساسيات البحث الصوتولوجي»"[3]"، إذ يتّبع جاكبسون في تعريفه لهذه التقابلات « معيارا أكوستيكيا، فهو يتحدث –مثلا– عن التقابل في الأصوات بين الحدة ***Acuteness*** (خاصية النغمة العالية ***high tonlity***) والغلظ ***Graveness*** (خاصية النغمة المنخفضة ***Low tonality*** والانتشار ***diffuseness***)»"[4]".

وفي هذا المضمار، نلفي جاكسبون يعالج بنية المقطع ويحدّد عناصرها وممّا تتكوّن بقوله: « تحدد البنية الفونيمية للمقطع عبر مجموعة من القواعد، وتكون كل متوالية مؤسسة على التكرار المنتظم لهذا النموذج البنائي [...] والمبدأ المحوري لبنية المقطع هو تقابل الملامح المتتالية داخل المقطع »"[5]"، وبذلك يتقابل الصوت والصامت ضمن هذه العناصر، ليعمل هذا الصامت على جزء كبير من المقطع البارز بروزا أكثر.

1 –مصطفى بوعناني، في الصوتيات العربية والغربية، أبعاد التصنيف الفونيتيقي ونماذج التنظير الفونولوجي، ص: 155.

2 –ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني، ص256

3- المرجع نفسه، ص257

4 –المرجع نفسه، ص257

5 –المرجع نفسه، ص43

ومن هنا، أضحت « هيمنة التحليل القطعي على الدراسات الصواتية واحتلاله للصدارة في اهتمامات الباحثين واستقطابه لمختلف الأعمال والأبحاث النظرية والميدانية»"[1]".

1-2-2-إجرائية التقطيع المزدوج:

لا يمكن أن نتغافل عن إيراد التصور الوظيفي الذي قدمه أندري مارتيني ***A. Martinet***، والقائم على إجرائية التقطيع المزدوج، والذي أشار من خلاله إلى أن هناك مستويين بنيويين « ينظمان اللغة: التمفصل الأول، إذ يمكن للكلام أن يحلل في أشكال لغوية ذات قيمة تتمثل في الصريفات، والكلمات، الخ، وهذه الكلمات تمثل التمفصل الأول، ثم تكون، بعد ذلك، قادرة على تحليل آخر، أي وحدات صوتية ذات قيمة أقل بالنسبة للغة، ويطلق على هذه الوحدات الفونيمات، وهذا هو التمفصل الثاني»"[2]".

إن هذا التقطيع يفضي إلى إحداث تمفصل مزدوج للغة، مما يؤدي إلى تقطيع وحداتها إلى مونيمات دالة تتموقع على مستوى التمفصل الأول، ووحدات فونيمية تتمركز على مستوى التمفصل الثاني. وبذلك اكتفى "**أندري مارتيني**" بالوحدات اللغوية الصغرى، حيث استبعد المكونات التطريزية ذات الملمح التلفظي الذي يتجاوز حدود المونيم والفونيم، وهو ما يتضح من خلال قوله: « تسمى الوقائع اللسانية التي لا تخضع للتمفصل إلى فونيمات، في الغالب، فوق القطعيات وتشكل فصلا بعنوان التطريز، وهي مغايرة لعلم الفونيمات حيث تعالج وحدات التمفصل المزدوج »"[3]".

1 -أحمد البابي، القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، دراسة لسانية في الصواتة الإيقاعية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2012، ج1، ص: 86.

2 -المرجع نفسه، ص45

3- المرجع نفسه، ص45-46

وعليه، فإن مؤدى التحليل الفونولوجي الوظيفي، يتكئ على وحدة الفونيم، لارتهانه إلى تقنيتي **التعارض الاستبدالي** و**التقطيع المزدوج**، في حين تكون « الوحدات غير المميّزة – أي الملامح التطريزية – غير مركزية، وغير ضرورية في التحديد الخاص لأي لغة، وذلك مادامت وحدات غير قابلة للتفكيك إلى وحدات مميزة بالامتداد »"[1]".

ومن ثم، فإن المقاربة الفونولوجية التي انساقت مع المسار اللساني النسقي، قد تعاملت مع الفونيم بوصفه معطا ذهنيا افتراضيا، وهو منطق يتساوق مع إجرائية الفصل بين اللسان والكلام، والاكتفاء بما يفرزه اللسان من قوانين وقواعد ثابتة، تتأبى اكتساب صفة الأداء الفردي. ولذلك اكتسب الفونيم (***phoneme***) بعدا تجريديا وافتراضيا، لكونه « صورة ذهنية تجريدية، يستطيع المتكلم استحضارها في ذهنه ويحاول – لا شعوريا – أن ينطقها في الكلام الفعلي»"[2]"، بخلاف الفونيمات التطريزية التي ترتهن للبعد الإنجازي والأداء الفعلي.

1-3-حدود الاستمداد من النظرية الفونولوجية النسقية للتحليل الوظيفي للصوت في الخطاب القرآني:

شهدت الدّراسات اللسانية الحديثة تحولات منهجية وإجرائية عديدة، وهو ما أدّى إلى إفراز اتّجاهات لسانية متباينة سواء على الصعيد المنهجي أو التقني، وقد كانت الدراسة الصوتية من المجالات اللسانية التي طرأ عليها هذا التحوّل، حيث تمكنت النظرية الفونولوجية من مواكبة مختلف المنعرجات التي شهدتها اللسانيات، وتجاوبت مع المطالب النظرية التي دعت إليها.

1- أحمد البايبي، القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، دراسة لسانية في الصواتة الإيقاعية، ص46

2 -كمال بشر، علم الأصوات، ص487

وقد نهضت النظرية الفونولوجية ضمن التوجه اللساني النسقي على تقنيتي التعارض الفونيتيقي والتقطيع المزدوج، ولذلك انحصر اهتمام الفونولوجيا ضمن حدود توصيف البعد الوظيفي للفونيم، باعتباره « أصغر وحدة صوتية تصلح في التحليل الألسني، بحيث تبعث صورته اختلافات صرفية، ونحوية، ومفهومية، ودلالية »"[1]".

ضمن هذا التصور، انحصر مجال التحليل الوظيفي للصوت ضمن وحدة الفونيم ***phonème*** بوصفه « أصغر وحدة صوتية لها معنى في ذاتها ولا يمكن أن تتجزأ إلى وحدة أصغر منها، ولكنها قادرة على توليد المعنى، وتفريعه، وتنويعه عندما تُركب مع وحدات صوتية أخرى »"[2]".

تماشيا مع هذا الملمح من الطرح، انساقت مدرسة براغ صوب تمثل « مبدأ التغاير أو التعارض أو الاختلاف بين الوحدات الصوتية »"[3]"، حينا، ومبدأ التمفصل المزدوج للوحدات اللغوية القابلة للتقطيع حينا آخر، « أما الوحدات غير المميزة – أي الملامح التطريزية – فهي غير مركزية، وغير ضرورية في التحديد الخاص لأي لغة »"[4]"، لأنها ملامح ذات بعد تلفظي وآدائي.

وعليه، وعطفا على ما سلف من تصورات، فإن النظرية الفونولوجية النسقية، وما تأسست عليه من منطلقات، استمدتها من التفكير اللساني البنوي، حرصت على إبراز القيمة الوظيفية للفونيم بمعزل عن الأداء الفعلي المنجز واقعيا.

1-عصام نور الدين، علم وظائف الأصوات اللغوية، الفونولوجيا، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ط01، 1992، ص39.

2 -أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص61

3 -المرجع نفسه، ص61

4- أحمد البايبي، القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، ج01، ص46

وإذا كان موضوع البحث والدراسة التي نحن بصدد إنجازها، يندرج ضمن المجال الصوتي للخطاب القرآني، فإن اللجوء إلى مثل هذه المقاربات الفونولوجية النسقية يتعارض مع إجرائية التحليل الصوتي للخطاب القرآني، التي تعتمد بشكل أساسي على عنصر الأداء الفعلي.

ضمن هذا المؤدّى من الطرح، فإن فاعلية هذا الإجراء تستحيل إزاء النسيج الذي يكوّن إعجازية الخطاب القرآني، ولا يمكن أن تعكس مجمل القضايا الإعجازية الصوتية التي يحملها، ذلك أن القيمة التأثيرية للصوت في القرآن ترتبط ارتباطا وثيقا بالأداء الفعلي المرسّخ واقعيا بأداء الفعل الصوتي للقرّاء والمرتّلين، وهو ما أصرّت النظرية الفونولوجية البنوية على إقصائه، فكان الاهتمام بالقراءات القرآنية يقوم على مطلب المشافهة والأخذ بالتلقّي، « أي على تلقي كلام الله من فم الرسول الكريم – كما نطق به أوّل مرة – وضابط هذا التواتر، هو عدم مخالفة الرسم العثماني ... أي الركون، دائما، إلى مرجع مكتوب، يحفظ أصول الوحدات الكلامية (الفونيمات)، التي تغيّر المعنى وتحدّده، والتي تسمح لتلوناته الصوتية أن تأخذ مجراها في عملية التصويت أو الكلام ... أي بأن تعبر الفونيمات عن تلوناتها (الفونية) ***les phones***، أو (اللوفونية) ***les allophones***، وذلك عبر عمليات النبر، والتنغيم، والتفخيم، والترقيق، والإدغام، والإمالة، والاختلاس، وتحقيق الهمز وتسهيله، والإشمام أو عدمه، والنقص والمدّ ... والوصل والوقف »"[1]".

ولعلّ من المفيد أن نشير هنا إلى إسهام علماء القراءات القرآنية في بعض الإضافات الصوتية التي لم يقدمها الدرس الصوتي الحديث، بالإضافة إلى ما قدّمه الخليل وسيبويه وغيرهم من العلماء الأجلاّء، وكما هو معلوم أن القراءات اختلفت وتنوّعت

1 –عصام نورالدين، علم وظائف الأصوات اللغوية الفونولوجيا، ص172

حسب البيئة والمكان، إلا أن علماءنا « سجّلوا خصائص صوتية تنفرد بها التلاوة القرآنية، ووضعوا رموزا تمثّل هذه الخصائص، وكيف لا يفعلون ذلك، وهم يقرأون كل يوم قوله تعالى: ﴿ **وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً** ﴾؟ ويقرأون، أيضا، كل يوم، قول الرسول الكريم: «اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها». فرأيناهم يقرأون القرآن قراءة ترتيل، وتحقيق، وحذْر، وتدوير»"[1]".

ونصب هذا الطرح، ووفق ما سلف من تأصيل، فإن الحديث عمّا أفرزه علماء الأصوات عن وظيفة الفونيم المميّزة، وما جانبه من تغيّر في سياق الكلمة، والجملة « قد جانبته – شكلا – قراءات بعض العرب للصاد سينا أو زايا .. وقلت، شكلا، لأن الصاد، والسين، والزاي، يدلّ كل منها على معنى محدّد، يغير معنى الكلمة بتغيّر أحد الأصوات أو الفونيمات واستبداله بآخر »"[2]".

وبالنّظر إلى هذا المثال، يتبدّى لنا الاختلاف الجوهري بين الصّاد والسين والزاي واستقلال كل واحد عن الآخر، وذلك حين يدخل كل فونيم على كلمة، فيؤدّي إلى التلفظ بكلمة مغايرة عن الأخرى، ومختلفة نطقا ومعنى.

وهذا ما نستشفّه لدى عالم اللغة العربية "**أبي علي الفارسي (ت 377 هـ)** " في كتابه "**الحجّة في علل القراءات السبع**"، حين تحدّث عن « مضارعة » – مشابهة – النطق بها بين الزّاي والصاد: رمت الخِفّةَ ولم أجعلها زاياً خالصة ولا صاداً خالصة فتلتبس بأحدهما...»"[3]".

1 – عصام نورالدين، علم وظائف الأصوات اللغوية الفونولوجيا، ص161

2 – المرجع نفسه، ص179

3 –المرجع نفسه، ص180

ويرد هذا المؤدّى من القول، بالمضارعة – كما اصطلح عليه القرّاء – إلى مسألة العادات النطقية التي تنزاح بالفونيم إلى الانحراف النطقي به نتيجة أسباب عديدة، إذ أنّ «أصوات اللغة لا يمكن أن يتعارض فيها صوت مع صوت .. كما أنه لا يمكن أن تتعارض وظيفة صوت مع صوت آخر .. ولا يمكن أن يتعارض موقع مع موقع آخر .. ولو حصل ذلك لما كان هناك لغة»"[1]"، ذلك أن اللغة مجموعة من الأصوات تواضع المتكلمون بها على كيفية طرحها وصياغتها ضمن قالب تواصلي، وظيفي، ونظام نحوي وأسلوبي، وما يحمله من نبر وتنغيم وظواهر متعددة « بحيث تتناغم هذه الأنظمة على المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والأسلوبية ... لتؤدّي دورها في التواصل الإنساني .. وفي تلبية حاجات الفرد داخل الجماعة وحاجات الجماعة أو الجماعات .. أَوَ ليست اللغةُ أصواتا يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم المادية والمعنوية .. ؟ »"[2]".

إلا أن هذا الحكم لا يلغي وجود تجليات المقاربة الفونولوجية في السياق المعرفي اللغوي التراثي، لا سيما تلك المقاربة التي أفرزها "**ابن جني**"، والتي تتأسس في جوهرها على إجرائية التعارض الفونتيقي التي أسست لها النظرية الفونولوجية الوظيفية، ولكن هذا التوظيف لم يكن توظيفا مجردا عن السياق الدلالي والتأثيري للصوت في الخطاب القرآني، وإنما كان موظفا ليبرز القيمة الوظيفية التأثيرية والدلالية للصوت بالاعتماد على إجرائية التعارض الفونتيقي ضمن واقع فعلي.

فإذا كانت هذه القضية محلّ دراسة وبحث واستطراد لدى الغربيين، فإنّنا في مدوّنتنا العربية نتقصّى هذه الرؤية الاستشرافية لقضية التقابلات وصياغة المعجم الثنائي من منظور لغوي، وذلك من خلال ما قدّمه "**ابن جنّي**" في كتابه "**الخصائص**"، ونجد هذا

1 – عصام نورالدين، علم وظائف الأصوات اللغوية الفونولوجيا، ص181

2 – المرجع نفسه، ص181

المحور في ثنايا بابي: "**تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني**" و"**إمساس أشباه المعاني**" بطريقة علمية متينة، وألفاظ واصفة دقيقة.

وفقا لهذا التوجّه، يفترض "**ابن جنّي**" في باب التصاقب فكرة التقابل بين الألفاظ، وينطلق في باب الإمساس من قاعدة إمساس اللفظ للمعنى بسبب جرس الأصوات.

لقد فتح "**ابن جنّي**" باب التصاقب بمباحث معجمية تتقارب في عدة معان مشتركة، عمل من خلالها على تنظيم هذه الوحدات التي تضمنها المتن وفق أسس وقواعد صوتية، أفرزت تقسيما ثلاثيا: فذكر أولا اختلاف الأصل الثلاثي من صوت واحد ضمن عنصري الثنائية، ثم عرّج في الثاني إلى مسألة اختلاف الثنائية من صوتين، وثالثا اختلاف الأصوات الثلاثة فيما بينها.

ومن الأمثلة التي طرحها ابن جني في باب تصاقب الألفاظ، تقاربُ الحروف من صوت واحد، إذ يقول في هذا الباب: « من ذلك قول الله سبحانه: ﴿ **أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا** ﴿٨٣﴾ ﴾"[1]"، أي تزعجهم وتقلقهم. فهذا في معنى تهزّهم هزّا، والهمزة أخت الهاء، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين»"[2]"، إذ الملاحظ هنا في هذه الثنائية القائمة بين (أزّ . هزّ) أنهما اشتركتا في معنى "الإزعاج"، بخلاف دلالتهما، فـ(أزّ) تُستعمل للدلالة على الكائن الإنساني، والدليل من الآية أن مفعول الفعل (تؤزّهم) هو (أزّا)، وتعبّر دلالة الهزّ في قوله: ﴿ **وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا** ﴿٢٥﴾ ﴾"[3]".

1 –سورة مريم، الآية 83

2– ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط4، (د.ت)، ج2، ص148

3 –سورة مريم، الآية 25

وعليه تتحدّد هذه الثنائية بين صوتي (أ . هـ) بخصائص مشتركة، مع اختلاف في سمات أخرى، ممّا أتاح للفظة (أزّ) دلالة القوّة، بحكم نطق الهمزة ذي الملمح الإنفجاري، بينما توجهت دلالة (هزّ) بخلاف (أزّ)، وهذا ما قدّمه ابن جنّي واصفا فحوى هذه الثنائية بقوله: « وكأنهم خصّوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهزّ، لأنّك قد تهزّ ما لا بال له، كالجذع وساق الشجرة، ونحو ذلك»"[1]"، فيتبيّن من خلال هذا التقابل بين الأصوات في هذه النماذج على مستوى المحور الاستبدالي، أن معنى التصاقب الذي تحدث عنه "**ابن جني**" ينهض على دلالة "الخصائص المميزة" في الدرس الصوتي.

ومن الأمثلة التي ساقها "**ابن جنّي**" وحلّلها: (قضم- هضم) و(صعد- سعد)، و(سد- صد)، و(قسم-قصم)، فيقول في قضم وخضم: « ألا تراهم قالوا قضم في اليابس وخضم في الرطب وذلك لقوة القاف وضعف الخاء، فجعلوا الحرف الأقوى للفعل الأقوى، والصوت الأضعف للفعل الأضعف»"[2]"، فاعتمد هنا على خاصية الحرف لإدراك المعنى، ويضيف في نفس السياق قائلا: « فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ والقثاء، وما كان نحوهما من المأكول الرطب، والقضم للصلب اليابس، نحو: قضمت الدابة شعيرها، ونحو ذلك. وفي الخبر « قد يدرك الخضم بالقضم « أي قد يدرك الرخاء بالشدة، واللين بالشظف ... »"[3]"، وهكذا تظهر دلالة الفعلين (قضم) و(خضم) من خلال خصائص الصوت المميزة لحرفي الخاء والقاف، فنجد أن « صوت القاف قوي لهوي انفجاري مهموس»"[4]"، في حين أن « الخاء صوت من أقصى الحنك احتكاكي

1 - ابن جني، الخصائص، ج2، ص148

2 - المرجع نفسه، ج2، ص165

3- المرجع نفسه، ص157-158

4- ينظر، كمال بشر، علم اللغة العام، الأصوات، دار المعارف، مصر، 1979، ط5، ص109، وإبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1999، ص73

مهموس»"[1]"، فشدة القاف ورخاوة الخاء هما اللذان حدّدا المعنى، ويعلّل لهذا بقوله: «فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب والقاف لصلابتها لليابس، حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث »"[2]".

ونجد الفارق الدلالي بين (صعد) و(سعد) في قوله: « ومن ذلك قولهم: صعد وسعد. فجعلوا الصاد –لأنها أقوى– لما فيه أثر مشاهد يرى، وهو الصعود في الجبل والحائط، ونحو ذلك، وجعلوا السين – لضعفها – لما لا يظهر ولا يشاهد حسا، إلا أنه مع ذلك فيه صعود الجد لا صعود الجسم، ألا تراهم يقولون: هو سعيد الجد، وهو عالي الجد، وقد ارتفع أمره، وعلا قدره، فجعلوا الصاد لقوتها، مع ما يشاهد من الأفعال المعالجة المتجشمة، وجعلوا السين لضعفها، فيما تعرفه النفس وإن لم تره العين، والدلالة اللفظية أقوى من الدلالة المعنوية »"[3]"، وممّا لوحظ هنا في خلال هذا التقابل أن "**ابن جني**" لم يبين سبب قوة الصاد وضعف السين، كما فعل مع أمثلة أخرى.

ضمن نفس المنحى، يوضّح ابن جني (الصد) و(السد)، و(قصم) و(قسم) بقوله: « ومن ذلك أيضا سد وصد، فالسد دون الصد، لأن السد للباب يسد، والمنظرة ونحوها، والصد جانب الجبل والوادي والشعب، وهو أقوى من السد، الذي قد يكون لثقب الكوز ورأس القارورة ونحو ذلك، فجعلوا الصاد لقوتها للأقوى، والسين لضعفها، للأضعف»"[4]"، فاتّفاق الصاد والسين في صفة الرخاوة والهمس هنا في هذا المثال، ولكن السمة الفارقة بينهما أن الصاد مطبق والسين منفتح، وعليه يكون الإطباق أشد من الانفتاح.

1 –كمال بشر، علم اللغة العام، ص121

2– ابن جني، الخصائص، ج2، ص161

3 –المرجع نفسه، ج2، ص161

4 –المرجع نفسه، ج02، ص161

وبعد هذا، يأتي ابن جني إلى (قسم) و(قصم) للتفريق بين السين والصاد: « ومن ذلك القسم والقصم. فالقصم أقوى فعلا من القسم، لأن القصم يكون معه الدق، وقد يقسم بين الشيئين فلا ينكأ أحدهما، فلذلك خصت بالأقوى الصاد، وبالأضعف السين»"[1]"، فمن خلال هذه الأمثلة التي قدّمها "**ابن جني**" من تقاربات صوتية ومعنوية، والتي استطاع من خلالها أن يستشف دلالة صوتية طبيعية تنبع من الحرف، ومن تلك التقابلات الصوتية، بين صفات الرخاوة والشدة، والهمس والجهر، والاستعلاء والاستفال، والإطباق والانفتاح، ممّا أكسبت هذه الصفات الحروف قيمة تعبيرية ودلالية بين مختلف التقابلات والعلاقات القائمة بينها على عنصري الدال والمدلول.

1 - ابن جني، الخصائص، ج2، ص160

2-المرجعية اللسانية للتصور الفونولوجي التطريزي:

تحددت معالم التنظير الصوتي الفونولوجي تبعا للشروط المنهجية التي نهضت عليها النظرية اللسانية، التي ارتهنت إلى مسالك التحليل التجريدي والافتراضي الذي لجأت إليه التيارات البنوية والنماذج التوليدية، وبعد أن أثبتت هذه المقاربات عجزها عن معالجة اللغات الطبيعية، انتهجت مسلكا مغايرا التفت للقيمة الإنجازية للغة، مما دفع إلى انبثاق مقاربات لغوية تعنى بالسياق، وما يفرزه من محدّدات فارقة انصهرت ضمن بوتقة الترسيخ الفعلي. « وبذلك تأكدت مشروعية التمييز بين النظريات الفونولوجية داخل إمكانات التمييز بين النظريات اللسانية عامة»"[1]".

والصلة المبتغاة من التأسيس السابق، تُحيلنا إلى الكشف عن مختلف الروافد المنهجية والإجرائية التي تتّكئ عليها النظرية الصوتية الحديثة، وفقا لما تقتضيه طبيعة الاشتغال اللساني الذي يتحكم في اتجاهات الدراسة الصوتية، بتتبّع مرحلية الدراسة الصوتية بكل تمظهراتها وصولا إلى القيمة الإنجازية للصوت اللغوي، والتي تتحدد أبعادها الفيزيولوجية والفيزيائية على مستوى المعالجة الفونتيكية (علم الأصوات العام) « الذي يراد به دراسة الأصوات من حيث كونها أحداثا منطوقة بالفعل ***actual speech events*** [...] دون النظر في قيم هذه الأصوات أو معانيها في اللغة المعيّنة»"[2]"، أي « إنّه يعنى بالمادة الصوتية لا بالقوانين الصوتية»"[3]"، في حين، يُعنى الشق الفونولوجي (علم وظائف الأصوات) بالبحث في الأصوات من حيث وظائفها وقيمها وعلائقها"[4]".

1 -مصطفى بوعناني، في الصوتيات العربية والغربية، أبعاد التصنيف الفونيتيقي ونماذج التنظير الفونولوجي، ص: 14.

2 -محمد كمال بشر، علم الأصوات، ص: 66.

3 -المرجع نفسه، ص: 66.

4 -ينظر، المرجع نفسه، ص: 66.

وقد استقرت النظرية الصوتية الحديثة، على جملة من المقولات والسندات التأسيسية التي نهضت عليها النظرية اللسانية ككل، واستثمار هذه المخرجات البحثية والنتائج التي كشفها علم الأصوات العام (الفونيتيك)، في ظل الرؤية المستوحاة من نظرية جاكبسون الذي رأى أن « علم الصوت ***phonetics*** يقع خارج اللسانيات، تماما مثلما تقع كيمياء الألوان – بتعبير دقيق – خارج نظرية فن الرسم. ومن ناحية أخرى، فإن دراسة استخدام الأصوات في اللغة [...] هي الجزء المتمم للسانيات، تماما مثلما أن دراسة استخدام الألوان – بوصفها إشارات تصويرية – هي جزء من نظرية الفن التشكيلي ***figurative***، ولا سيما نظرية الرسم»"[1]".

وتبعا لهذا الطرح، فإنّ جملة النتائج التي تتبدّى من خلال هذه المقاربة الفونيتيكية لا يمكن أن تفيد إجرائية الطرح اللغوي، إلاّ إذا كان هناك تجاذب مترافق ينهل من معين الاتجاه الفونولوجي عاكسا الأبعاد الوظيفية والدلالية للصوت اللغوي.

وعليه، فإن فاعلية هذا التوصيف الذي تقرّه المقاربة الصوتية للجهاز النطقي، لا تتأتّى إلا بالرجوع إلى الجانب الأكوستيكي الذي يعين على إفراز معالجة فونتيكية قائمة على أساس من الدقّة العلمية والوضوح، ودراسة التراكيب الطبيعية للأصوات وخصائصها المادية والفيزيائية، في حين أن هذه المقاربة تبقى قاصرة عن تحقيق الغرض المرجو من الشق الفونولوجي الذي يعنى بتفسير الجانب الوظيفي للمكون الصوتي ومختلف أبعاده داخل نسق لغوي منتظم وفق أساس « يبحث في وظيفة الأصوات في اللغة ، ويخضع المادة الصوتية للتقعيد»"[2]" .

1- محمد كمال بشر، علم الأصوات، ص: 75-76.

2 - المرجع نفسه، ص: 67

2-1-المقولات المركزية للصواتة التطريزية:

تباينت الآراء التي وطئت حقل الدراسات اللسانية، والتي بدورها عالجت موضوع الملامح التطريزية، خاصة في فهم الخطاب القرآني العميق ضمن آفاق الدرس اللغوي الحديث من خلال الوقوف على المعنى الدقيق للألفاظ والمفردات في وصف الملامح الصوتية لفونيمات الكلمة، وإنّ التنقيب عن هذه القضايا التطريزية في التراث العربي القديم يستوجب العودة إلى القاعدة الأساس الذي انطلقت منه جلّ القضايا والعلوم كالنحو والبلاغة والتجويد، «حيث توسّعت قضاياه بين حقول معرفية عديدة، وبهذا الشأن، فإذا كانت مجالات معينة تشح فيما يتعلق بالتطريز فإنّ مجالات أخرى تلقي أضواء معتبرة على قضاياه»"[1]"، وبهذا يتّضح أنّ الملامح التطريزية قد نالت نصيبا من العناية والدراسة في مسالك التراث العربي ضمن حقوله المعرفية كالنّحو والعروض والتجويد والبلاغة .

وترتدّ جذور لفظة "التطريز" إلى المصطلح الإغريقي (***prosida***) (تطريزة) وهو مصطلح موسيقي يدلّ أحيانا على « ترنيم أغنية في الموسيقى (***songsungto music***) أو الدّور الغنائيّ المصاحب (***sung acconpani-ment***) و هذا يستتبع أن التطريز هي الدور الموسيقي المصاحب للكلمات نفسها »"[2]".

أمّا إذا عرّجنا إلى الدراسات الغربية في مجال العروض الغربي، فقد عرف التطريز بوصفه، « مجموع قواعد نظم الشعر التي تعنى بكمية المصوتات (في اللغة الإغريقية أو

1- أحمد البايبي، القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، ج1، ص143.

2- المرجع نفسه، ص12.

اللغة اللاتينية)، إنّه إذن يحيل على مبادئ النظم المشتملة على القوالب الإيقاعية ، وصيغ التقفية وبنية البيت الشعري»"[1]".

وعلى هذا الأساس، نجد مصطلح التطريز قد « استعمل في الأصواتية والصواتة فوق المقطعية ***suprasegmental*** ليدلّ إجمالا على تنويعات في العلو الموسيقي ***pitch*** والارتفاع (القوة) ***loudness*** ودرجة سرعة اللحن ***tempo*** والإيقاع ***Rythm*** »"[2]".

واستعمل المصطلح ليؤدّي وظائف أخرى بحيث يكون مرادفا لفوق قطعي، استعمالا غير دقيق، إلاّ أن التطريز يبقى يطلق على الملامح فوق القطعية وهي الملامح المصاحبة للغة « الملامح المصاحبة للّغة (***paralinguistic features***) مصطلح يطلقه اللّغويون على الجوانب الصّوتيّة الّتي تصاحب الكلام؛ أي أنّها ليست تلك الألفاظ التي ينطقها المتكلم و لكنها حالة الصوت عند نطق الألفاظ ارتفاعا و انخفاضا أو تنغيما أو غير ذلك »"[3]".

وأُطلق مصطلح الظواهر التطريزية على ظاهرة أو صفة لها علاقة أو قيمة في الكلام المتّصل، إذ تتشافع هذه الظواهر الكلامَ المنطوقَ وتكسوه وتكسبه صفات مميّزة، وسمّيت بالظواهر التطريزية لأنّها « أشبه بالظواهر أو السمات (التطريزية) التي قد تلحق بالثوب أو تضاف إليه، فتكسبه جودة ودقّة، وتجعله أكثر قبولا»"[4]" .

1- أحمد البايبي، القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، ج01، ص12.

2 -المرجع نفسه ج01،، ص12.

3- الراجحي عبده، فصول في علم اللغة، دار المعرفة، الجامعة الاسكندرية، مصر، (د، ط، ت)، ص88.

4 -كمال بشر، علم الأصوات، ص497.

2-2-الفونيمات التطريزية وملامح الإعمال الفونولوجي:

اتضحت ملامح الإعمال الفونولوجي للفونيمات التطريزية من خلال المقاربة اللغوية التي أفرزها "**فيرث**"، التي تجاوزت « الإطار البنيوي الذي تركزت مبادئه على دراسة القطع الصوتية للكلام ، فركزت على دراسة مظهرين فونولوجيين أساسيين:

أ- الوحدات الفونيماتيكية ***unites phonematiques***

ب- الوحدات التطريزية أو التطريزات ***prosodies*** »"[1]".

إنّ هذا التقسيم الإجرائي للوحدات الصوتية القطعية وفوق القطعية، يشير إلى انقسام الفونولوجيا إلى نوعين، تبعا لانقسام الفونيمات إلى فونيمات « قطعية (***segmentaux***) وفوق – القطعية – (***supra– segmentaux***)، ومثلت الفونيمات فوق القطعية التطريزات من نوع: النغم ، النبر ، المدّ ... »"[2]".

وبذلك عمدت الفونولوجيا التطريزية إلى « إدراج عدد من الملامح إلى جانب فوق القطعية من مثل التأنيف (***nasalisation***)، والتحنيك أو التغوير (***palatalisation***) ثم التشفيه (***labialisation***)»"[3]"، فالتأنيف هو عملية انتقال الفونيم الفموي إلى أنفي عن طريق التماثل الصوتي « مثل كلمة / ***bon*** / بالفرنسية تصبح / ***o*** / أنفيا مماثلة لـ/ ***n*** / وهي صامت أنفي »"[4]".

1 -ينظر: نادية مرزاق، النظرية الفونولوجية التطريزية ومسار التطور النظري والتمثيلي، مقال منشور على شبكة الأنترنت، يوم 24 / 10 /2008 م، ***www.psy-cognitive.net***

2 - كمال بشر، علم الأصوات، ص161

3 -نادية مرزاق، النظرية الفونولوجية التطريزية

4- المرجع السابق

أما التحنيك فهو تدرج صوت غير حنكي إلى صوت حنكي متأثرا بصوت آخر، في مثل « ***qui*** حيث إنّ / ***q*** / تصبح محنّكة بمجاورتها المصوت / ***ui*** /»"[1]"، أما التشفيه فهو منح الصوت صفة الشفوية « كأن تصبح / ***t*** / في (***tu***) مشفّهة لمجاورتها / ***u*** / وهو مصوت شفوي مستدير »"[2]".

كما نلمح لدى هذه المدرسة تركيزا – أيضا – على عنصر وظيفة الملامح التطريزية عن طريق حصرها في ثلاث وظائف أساسية هي: « تمييز بعض الوقائع داخل البنية الفونولوجية وتعيين حدودها مثل: استهلال المقطع، واختتام المقطع، استهلال الكلمة، واختتام الكلمة، تمييز أجزاء كبرى من الكلمة باعتماد التناغم المصوتي، والمماثلة (***assimilation***)، والمخالفة (***dissimilation***)، تمييز الحدود الصرفية الصوتية عن الأخرى النحوية باعتماد "الهمزة" أو "التهميز" الذي يفصل في بعض اللغات بين الكلمات وأجزاء الجمل »"[3]".

وعبر هذه الرؤيا والتباين الحاصل للفونولوجية التطريزية وإمكانية مسايرتها لمختلف التشكلات، عاملة عنصر التمديد لمجال التطريز من خلال تحليلها المفصّل، وسبغ ملمحٍ تطريزي وظيفي للملامح الصوتية.

1- نادية مرزاق، النظرية الفونولوجية التطريزية.

2 -المرجع نفسه.

3- مصطفى بوعناني، في الصواتة العربية والغربية، ص161

2-3-تجليات النظرية الفونولوجية التطريزية في الممارسات الصوتية القرآنية:

إذا عرّجنا إلى التراث العربي القديم قصد استجلاء القضايا التطريزية والكشف عنها، فإنّه يترتب علينا العودة إلى فرضية تكامل العلوم من نحو وبلاغة وتجويد، وبهذا الشأن « يفرض على كل متفحص لها في اللغة العربية مزيد تقصّ في المظان القديمة من جهة، ومن أخرى يمكنّنا هذا التقصّي، انطلاقا من فرضية تكامل العلوم، أن نفهم فهما جزئيا، لماذا أغفل النحاة والقرّاء والمجوّدون وعلماء المعاني وأصول الفقه مجموعة من الظواهر التي تقوم بدور أساس في بنية الأقوال، ويمكّننا علاوة على ذلك أن ندمج عطاءات الطبيعيات والموسيقى والخطابة في ما قدّمته باقي العلوم لنكوّن بذلك صورة تامّة وواضحة عن الدراسة الصوتية عند العرب »"[1]".

ونلمح لدى الباحثين والدارسين للظواهر التطريزية في التراث العربي رؤى مختلفة، تباينت إثر إجماع بعض الدارسين على نفيها من كتب النحو والصرف العربية القديمة، إذ يقول في هذا الصدد هنري فيلش (***henry fileish***): « نبر الكلمة فكرة كانت مجهولة تماما لدى نحاة العرب، بل لم نجد لها اسما في سائر مصطلحاتهم، أمّا علم الصرف فيبدو أن فكرة النبر قد أهمته جزئيا وذلك في حالة واحدة فحسب حين تلحق الاسم المؤنث ألف التأنيث الممدودة (المنبورة) في مقابل الألف المقصورة (غير المنبورة) وهذه الحالة تعدّ رغم ذلك دورا ثانويا للنبر »"[2]".

ويشير جان كانتينيو (***jane kantineau***) إلى أنّه « لا يمكن أن نعوّل على النحاة العرب القدامى في ما يخصّ التطريز، فهم لم يهتموا بالمقطع ولا بالتقطيع المقطعي، فإذا

1 -أحمد البايبي، القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، ج1، ص143

2 -فيلش هنري، العربية الفصحى دراسة في البناء اللغوي، تر: عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، مصر، (د ط)، 1997، ص49

كانوا قد اهتموا بكمية الحركات، والإيقاع الشعري المبني على هذا الكم، فإنهم لم يهتموا إلا بنبر الكلمة ولا بتنغيم الجملة، أو اقتصرت دراستهم على الوقف »"[1]".

ويعضّد هذا الطرح "**أنيس فريحة**" بقوله: « إن قضية النبر لم يعرها العرب أقل انتباه ولم يعطها لغويو العرب حقها من العناية، حتى أنهم لم يضعوا لها لفظا خاصا ونعني قضية النبر وأثرها في الحركة من حيث الطول والقصر »"[2]".

ونجد في نفس المقام، ما دلّ عليه تمام حسان في قوله: « التنغيم في اللغة العربية الفصحى غير مسجّل ولا مدروس»"[3]"، وفي موضع آخر يشير بأنّ « دراسة النبر ودراسة التنغيم في العربية تتطلب شيئا من المجازفة، ذلك أن العربية لم تعرف هذه الدراسة في قديمها»"[4]"، كما أشار محمد الأنطاكي « إلى أن قواعد التنغيم في العربية مجهولة تماما لأن النحاة لم يشيروا إلى شيء من ذلك في كتبهم »"[5]".

ويعود سبب إغفال العرب للتنغيم وعدم اهتمامهم به،كما أشار إليه تمام حسان لِسببين هما"[6]":

1- توحيد اللغة يستلزم معايير تركيبية وصواتية، الأمر الذي جعل النّحاة يبعدون لحون العرب واختلافاتهم اللهجية « ومن هذه اللحون الظواهر التطريزية التي كانت تختلف دون شك من قبيلة إلى أخرى، وهذا يعني أن النحاة قد وضعوا قوالب شكلية خالصة لا

1- أحمد البايبي، الظواهر التطريزية في القراءات القرآنية، نقلا عن المصدر الأصل:
cantineau ;etudeslinguistiqearabe,p 149 .
2- أنيس فريحة، اللهجات وأسلوب دراستها، دار الجيل، بيروت، ط1، 1989، ص70
3 -تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، المغرب، (د ط)، 1994، ص228
4 -تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (د ط)، 1900، ص175
5 -محمد الأنطاكي، المحيط في الأصوات العربية ونحوها وصرفها، دار الشروق العربي، بيروت، لبنان، (د ط ت)، ص 252
6 -ينظر: المرجع السابق، ص176

ينبغي الانحراف عنها، غير أن ذلك لا يحول دون أن يملأ هذه القوالب بخاصيتها التطريزية اللهجية»"[1]".

2- لجأ النّحاة إلى الأدوات وأسندوا لها وظيفة الإبانة عن الظواهر التطريزية إذ «يمكننا القول بأن الظواهر قد اختلفت أدواتها في العلاقات النحوية الشكلية فانصهرت في الأدوات إلى درجة افتقدت فيها هويتها وطبيعتها وهكذا يختفي كل ماهو عفوي وطبيعي في الحوار فيصير عفويا وتعاقديا ويصير دور التنغيم أضأل »"[2]".

2-4-الظواهر التطريزية لدى القدماء:

إنّ ممّا يستوجب الوقوف على ظلاله هنا، عناية القدماء بالظواهر التطريزية قصد استجلائها ونفي المظان عن تراثنا الزاخر العربي، إذ لا يمكن صرف البصر ولا الفكر عن اهتمام العرب بالمسائل التطريزية « والواقع أن الدراسات النحوية والصرفية تشهد لأصحابها على إسهابهم في معالجة جوانب من التطريزية بخاصة: الوقف (الإشمام، الرّوم)، والطول (المدّ والإدغام) والإيقاع (تخفيف الهمزة والإمالة، والتفخيم والاتباع) فهذه ظواهر النبر والتنغيم، والنغم، والوقف وغيرها في ثنايا تراثنا العربي، وإذا كان صحيحا أن النّحاة لم يعتنوا بهذا الجانب، فإن ذلك لم يعدم وجود بعض الإشارات والتلميحات الدالة »"[3]".

إن الأحكام التي أطلقها اللسانيون على الدراسات العربية كونها لم تتضمن مظاهر التطريز، كانت دافعا لدى الباحثين العرب لاحتواء هذه الظواهر واستكشافها قصد

1 -تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة ص176

2 -المرجع نفسه، ص176

3 -مبارك حنون، في التنظيم الإيقاعي للغة العربية، نموذج الوقف، دار الأمان، الرباط، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2010م، ص33.

تجليتها، عن طريق حقائق علمية تثبت وجود هذه الظواهر وغيرها عند العرب القدامى، وقد تحمل مسمّيات أخرى تدلّ عليها، يقول كارل بروكلمان ***carl breukelman*** مؤيّدا وجود ظاهرة النبر في اللغة العربية: « في اللغة العربية القديمة يدخل نوع من النبر تغلب عليه الموسيقية، ويتوقف على كمّيته المقطع، فإنه يسير من مؤخّرة الكلمة نحو مقدّمتها، حتى يقابل مقطعا طويلا فيقف عنده فإذا لم يكن في الكلمة مقطع طويل، فإنّ النبر يقع على المقطع الأول منهما »"[1]" .

وقد ورد مصطلح النبر في التراث اللغوي العربي القديم، بوصفه مكافئا دلاليا لمصطلح الهمز، وإن كان استعماله في التراث العربي، يخالف مجال استعماله لدى المحدثين، فإن كليهما (النبر والهمز) يتطلبان « نشاطا متّحدا من أعضاء النطق: الرئتان، عضلات الصدر، أقصى الحنك، الشفتان، اللسان، ممّا يؤدي إلى تعاظم مساحة السّعة في الذبذبات الصوتية »"[2]".

بالتساوق مع هذا الملمح، ألفينا "**أحمد البايبي**"، يعتبر "**ابن جني**" من أكثر العلماء اللغويين الذين كان لهم وعي كبير بمصطلح النبر أو النّبرة، فهو —من منظوره– « من أكثر العلماء القدامى تناولا للظواهر الصوتية بنوعيها المقطعية وفوق المقطعية، وفهمها فهما علميا»"[3]" يتوافق مع التعامل الصوتي الحديث، ففي "**باب القول على الفصل بين الكلام والقول**" من كتاب "**الخصائص**"، ألفينا تعامل "**ابن جني**" مع مصطلح النبر

1 –كارل بروكلمان، فقه اللغات السامية، تر د. رمضان عبد التوّاب، مطبوعات جامعة رياض، (د ط ت)، ص45

2 –عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي، أزمنة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1998، ص113

3 –الملامح التطريزية في الدراسات النحوية والصرفية القديمة ونظرية تكامل العلوم، مجلة آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، مارس 2012، ع: 21، ص 107 – 108

يتقاطع مع التحديد الاصطلاحي الحديث، فأشار إلى أن « النبر يقابل الاختلاس، وأن فيه يرفع الصوت»"[1]".

وموازاة لما تمّ ذكره، فهناك مظاهر تطريزية أخرى لم تخل منها المدوّنة اللغوية القديمة، مثل ملمح التنغيم الذي أشار إليه "**ابن جني**": "**باب حذف الاسم على أضرب**"، وفي هذا الصدد يقول: « وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه فتقول: كان واللهِ رجلاً، فتزيد في قوة اللفظ بـ (الله) هذه الكلمة وتتمكّن في تمطيط اللام، وإطالة الصوت بها و(عليها) أي رجلا فاضلا »"[2]".

وما يعزّز رؤية ابن جني في هذا الموضوع، تحدّثه في موضع آخر عن المدّ، مشيرا إليه بمصطلح "**مدّ التذكّر أو همزة التذكّر**""[3]"، حيث « يمدّ المتكلّم ويمطل أحرف اللين الثلاثة في الوقف وعند التذكّر»"[4]"، ليحيل هذا النوع من المد « مباشرة على المنحى اللحني وعلى الطول بوصفه ظاهرة تطريزية أخرى »"[5]".

2-4-1-تجليات الظواهر التطريزية في كتب الموسيقى والخطابة والتجويد:

لعلّ المتفحّص للظواهر التطريزية على مستوى الدرس الصوتي يجدها تتشكّل، عبر « حقول تراثية متعدّدة، وفي ظل هذا التوزّع استأثرت كتب الموسيقى، والخطابة بحظ وافر من الظاهرة التطريزية»"[6]"، فإذا كانت الملامح التطريزية بعناية متفاوتة لدى علماء اللغة،

1 -ابن جني أبو الفتح عثمان، الخصائص، ج1، ص27-29

2 - المصدر نفسه، ج3، ص90

3 -ينظر: المصدر نفسه، ج3، ص129

4 -مبارك حنون، في التنظيم الإيقاعي للغة، ص35

5 -المرجع نفسه، ص35

6 أحمد البابيي، القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، ج1، ص156

فقد « خصّ المؤلّفون في الموسيقى وفي الخطابة النّغم، والتنغيم، والمقطع، والنبر، والطول، والوقف، بالدّرس تعريفا وتحديدا ودورا في بنية الخطاب الموسيقي أو اللفظي»"[1]".

ولتبرير هذا الاهتمام بالمظاهر التطريزية للغة لدى علماء الموسيقى والتجويد، حصر "**مبارك حنون**"، أسباب هذا الاهتمام في العوامل الآتية:

- **أولا**: أن الموسيقى والخطابة تنهضان على عنصر الأداء الشفوي قصد التأثير في المتلقي، « فالشعر مُعدّ في الأصل للإلقاء والإنشاد، والأغنية المعدّة للإلقاء، وبما أن الأمر يتعلق بالإلقاء فلم يكن بدّ من الاهتمام بالمشافهة وبكلّ تلاوين الصوت وتلاوين النغمات وائتلافها»"[2]".
- **ثانيا**: تلازم الشعر والأغنية والخطبة مع الإيقاع، وهو ما يدفعنا إلى افتراض «وجود ثوابت تطريزية وبنيات إيقاعية تعكسها النصوص الشعرية أو النثرية المغنّاة، وإذن فالأمر يتعلق "**بموسيقى لفظية**" في ما يتّصل بهذه النصوص، من هنا يمكن اعتبار الإيقاع اللفظي مناسبا للإيقاع الموسيقي»"[3]".
- **ثالثا**: إنّ مؤلفي الخطب والموسيقى « قد وجّهوا مسألة طريقة التصويت أو أسلوب التصويت أو التغيير في مقتضيات حالية متنوعة ومقامات متعدّدة معها تتنوّع معها الانتقالات التطريزية »"[4]".

وإذا التفتنا إلى كتب التجويد والقراءات، نلفي اهتماما بارزا بالأداء وتحسينه، تمخّض عنه عناية مباشرة بالظواهر التطريزية، تضارع اهتمام علماء الموسيقى والخطابة،

1 –مبارك حنون، في التنظيم الإيقاعي للغة، ص156

2 – المرجع نفسه، ص37

3 –المرجع نفسه، ص38

4 –المرجع نفسه، ص38

فقد أدرك علماء التجويد –على سبيل التمثيل لا الحصر– « ظاهرة التنغيم وعرفوا أمثلتها، واستخدم بعضهم كلمة النغمة، بينما اكتفى آخرون باستخدام عبارة رفع الصوت وخفضه، وهو معنى التنغيم عند المحدثين »"[1]".

وفي هذا المقام، نجد "**أبو العلاء الهمذاني**" العطّار قد أشار في كتابه "**التمهيد في معرفة التجويد**" إلى ظاهرة التنغيم بمسمّى اللحن الخفيّ، مشيرا إلى ذلك بقوله: «وأمّا اللحن الخفيّ فهو الذي لا يقف على حقيقته إلا نحارير القرّاء ومشاهير العلماء، وهو على ضربين: أحدهما لا تعرف كيفيته ولا تدرك حقيقته إلاّ بالمشافهة، وبالأخذ من أفواه أولي الضبط والدّراية، وذلك نحو مقادير المدّات، وحدود الممالات والملطّفات، والمشبهات والمختلسات، والفرق بين النفي والإثبات، والخبر والاستفهام، والإظهار، والإدغام، والحذف والإتمام، والرّوم والإشمام إلى ما سوى ذلك من الأسرار التي تتقيد بالخط، واللطائف التي لا تؤخذ إلاّ من أهل الإتقان والضّبط »"[2]".

في ظل هذه الملمح من الطرح، يتبين لنا التفات علماء التجويد للملامح التطريزية، وهو ما يتضح من خلال المتون التي نظمت، والتي أشارت إلى البعد الوظيفي والدلالي التي تؤديها المكونات التطريزية، على نحو ما نلفيه في قول "**السمرقندي**"[3]":

إذا (ما) بـــنـــفي فـصـوتـها إر فعن وللإستفهام مكّن وعدّلا
وفـــي غيـــرها اخفضن والذي بما شـبيه بمـعناه فـــقسه تفضّلا
كهمزة الاستفهام مع من وأن وإن وأفعل تفضيل وكيف وهل ولا

1 –غانم قدوري الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص478

2 –أبو العلاء الحسن الهمذاني العطار، التمهيد في معرفة علم التجويد، تح: غانم قدوري الحمد، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2000م، ص237

3– إبراهيم عواد إبراهيم، السمرقندي، روح المريد في شرح العقد الفريد في علم التجويد، تح: إبراهيم عواد إبراهيم، رسالة ماجيستر، جامعة صدام للعلوم الإسلامية، بغداد (د، ط)، 1990م، ص139

وقد قال في سياق شرحها: « مثال ذلك: "ما قلت"، ويرفع الصوت بـ "ما" ليعلم أنّها نافية، وإذا خفض الصوت، يعلم أنّها خبرية، وإذا جعلها بين بين يعلم أنها استفهامية، وهذه العادة جارية في جميع الكلام وفي جميع الألسن»"[1]".

وممّا لاشكّ فيه، أنّ النماذج التي حفل بها اللسان العربي، بالتراكيب الاستفهامية والندائية بمعزل عن أدوات الاستفهام والنداء، خير دليل على التركيز على عنصر التنغيم لتوجيه المسار اللحني للجملة صوب الاستفهام أو النداء. وعليه « يكون وجود التنغيم في هذه الحالة هو المتميّز الوحيد وذلك في قوله تعالى: ﴿**قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ ٧٤ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٧٥**﴾"[2]" »"[3]"، وهذا يعني أنه « لابدّ في هذه الآية أن نقرأ جملة ﴿ **قَالُوا جَزَٰٓؤُهُۥ**﴾ بتنغيم التقرير»"[4]".

وإذا ما التفتنا إلى "**المرعشي**"، وجدناه يقدم تفسيرا لقوله تعالى: ﴿ **قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ**﴾"[5]"، اتكأ فيه على القيمة الوظيفية التي يؤديها النسق اللحني للجملة، والبعد التأثيري للوقف، وهو ما يتضح من خلال قوله: «بعضهم يسكت على "**قال**" لأن المعنى: قال يعقوب، غير أن السكت يفصل بين القول والمقول، وذا لا يجوز، فالأولى أن يفرّق بينهما بالصوت، فيقصر بقوة النغمة اسم الله تعالى (فيقصر معناه)،

1 – إبراهيم عواد إبراهيم، السمرقندي، روح المريد في شرح العقد الفريد في علم التجويد، ص260–261

2 –سورة يوسف، الآية 74 –75

3 –أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، (د، ط)، 1997، ص397–398

4 –المرجع نفسه، ص398

5 –سورة يوسف، الآية 22

ويمنع اسم الله تعالى عن أن يكون فاعلا لقال بقوّة النغمة، فيعلم أنه ليس بفاعل لقال»"[1]".

وبذلك، تتبدّى أهمية المشافهة والأداء في تحديد المواقع التركيبية والإعرابية للوحدات الإفرادية، « وليس بالغريب أن يحظى القرآن الكريم بكل هذه الحظوة والدقّة في النقل الشفوي، فأحكام القرآن الكريم لا يمكن إحكامها إلا بالتلقي الشفهي، فعلامات التفخيم والترقيق، والمدّ والقصر، والحذف، المثبتة في المصحف المكتوب لا تكفي لتعليمه، أما إعطاء الأصوات حقوقها وترتيبها وردّ كلّ منها إلى مخرجه وأصله، والنطق به على كمال هيئته من غير إسراف ولا تعسّف، ولا إفراط ولا تكلّف، لا يمكن أن يتحقق إلا بواسطة تحويل المصحف المكتوب إلى المصحف بالمشافهة، بل قد يؤدّي عدم السماع بالمتعلم خاصة إلى التفريط فيولّد الحروف والحركات، أو يطيل المدود، مما يدخل في إطار العيوب والإخلال بالمعنى»"[2]".

إن هذه الفاعلية التي تؤديها الفونيمات التطريزية، دفعت علماء التجويد إلى التأكيد على حتمية قراءة القرآن مشافهة وفق ضوابطه الصوتية، ليخرج المعنى من حدود الكتابة إلى أفق المشافهة عبر تطلّعات مقاصد وأغراض آي الذكر الحكيم التي تستدعي نبرة ونغمة حسب كل مشهد، ومطلب عن طريق رفع الصوت وخفضه، إذ أن قراءة القرآن على الأحكام المعهودة تتطلب تنويعا نغميا لا نغمة واحدةً، عن طريق

1- محمد بن أبي بكر المرعشي، جهد المقل، دراسة وتحقيق، سالم قدوري الحمد، دار عمار، عمان، ط2، 1429هـ، 2008م، ص285

2 -ينظر: غانم قدوري الحمد، علم التجويد – دراسة صوتية ميسّرة –، دار عمان للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1426هـ، 2005م، ص85-86

« أداء الكلام الاستفهامي بطريقة تشعر السامع بالاستفهام، والإنكاري بطريقة تشعره بالإنكار ...وهكذا التعجب والتحبير والنّدم والتلهّف والزّجر والإنذار والتبشير»"[1]".

وبذلك، فإن جزءا كبيرا من مقاصد الدلالة في الخطاب القرآني، لا يمكن أن تتأتى إلا عبر حدث التوافق بين الأداء الصوتي والملمح الدلالي لمختلف المظاهر الصوتية التطريزية من نغم ونبر ووقف ومدّ، إذ يتوجب « على القارئ تلوين صوته بما يناسب هذه المظاهر التطريزية وبما يناسب تنظيمها وبنيتها »"[2]".

1 -محمد حسن حسن جبل، المختصر في أصوات اللغة العربية، - دراسة نظرية وتطبيقة – مكتبة الآداب، القاهرة، ط5، 2006م، ص177

2 -مبارك حنون، في التنظيم الإيقاعي للغة، ص190

3-الملامح الوظيفية للفونيمات التطريزية في الخطاب القرآني:

3-1-الملامح الوظيفية للنبر:

أ-المفهوم اللغوي للنبر:

إذا حاولنا الوقوف على مفهوم النبر في المعاجم اللغوية، نجد أنّ « النّبر بالكلام: الهمز قال: وكلّ شيء رفع شيئا، فقد نبره. والنبر مصدر نبر الحرف ينبره نبرا. وفي الحديث: قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم: يا نبيء الله. فقال لا تنبر باسمي أي لا تهمز »"[1]".

وقد ألفينا "**الخليل بن أحمد الفراهيدي**" في معجمه العين يعرّف النبر قائلا: «النّبر هو الهمز وكل شيء رفع شيئا »"[2]"، كما أشار "**الزمخشري**" إلى السياق الدلالي للنبر من خلال قوله: « انتبر الجرح إذا تورّم وارتفع مكانه، ونبرْت الشيء رفعته »"[3]".

وفي ذات السياق استقر "**الزّبيدي**" على أن « نبر الحرف: ينبره بالكسر نبرا همزه، والنبر همز الحرف ولم تكن قريش تهمز في كلامها ...، وقال الأنباري: النّبر عند العرب ارتفاع الصوت، يقال نبر الرّجل نبرة إذا تكلّم بكلمة فيها علوّ »"[4]".

بناء على هذه التحديدات اللغوية، يتضح أن مصطلح "**النبر**"، اكتسب دلالات مشتركة، تشير إلى العلوّ والارتفاع، أما إذا ارتبط المصطلح بالحرف، اتجه تصور القدماء للنبر على أنه الهمز، « فإذا الألف مهموز والواو والياء كذلك، وإذا الهمزة

1 -ابن منظور، لسان العرب، تح عامر أحمد حيدر عبد المنعم خليل إبراهيم، دار المكتوب العلمية المصرية، بيروت، لبنان، ط1، مج5، ص221-222

2 - أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، ج08، مادة نبر.

3 -الزمخشري، أساس البلاغة، ج02، مادة: نبر

4 -الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، المطبعة الخيرية، مصر، 1306هـ، ج14، ص164-165

تصبح لقبا من ألقاب الحروف الهجائية»"[1]". وعليه، كان النبر من منظور القدماء «مجرّد تعبير عن حالة من حالات نطق الحروف »"[2]".

ب-المفهوم الاصطلاحي:

إذا حاولنا تعقب الدلالة الاصطلاحية للنبر، فإننا نلفيها تشير إلى الضغط على مقطع من مقاطع الكلمة، ليتجلّى ويبرز في السمع أكثر من أيّ مقطع آخر في الكلمة، فيعتلي بذلك الصوت ويرتفع مكتسيا صفة النبر، الذي « ينتج عنه نوع من البروز لأحد الأصوات أو المقاطع قياسا لما يحيط به»"[3]" من مقاطع.

كما أن النبر «كيان لساني فوق –قطعي– ذو وظيفة أساسية، وهي إظهار المقطع، والذي تتكون ماهيته من أكبر جهد زفيري ونطقي، هذا الجهد ينعكس على المستوى الأكوستيكي بتغيرات متميّزة في السلسلة النغمية للتردّد الأساسي، وسلسلة الضغط، وكذلك في الأحزمة الصوتية، وفي تمديد المدّة الزمنية للمقطع المنبور »"[4]".

3-2-أنواع النبر:

استقر علماء الأصوات على انقسامات النبر تبعا للدور الوظيفي الذي يؤدّيه في النسق اللغوي، فكان أن عمد بعض الدارسين إلى تقسيم النبر « إلى قسمين: أولهما: النبر الصرفي، وينقسم بدوره بحسب (قوة النطق) ودرجة الدفع، إلى أوّلي وثانوي، والقسم

1 -برتيل هالمبرج، علم الأصوات، تح: عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، 1955، ص197-198

2 -المرجع نفسه، ص197-198

3 - دراسة الصوت اللغوي، أحمد عمر مختار، ص188، وينظر، إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص175، وينظر، تمام حسان، اللغة العربية مبناها ومعناها، ص170.

4-*L'ccenten francais: accent probaliture: in l'accent en francais contemprorain: fonagy ;studia phonetica: montreal ; paris: 1980 ; p: 123-133*

الآخر – النبر الدلالي أو النبر السياقي، وهو من وظيفة المعنى العام ويكون تأكيدا أو تقريرا »"[1]".

3-2-1-نبر الكلمة أو (الصيغة): *Word stress:*

يتجلى هذا النوع من النبر من خلال « الضغط على مقطع معين من مقاطع الكلمة، ممّا يظهره، ويبرزه عن بقية المقاطع المحيطة به، ويرتبط النبر الصرفي بالجانب الاشتقاقي في اللغة العربية، أو بالميزان الصرفي»"[2]".

وينقسم نبر الكلمة أو الصيغة بحسب الشّدة وقوّة النّطق إلى نوعين هما"[3]":

أ- **النبر الرئيسي**: ***Primary stress*** وهو كل كلمة تحتوي على مقطع منبور، ويكون النبر الرئيسي في الكلمة والصيغ جميعا، ولا تخلو منه كلمة واحدة، أو صيغة من الصّيغ، وهو الغالب في معظم اللغات وقد يسمّى النبر الأساسي.

ب- **النبر الثانوي**: ***secondary stress*** ويكون في الكلمة أو التراكيب الطويلة، وقد يلتقيان معا – أي النبر الأساسي والنبر الثانوي –، وعليه فالنبر الأولي يكون على المقطع الأخير من الكلمة، والثانوي يكون سابقا عليه.

1- حمدان رضوان أبو العاصي، الأداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى، مجلة الجامعة الإسلامية، سلسلة الدراسات الإنسانية، المجلد السابع عشر، ع: الثاني، يونيو 2009، ص72

2 – تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص171

3 -ينظر، محمد رشاد الحمراوي، المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1987م، مادة: نبر

3-2-2-نبر الجملة أو السياق *sentence stress*:

ويراد بهذا النوع من النبر « تضعيف النبر الموجود في كلمة من كلمات الجملة»"[1]"، ومؤدى هذا الكلام أن « الناطق يستعمل النبر على مستوى الكلمة المفردة »"[2]"، من أجل « إظهار أهمية الكلمة في كنف الجملة وفي مضمونها، فالزيادة في نبرها ببرزِها، ويلفت النظر إليها ويميزها عن غيرها»"[3]".

ويتحدّد نبر الجملة أو السياق، على مستوى الأداء والمعنى العام الذي ينبني عليه بغية التبليغ به إلى المتلقي، وعليه فإن هذا النوع من النبر يتحدد« وفق أغراض ومقاصد المتكلمين، وتتوزع بين حالات مختلقة كالتقرير والنفي، والاستفهام والتوكيد، والتعجب والإنكار»"[4]". وعليه، فإن المسار الصوتي لنبر السياق أو الجملة « يفضي إلى أغراض المتكلمين النطقية قوة وضعفا، شدّة وليونة، ويقتضي طاقة وجهدا عضليا»"[5]".

ويظهر هذا من خلال النموذج التوضيحي الآتي"[6]": "**هل حضر أخوك أمس؟**" فالضغط على /**حضر**/ يدل على الشك في الحضور، وأن حدثا آخر وقع غير الحضور، أما إذا وقع النبر على /**أخوك**/ فيؤدي معنى الشك في حضور الأخ، وأنّ شخصا آخر قد حضر، والضغط على / **أمس**/ معناه الشك في زمن الحضور، فيظن السائل أنّ الأخ لم يحضر أمس.

1- محمد علي الخولي، الأصوات اللغوية، دار الفلاح للنشر والتوزيع، ط2، 1992، ص67

2- أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص188

3- نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، جامعة الشارقة، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، (د، ط)، ص133

4 - عبد الحميد السّيد، دراسات في اللسانيات العربية، المشاكلة – التنغيم – رؤى تحليلية، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2004، ص51

5 -عبد القادر الجليل، علم الصرف الصوتي، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1998، ص113

6 -ينظر، المرجع نفسه، ص135

إن النبر حين يقع على مقطع من مقاطع الكلام قد يكون في أولّه، أو وسطه، أو آخره، من خلال الزيادة في نبر كلمة ما في الجملة، وعليه يتحدّد المعنى الذي يأخذ النبر طريقه عبر السياق، وتبرز غاية أخرى قصدية، وهي التأكيد على المعنى المراد إبلاغه، إضافة إلى لفت انتباه السامع على الموضع المنبور، وعليه فإنّ « النبر على مستوى الجملة له وظائف بالغة، إنه عند تنوّع درجاته يفيد التأكيد أو المفارقة، حيث ينتقل النبر القوي من كلمة إلى أخرى قصدا إلى بيان هذا التأكيد أو الكشف عن هذه المفارقة »"[1]".

ويميز الدرس الصوتي الحديث في هذا الباب بين نوعين من النبر، وهما"[2]":

1-نبر التوتر: يتحقق هذا النبر « إذا تم نطق أصوات المقطع المنبور بمزيد من القوة لتكون أكثر إسماعا ووضوحا من الأخرى »"[3]".

2-النبر الموسيقي: يتأتى هذا النوع من النبر «إذا تم إبراز بعض أجزاء الجملة بمساعدة النغمة، ويسمى أيضا نبر التنغيم »"[4]".

3-النبر الانفعالي: وهو عبارة عن ضغط على مستوى الكلمة في جزء معين منها تعبيرا عن عواطفه ودفعا لانفعالاته.

1 -كمال بشر، فن الكلام، ص200.

2 -ينظر، التفصيل في نوعي النبر (التوتر – والموسيقي) في كتاب: علم الأصوات، برتيل مالمبرج، ص188-189.

3- المرجع نفسه، ص188.

4 -تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص307.

3-3-المظاهر الأدائية للنبر في القراءات القرآنية:

يتجلى النبر على المستوى الأدائي للخطاب القرآني، من خلال جملة من المظاهر الصوتية الآدائية، يمكن أن نوردها على النحو الآتي:

أ- الهمزة: سبق أن أشرنا إلى ارتباط النبر بالهمز في المدونة اللغوية التراثية، «وهذا الربط بين النبر والهمز يقف عليه الدارس في تنظيرات الفلاسفة »"[1]"، وفي هذا الصدد: « لاحظ أيوب السختياني وغيره أن النبر الهمزي يكافئ المد أو لنقول نبر الطول، يقول ابن خالويه: قرأ أيوب السختياني (ولا الضّألين)، فقيل لأيوب: لم همزت؟ فقال: إن المدة التي مددتموها أنتم لتحجزوا بها الساكنين هي هذه الهمزة التي همزت»"[2]".

وما يُلاحظ من خلال ما سبق ذكره وما احتوته الدراسات الصوتية اللغوية الحديثة، أن الهمز هو الضغط والنبر في هذا الجانب.

ب- مد الحركات: والمدّ في اللغة يعني الزيادة قال تعالى: ﴿ **وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ**﴾"[3]"، أي يزدكم"[4]".

ولعل ما ينبغي الالتفات إليه في هذا المقام، نبر الطول وهو « ما عالجه القراء معالجة مستفيضة تحت مسمى المد والقصر، ذلك أننا نزعم أن ما اعتبره القراء مدّا، إنما هو في واقع الأمر نبر طول، وبخاصة ما اصطلحوا عليه المد للسكون يقول السخاوي في حروف المد: « ولقاؤها الساكن في كلمة على ثلاثة أضرب: ساكن مدغم نحو: ﴿ٱلضَّآلِّين﴾، وساكن غير مدغم نحو "نون" و"لام" و"ميم"، وما جاء في فواتح السور، فإنها تمدّ في ذلك كله مدّا ممكّنا»"[5]".

---

1 -أحمد البايبي، القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، ج2، ص62

2- المرجع نفسه،ج2، ص62

3 -سورة نوح، الآية 16

4 -ينظر، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج21، ص256

5 -المرجع السابق، ج2، ص66

د- التضعيف: من شدّ الحرف أو الصوت، ويطلق عليه علماء التجويد التشديد « وهو خلاف التخفيف، والشدة خلاف اللّين»"[1]"، وعلى هذا يكون التضعيف عن طريق إعطاء الصوت أمدا أطول أو نطقه مرّتين بتضعيفه « لأن هناك أصواتا تنطق بأمد قصير، ويكون النبر فيه بإظهار المقطع بأكبر جهد تنفسي ونطقي»"[2]".

3-4-الملامح الوظيفية للنبر في الخطاب القرآني:

إن المتأمل في سياق الأطروحات الصوتية القديمة، لا يكاد يعثر على مقاربة نظرية مؤسسة على معطيات علمية، نتمكن خلالها من تحديد معالم النبر في القراءات القرآنية، «إلاّ أنّ استقراء الدراسات القرآنية القديمة والجديدة، ومحاولة تجميع الإرشادات الواردة فيها وتصنيفها، قد يتيح للدارس أن يحدد وظائف النبر العربية القرآنية، ومن ثمة اللغة العربية المعيار»"[3]".

3-4-1-الوظيفة الصوتية:

ممّا لاشك فيه أنّ الأداء الكلامي لا يكون على وتيرة صوتية واحدة ضمن السلسلة الكلامية، بل تتفاوت مستويات الأداء الصوتي، نتيجة للضغط على بعض المقاطع في الجملة أكثر من غيرها، مما يصحبه تفريع دلالي وآخر سمعي، وعليه نخلص إلى أنّ للنبر وظيفة نطقية متعلقة بالنظام الصوتي للغة، بحيث نجد أنّ « أداء المتكلم يقسّم الحدث الكلامي المنطوق إلى أقسام ترتبط بأهمية المقاطع التي يؤديها من ناحية، وبإيقاع تنفّسه الطبيعي من ناحية أخرى»"[4]"، ونجد في هذا المقام بعض الدراسات التي حاولت احتواء

1- لسان العرب، ابن منظور، ج04، مادة: شدد

2- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص141

3- أحمد البايبي، القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، د2، ص70

4 - غازي مختار طليمات، في علم اللغة، مكتبة دار طلاس للنشر، دمشق، ط3، 2007م، ص153

وظيفة النبر الإيقاعية واتّخذت من القرآن منهلا ومجالا لها، حيث يعتبر العديد من الدراسين: «أن للنبر وظيفة نطقية [إيقاعية] تتصل بنظام أداء الكلام، أي بتوقيعات المتكلم»"[1]"، وقد اطمأنت الدراسات « اللهجية الصوتية أن اللهجات والبيئات اللغوية التي تميل إلى السرعة في أداء الكلام، تتوسّل بالنبر من أجل بلوغ هذه السرعة »"[2]".

3-4-2-الوظيفة الصرفية:

يمكن الاسترشاد إلى هذه الوظيفة « من خلال ثبات النبر في موضعه من الكلمة أو عدم ثباته، وفي هذا الصدد ربط الصواتيون بين النبر والبنية الصرفية»"[3]"، إلا أن الباحثين، اختلفوا حول حقيقة أداء الوظيفة الدلالية للنبر في اللغة العربية، إذ يرى فريق من الباحثين أن اللغة العربية « لا تنتمي إلى اللغات ذات النبر الحرّ الذي يقوم بالوظيفة التمييزية، وفيه تتضح العلاقة بين النبر والصرف»"[4]"، أو اعتبارها من « اللغات ذات النبر الثابت، بحيث لا يقوم بالوظيفة التمييزية »"[5]".

وفي مقابل هذا التضارب بين الآراء، فإنّه يصعب تصنيف اللغة العربية نظرا لما تتميز به ضمن نظامها النبري الفريد، الذي يجعلها قريبة من اللغات ذات النبر الثابت «إلا أن طبيعتها الاشتقاقية تفرض نوعا من العلاقة بين الصرف والنبر»"[6]".

1- أحمد البايبي، القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، ج2، ص75

2- ينظر، إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 1965م، ص115

3- المرجع السابق، ج2، ص70

4 - سعد مصلوح، دراسة السمع والكلام، ص238

5 - عمر أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، ص357

6 -أحمد البايبي، القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، ج2، ص71

وقد حاول "**تمام حسان**" تجلية العلاقة القائمة بين الصرف والنبر من خلال قوله: « يكون النبر على مستوى الصيغة والكلمة ذا وظيفة صرفية، هي تقديم القيم الخلافية التي تفرق مع الكمية بين معنى صرفي ومعنى صرفي آخر، ويمكن بواسطتها مثلا أن نفرق بين طوائف من الصيغ مثل: فعِل – فعّل – فاعِل – فعِيل – حيث يفرق بين الكلمات الأربع بالكمية، وبين الثلاث الأولى على المقطع الأول، وفي الرابعة على الثاني»"[1]".

لذلك، يمكن القول: إنّ للنبر الصرفي وظيفة تمييزية في اللغة العربية، تعين على التمييز بين معاني الكلمات من خلال ميزانها الصرفي، وهو ما حرص "**تمام حسان**" على ترسيخه بقوله: «والكلمات تركيبات من أنساق صوتية لها نظامها النبري الخاص المستقلّ عن نظام النبر في الأنساق الكبرى ... والواقع أن النبر في الكلمات العربية من وظيفة الميزان الصرفي لا من وظيفة المثال... فكلمة "**فاعل**" نجد أن الفاء أوضح أصواتها لوقوع النبر عليها، وباعتبار هذه الصيغة ميزانا صرفيا، نجد أن كل ما جاء على مثاله يقع عليه النبر بنفس الطريقة مثل: قاتِل – حابِس – ناقِل – رابِط – عازِل – شاغِل – ضارِب – عازِم – خازِن ، حتى الأمر من صيغة الفاعل: كجاهِد – سافِر ، تقع في نموذج هذا الوزن فتلقى النبر على فاء الكلمة .. ومن هنا لا نكون مبالغين، إذا قلنا إن النبر في الكلمات العربية موقعية تشكيلية وصرفية في نفس الوقت»"[2]".

1 –ينظر، تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 171

2 –تمام حسان، مناهج البحث اللغوي، ص: 175

3-4-3-الوظيفة الدلالية:

تتعلق الوظيفة الدلالية للنبر « بسياق الحال، وتتحدد وفقا لاختيار المقطع المنبور»"[1]"، ويتعلق هذا الاختيار بالأغراض الدلالية التي يرغب المتكلم تبليغها للسامع، أي: « تمكّن المخاطب من إدراك فحوى الخطاب، فيتحقق بذلك التفهيم، وينبغي لهذا التفهيم أن ينتهي إلى السامع على الصورة التي يتوخاها المتكلم»"[2]".

3-4-4-الوظيفة التعبيرية:

يساهم نبر الجملة في إبراز كلمة معينة ضمن نسق الكلام، فتُشكّل بؤرة تكوّن المقطع الجليَ البارِزَ بإيقاع يقترن به نبر العلو الموسيقي، ممّا يرسخ فاعليتها على صعيد التلقي، والنماذج النبرية التي تتأتى على الصعيد الآدئي للخطاب القرآني، « تبيّن الكيفية التي يمكن لنبر الجملة أو لنبر العلو الموسيقي أن يحدّد البؤرة أي الخبر الجديد والهام في الجملة، ويحدّد مصدر اختلاف تأويل بعض الآيات، مما يوضح جليا هذه الوظيفة »"[3]"، ويمكن أن نتمثل ذلك من خلال الأداء الصوتي لقوله تعالى: ﴿ **وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ**﴾"[4]"، فقد « تمّ تمديد فتحة المقطع / نـَ / فصارت أَلِفاً لأنها تمثل نواة المقطع الحامل لنبر العلو الموسيقي، فصارت بؤرة بحسب هذه القراءة الشاذّة، وقد يكون النبر على المقطع / دى /وتصبح بذلك كلمة « نادى » هي البارزة، وقد تكون القراءة بالنبر على المقطع / ح / فتصبح كلمة « نوح » هي البارزة»"[5]".

---

1 – تمام حسان، مناهج البحث اللغوي، ص: 177

2 –مبارك حنون، في التنظيم الإيقاعي للغة العربية، نموذج الوقف، ص: 58

3 –أحمد البايبي، القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، ج2، ص: 75

4 –سورة هود، الآية 42

5– المرجع السابق، ج2، ص: 75

ونظير ذلك، قوله تعالى: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾"[1]"، فالقارئ لهذه الآية لو قام بترتيلها بالإيقاع نفسه الذي تقرأ به « جعلا لهما»، تصير كلمة ﴿فسقى﴾ وكأنها من الفسوق، في حين أنّ اللفظة تعني السقي من الفعل سقى يسقي، « قال ابن إسحاق: أخذ دلوهما موسى، ثم تقدّم إلى السّقاء بفضل قوته، فزاحم القوم على الماء حتى أخرهم عنه، ثم سقى لهما»"[2]".

ومنه، كان لزاما على القارئ أن ينبر على المقطع الثاني من كلمة «فسقى»، حتى يتحدّد المعنى أثناء سماع الكلمة، ولا يخرج إلى معنى آخر فاسد.

ولو انتقلنا إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾"[3]"، فلو قرأ القارئ هذه الآية بالضغط على «وسعى» من مقطعها الثاني، فتصير من السّعة والاتّساع، في حين أن الكلمة مشتقّة من السعي الذي هو المشي والسير كـ « السعي إلى المسجد، وهو يسعى إلى الغاية، وتسارعوا إليها، ومن المجاز: هو يسعى على عياله: يكسب لهم ويقوم على مصالحهم»"[4]"، فإذا وقع النبر الخاطئ على المقطع الثاني، فإنّ المعنى سينزاح لغير قصده ويتغيّر عن دلالة السياق الموضوع له، لذلك وجب مراعاة قواعد النبر حين الضغط على موضع معين حتى لا يفسد معنى الآية.

وقوله تعالى: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ

1- سورة القصص، الآية 64

2- مأمون حموش، التفسير المأمون، ج05، ص604

3 -سورة الإسراء، الآية 19

4- الزمخشري، أساس البلاغة، ج01، مادة: سعى

مِّنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿١٦﴾»"[1]"، فإذا نبر القارئ على القاف صار الفعل مشتقا من الفقس لا من أصله الذي يعني « قسوة »، بحيث تشير الآية إلى معنى قسوة القلوب، أي يبست وتصلّبت وأعرضت عن الحق « وصلبت بحيث لا تنفعل للخير والطاعة »"[2]".

أمّا الفقس من « الفاء والقاف والسين: يقولون فقس: مات»"[3]"، ومن ثم، فبمجرّد تغيير مكان النبر والضغط من مقطع منبور لآخر غير ملائم يختلّ المعنى ويفسُد، ويتغيّر سياق الآية الكريمة عن المسار الدلالي الأصلي.

3-5-مفهوم التنغيم:

أ-المفهوم اللغوي:

تشير المعاجم العربية القديمة، أن التنغيم مشتق من مادّة —**ن غ م**—، فقد ورد في معجم الصّحاح أن: « النّغم، الكلام الخفي، تقول منه: نَغَمَ، يَنغَمُ، ويَنغُمُ، نَغْما . وسكت فلان فما نغم بحرف، وما تنغّم مثله، وفلان حسن النّغمة، إذا كان حسن الصوت في القراءة»"[4]".

ولم يخرج "**ابن منظور**" عن السياق الدلالي الذي أفرزته جل المعاجم العربية القديمة، حيث استقر على أن « النغمة: جرس الكلمة وحسن الصوت في القراءة وغيرها، والنغم: الكلام الخفي، والنغمة الكلام الحسن، مكث فلان فما نغم بحرف، وما تنغّم مثله»"[5]".

---

1 -سورة الحديد، الآية 16

2 -أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج08، ص222

3 -ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج04، مادة: فقس

4 -إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح في اللغة والعلوم، تقديم العلامة الشيخ عبد الله العلاّلي، إعداد وتصنيف: نديم مرعشلي، وأسامة مرعشلي، دار الحضارة العربية، بيروت، المجلد: 02، مادة: نغم

5 -محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، (د، ط، ت)، ج12، ص590

وبذلك يتهيأ لنا الإقرار، بأن المعاجم العربية القديمة، قد اتفقت على معنى مشترك لمادة – نغم –، إذ هو الكلام الخفي، وحسن الصوت، وجرْسُ الكلمة.

ب-التعريف الاصطلاحي للتنغيم:

يقصد بالتنغيم التنويع في الأداء الكلامي حسب مقتضى الحال، إذ هو « نوع من موسيقى الكلام، وبواسطته يتسنّى للدارس أن يعرف كثيرا من خصائص الكلام كالتفريق بين الجمل المثبتة والاستفهامية، ولا سيّما إذا لم توجد صيغ نحوية خاصة تقوم بهذا التفريق كتعبير التعجب والاستفهام»"[1]".

والتنغيم هو المقابل الاصطلاحي العربي للمصطلح الأجنبي (***intention***)، وهو «ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام »"[2]"، كما أجمع علماء الأصوات على اعتبار التنغيم مسلكا من مسالك « التنويع في أداء الكلام بحسب المقام المقول فيه، فكما أن لكل مقام مقالا، فكذلك لكل مقال طريقة في أدائه تناسب المقام الذي اقتضاه، فالتهنئة غير الرثاء، والأمر غير النهي ...وهكذا»"[3]".

ويعد "**إبراهيم أنيس**"، من أوائل العلماء الذين أدخلوا مصطلح "**التنغيم**" ضمن أسيقة سياق المعرفة الصوتية العربية الحديثة، حيث اصطلح عليه بـ "**موسيقى الكلام**"،

1- المعجم المفصل في علم اللغة، - الألسنيات – محمد التونجي، راجي الأحمر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993، ج01، مادة: نغم

2- برتيل مالمبرج، علم الأصوات، تر: عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، مصر، (د، ط)، 1984، ص209

3 -محمد حسن جبل، المختصر في أصوات اللغة العربية، مكتبة الآداب، ط4، القاهرة، 1427هـ، 2006م، ص177

التي تعد من أبرز سمات الأداء الذي لابد من حضوره في أية لغة، « فاختلاف نغمات الكلام شيء طبيعي في اللغة التي لابدّ أن تحتوي على موسيقى الكلام التي تتألف منها ألفاظها»"[1]".

وغير بعيد عن هذا التصور، ألفينا "**محمد كمال بشر**" يقر بأن التنغيم لون موسيقي يحمل تنوعات على مستوى نغمات الكلام، تختلف من درجة إلى أخرى بين انخفاض وارتفاع، ليتهيّأ انبثاق مسار لحني، ينبئ عن مقاصد تعبيرية، وفي هذا المقام يقول: «التنغيم موسيقى الكلام، فالكلام عند إلقائه تكسوه ألوان موسيقية لا تختلف عن الموسيقى، وتظهر موسيقى الكلام في صورة ارتفاعات وانخفاضات وتنوعات صوتية»"[2]".

أمّا الدكتور "**تمام حسان**" فنلفيه يربط المظهر الصوتي للتنغيم بالملمح البصري لعلامات الترقيم، مشيرا إلى « أن التنغيم أوضح من الترقيم في الدلالة على المعنى الوظيفي للجملة »"[3]"، فالخطاب المنطوق « لا يجري على طبيعة صوتية واحدة، بل يرتفع الصوت عند بعض مقاطع الكلام أكثر مما يرتفع عند غيره، وذلك ما يعرف باسم التنغيم»"[4]".

وعليه، فإنّ التنغيم هو عبارة عن تنوعات نغمية تمس الكلام، وتزيحه عن مجراه الطبيعي، فتتباين درجات الصوت بين الارتفاع والانخفاض، حسب سياق الحال، ومقامات التعبير المتعددة من أجل وظيفة تؤدّى في سياق معين قد تكون معنوية وقد تكون تعبيرية.

1 -إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مطبعة نهضة مصر، مصر، (د، ط، ت)، ص175

2 -كمال بشر، فن الكلام، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د، ط)، 2002، ص262

3- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص226

4 -تمام حسان، البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، القاهرة، (د، ط)، 1412، 1993، ص263

3-6-درجات التنغيم:

يرتبط التنغيم بالنمط الأدائي للكلام المنطوق، حيث يتجلى في شكل منحنيات موسيقية تتباين نغماتها حسب درجات الصوت والمقامات الدلالية التي تشير إليها.

1-النغمة الهابطة: تتوافق النغمة الهابطة مع درجات الصوت المتدنية، والمترافقة مع المؤديات الدلالية للجمل التقريرية المتمثلة في: الإثبات والنفي والشرط والدعاء وهي جمل تامّة ذات معنى كامل غير معلّق"[1]".

وإذا حاولنا تمثل تجليات هذا المنحى اللحني للجمل التقريرية في الخطاب القرآني، فإننا نلفيها متجسدة في الإثبات في قوله تعالى –على سبيل التمثيل لا الحصر-:﴿ **إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١**﴾"[2]"، فيكون الوقوف على كلمة « القدر» بنغمة هابطة، لأنها جملة مثبتة، وبالنّفي في قوله عز وجل: ﴿**مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣**﴾"[3]"، فيكون الوقف على كلمة «قلى» بنغمة هابطة لأنها جملة منفية، وقوله تعالى: ﴿**وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ**﴾"[4]"، والجملة في جواب الشرط (يغن الله كلا من سعته) تكون بنغمة هابطة، فيقرأ لفظ (سعته) بالهبوط لمقتضى الحال وهو جواب الشرط.

أما قوله تعالى: ﴿ **رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ۝٤٠ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ۝٤١**﴾"[5]"، فيكون الوقوف متعدّدا في هذه الآية على الكلمات (ذريّتي – دعاء – والدي – الحساب)، وكلّ وقفة تنتهي بنغمة هابطة لأنّ المقام هنا دعاء، ونجد أيضا في الجمل الاستفهامية كما قوله تعالى:

1- ينظر، كمال بشر، علم الأصوات، ص534

2 -سورة القدر، الآية 01

3- سورة الضحى، الآية 3

4 -سورة النساء، الآية 7

5 -سورة الأنبياء، الآية 40-41

﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكۡرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾﴾"1"، وقوله أيضا:﴿ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ﴾"2"، فتكون النغمة هابطة على الكلمات (ذكراها –رشيد)، لأن الآية تحمل معنى الاستفهام، وتنتهي الجمل الطلبية أيضا، بنغمة هابطة، « وهي الجمل التي تحتوي على فعل أمر»"3"، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ﴿٦﴾﴾"4".

2-النغمة الصاعدة: يستوجب هذا النوع من النغمات « وجود درجة منخفضة مع مقطع أو أكثر تليها درجة أكثر علوّا، وقد تتألف من نغمة منخفضة تليها نغمة متوسطة، وقد تتألف من نغمة متوسطة تليها نغمة عالية»"5".

ويتجلى حضور هذه النغمة في مواضع الاستفهام المصدّر بإحدى الأداتين (هل والهمزة)، على نحو ما نلفيه في قوله تعالى: ﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ﴿١﴾﴾"6"، وقوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ﴿١﴾﴾"7"، فالوقوف على (مذكورا – صدرك) يبقى متصاعدا ضمن الجوّ المصاحب للاستفهام الذي ينتظر الإجابات، « ليظل المعنى مفتوحا وقابلا لممارسة فعل التلقي وما يحمله من شحنات دلالية وسياقية»"8".

1 –سورة عبس، الآية 43

2– سورة هود، الآية 78

3– ابن هشام الأنصاري، شرح قطر الندى وبلّ الصدى، ص42

4 –سورة المدثر، الآية 7

5– حسام البهنساوي، علم الأصوات، ص165

6 –سورة الانسان، الآية 1

7 –سورة الشرح، الآية 1

8 –كمال أبو ديب، جماليات الخروج والانقطاع، مجلة دراسات لسانية سيميائية، الدار البيضاء، ع: 22، 1999م، ص68.

تعكس هذه النغمة السياقات الدلالية غير التامة، وتتجلّى بشكل خاص في الجزء الأول من الجمل الشرطية"[1]"، حيث يتمظهر أداؤها عن طريق المركب الشرطي (**جملة الشرط**)، وجوابه (**جملة جواب الشرط**) حيث يتم التوقّف على نغمة صاعدة على نحو ما نلفيه في قوله تعالى:﴿**وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ**﴾"[2]"، وقوله أيضا: ﴿ **وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ٢٧٢**﴾"[3]".

3-النغمة المستوية (العادية):

وهي نغمة تتأرجح بين سياقين، حيث تتموقع بين نغمة هابطة وأخرى صاعدة «وهي عبارة عن عدد من المقاطع الصوتية التي تكون درجتها متّحدة سواء أكانت منخفضة أم عالية أم متوسطة»"[4]"، وتقع هذه النغمة «بعد سلسلة من الأصوات المتعاقبة، التي تنطق في نفس واحد على نحو ما تنطق آيات السورة عند الوصل أي متابعة التلاوة»"[5]".

وقد تأتي هذه النغمة على ثلاثة أوجه هي: « نغمة مستوية منخفضة (سفلى) ونغمة مستوية (متوسطة)، ونغمة مستوية مرتفعة "عليا"»"[6]".

1- ينظر، علم الأصوات، كمال محمد بشر، ص617-619

2 -سورة النحل، الآية 18

3- سورة البقرة، الآية 272

4 -ماريو باي، أسس علم اللغة، تر: أحمد مختار عمر، جامعة طرابلس، طرابلس، (د، ط)، 1973، ص93

5 -البدراوي زهران، ظواهر قرآنية، في ضوء الدراسات اللغوية بين القدماء والمحدثين، دار المعارف للنشر، القاهرة، ط2، 1993م، ص44

6 -عبد الرحمن أيوب، أصوات اللغة، مطبعة دار التأليف، القاهرة، ط1، 1963، ص105

ومن أمثلة هذا النوع في الخطاب القرآني، قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا** ۝٢﴾"[1]"، والملاحظ عبر مطلع الآية الجملة التقريرية في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ**﴾ تتبعها جملة تقريرية أخرى ثانية **فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا** ۝٢﴾، وجملة تقريرية ثالثة، فتكون قراءة هذا المقطع من المتتاليات التقريرية بانسجام صوتي واحد، ونغمة ذات وقع موسيقي واحد بين كفّتي الهبوط والاستواء.

3-7-الملامح الوظيفية للتنغيم في الخطاب القرآني:

يتجلى الدور الفعال للتنغيم على مستوى الأداء الصوتي للخطاب القرآني الكريم، في كونه يضفي على النسق الصوتي، مقامات لحنية متفاوتة، تساهم في صياغة الملمح التأثيري للبنية الصوتية مترافقة مع النظم الإيقاعي والموسيقي الرائع الذي يأسر المتلقي، ويشده لفضاءات التلقي للخطاب القرآني.

3-7-1-الوظيفة الصوتية (الأدائية) للتنغيم:

يعد التنغيم عنصرا من عناصر التنويع في الأداء الصوتي، ولا يتأتى إلا باتّباع سنن أهل اللغة في النطق، وتتجسّد وظيفته الصوتية فيما يتعلق بالسمات الموسيقية التي «تشبه الرجيح اللّحني، فمن المعلوم أن التنغيم يقوم على التنويعات الموسيقية، ولا نبتعد هنا عن الأثر الموسيقي لهذه التنويعات مما يملك على السامع أسباب التواصل والارتياح، والتنغيم بهذا الدور الصوتي يؤدّي وظيفة هامّة تتمثّل في انسجام الأصوات، حيث تكتمل فيه النغمات، وتتآزر مؤدّية المعاني والمقاصد »"[2]"، فتعدّد مسارات التنغيم، وتباين المسالك

1 -سورة الإنسان، الآية 2

2 -عليان بن محمد الحازمي، التنغيم في التراث العربي، مجلة العلوم الشرعية واللغة العربية وآدابها، جامعة أم القرى، العدد: 05، كانون الثاني 2007م، ص283

اللحنية للخطاب القرآني بين صاعدة وهابطة، هو الذي يفرز هذه الوظيفة الصوتية الناشئة من تذبذب الوترين الصوتيين، و« نتيجة هذا الارتفاع والانخفاض في الصوت حيث تحدث هذه الحركات الموسيقية نغمة موسيقية، وعليه فالتنغيم يدل على العنصر الموسيقي في الكلام»"[1]"، والقارئ هو الذي يحدد معنى الجملة في سياقه الصوتي ضمن عنصر التنغيم كالجمل الخبرية والإنشائية.

ونتيجة لهذا الدور الحيوي الذي يؤديه التنغيم، حرص قراء القرآن منذ العهد الأول للصحابة – رضي الله عنهم أجمعين – ومن خلفهم من القرّاء على تفعيل هذه الظاهرة صوتيا، وإحداث التكافؤ بين المظهر الصوتي للجملة ومؤداها الدلالي من خلال القراءة، ففي كتاب "**التبيان توضيح لآداب قراءة القرآن**"، يقول صاحبه: « ومن الآداب إذا قرأ نحو: ﴿ **وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِ**﴾"[2]"، ﴿**وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ ٱللَّهُ** ﴾"[3]"، أن يخفض صوته»"[4]"، تأدّبا مع الله.

3-7-2-وظيفة التنغيم الانفعالية:

تتباين مستويات التنغيم حسب درجة الانفعال والمقام الذي ترد فيه الجملة، « فقد تكون النغمة نغمة تفاؤل ، فيسميها بعضهم النغمة الوجدانية، وقد تكون نغمة تشكّك أو ضجر أو يأس أو استسلام أو غير ذلك ممّا له علاقة بسيكولوجية المتكلّم »"[5]".

1 -أحمد أبو اليزيد على الغريب، التنغيم في إطار النظام النحوي، مجلة جامعة أم القرى للبحوث العلمية المحكمة، ع 14، 1996، ص287

2 -سورة التوبة، الآية 30

3 -سورة المائدة، الآية 64

4- أبو زكريا يحي شرف النووي، التبيان في آداب حملة القرآن، تح وتعليق محمد الحجار، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط4، 1416هـ، 1996م، ص116

5 -سمير استيتية، منهج التحليل اللغوي في النقد الأدبي، مجلة التراث العربي، دمشق، ع: 15 يناير 1985، ص154

ويمكن أن نمثل هذه الوظيفة من خلال قوله تعالى –على سبيل التمثيل لا الحصر-: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ﴾"[1"]، فها هو سيّدنا يعقوب قد تنامت الأحزان على قلبه لفقْدِ يُوسف ومن بعدِه شقيقه بِنيامين، ليُصبح الأبَ المبتلى في فلذة كبدِه مفجوعا حابسا أنفاسه، لما جاءه من أخبار شُؤم وحزن... فتولّى عنهم بصريح العبارة مستسلما آيِسا في مقام الشيخ الملهوف على المصاب الجَلل، ينادي ربّه في جوّ مهيبٍ قائلا: ﴿ **يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ** ﴾، نداءٌ للبعيد المفقود، وفيه أيضا مناداة لغير العاقل "الأسف" بغرض النّدبة ...إلاّ أنّ الملاحِظ لهذا الأسلوب يجد أنّ سيّدنا يعقوب قد حذف ياء المتكلّم من لفظة ﴿ **أَسَفَى** ﴾، بدلا من **(يا أسفي)**، فقُلبت ألفًا مُخالفة عادة العرب في أسلوب النّدبة، وحذفت كذلك هاء السكت من الكلمة (يا أسفاه) ليطول بذلك الصوت ويمتدّ ولا يتوقف، خلافا لحرف (الهاء) الذي يوضع للحدّ من الصّوت وعلامة للوقف والسكت ... لتُضفي الألف والفتحة بخصوصياتها السهولة في النطق، وعنصر الخفّة على لسان الحال عند سيّدنا يعقوب، وكأنّه يناجي ربّه قائلا: "**يا أسفى على طول الحزن والفقد على يوسف**" ... فكان هذا الأسف على يوسف محلّ اشتمال على الكلّ، إذ عبّر بأداة النّداء عن شدّة الأسف بائحاً بما يختلجه من أسى وابتلاء وألم .. ماثلاً هذا التجانس بين لفظتي (أسفى) و(يوسف)، وهو جناس بين الكلمتين تولّد عنه سمة صوتية اتسم من خلالها الخطاب بتراتبية رائقة أضفت لونا موسيقيا تستشعره الأذن في تناغم الحروف بينها.

فأسلوب النداء، جاء بصيغة الندبة بغية تنبيه السامع إلى ما يكتنزه سيّدنا يعقوب من ألم وتفجّع لفقدان فلذة كبده، إذ أنّ الأصل في: « يا أسفي الألف مبدلة من ياء

1- سورة يوسف، الآية 84

المتكلم، والأصل أسفي، ففتحت الفاء وصيرت الياء ألفا ليكون الصوت بها أتم »"[1]"، ويظهر التنغيم هنا جليا بنغمة هابطة اقتضاها مقام النفس المنفعلة بجو الحزن واليأس والأسف، بحيث تتجلى النّغمة الهابطة بشكل واضح في: « التّمني، والتّهكم، والأسف، والحزن، والتقرير، و الطلب، الاستفهام غير المبدوء بـ "هل أو الهمزة""[2]".

وإذا عرّجنا إلى قوله تعالى في سورة مريم على لسان سيدنا زكرياء ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ۝٤﴾"[3]"، فإن التنغيم يتجسّد في هذه الآيات عبر مستوياته، بحيث يبدأ بنغمة مستوية وينتهي بها، ذلك لأنّ المقطع الصوتي انماز باستواء النغمة لأننا في مقام التقرير بجملة خبرية ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴾، ثم قوله: ﴿ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾، فينحو التنغيم هنا منحى الصعود في نغمته « إذ» ثم بعد ذلك يعود للاستواء في المقطع بعده ﴿نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾، لتعود النغمة من جديد إلى الصعود في المقطع الأخير "خفيا"، ويبدو جليا هذا النغم القرآني في مقام الدعاء والتضرّع، إذ الميزة الخاصّة في الدعاء أنّه ضربٌ من النشيد الصاعد إلى الله، فلا يقع في النفس المؤمنة المتضرّعة إلاّ إذا كانت ألفاظه منتقاة، وجمله متناسقة متلاحمة، وفواصله متساوية بإيقاع متّزن، فها هو ذا "**زكريا عليه السلام**" شيخٌ طعن به العُمرُ، يناجي ربّه بنغم صاعد إلى جوّ السماء، يخترق ذلك الأفق المهيب بألفاظ كأنها صورة حيّة، ولحن كأنّه مرتع للخيال الفسيح، ونحن نرتّل دعاءه بلحن خفي، تعتلينا تلك المسحةُ التي انجلت عن الرّهبة والخشية،

1- أبو البقاء العكبري: التبيان في إعراب القرآن، تحقيق على محمد البجاوي، دار الجيل، ط2، بيروت، 1407هـ، ج2، ص743

2 -ينظر، علم الأصوات كمال بشر، ص538-539، ومبادئ اللّسانيات، أحمد قدوري ،ص180، ومناهج البحث ص168-169.

3 -سورة مريم، الآية 1-4

ويغمرنا شعاع من نور، وعاطفة متأجّجة، وصوت متهدّج، كلماتٌ تسري في النّفس فتحرّك الوجدان، وتُحيي القلوب المتحجّرة بتعبير صادق عن حزن وأسى، خوفا من انقطاع عقبه، وها هو ذا قائم يصلّي في محرابه، ينادي اسم ربّه "خفيا"، ويكرّرُ اسم "ربّه" بكرة وعشيا، في لوعة الإنسان المحروم.

ثم يشكو ربّه قائلا:﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا** ﴿٤﴾﴾، فيتبدّى عبر هذين المقطعين من الآية الكريمة أولهما ﴿**رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا**﴾، بنغمة صوتية هابطة متراخية، كأن بها نوعا من الوهن والضعف، ثم يبدأ المقطع الثاني في قوله تعالى:﴿**وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا** ﴿٤﴾﴾، فاحتوى هذا المشهد على نغمة مستوية دلّت عليها الجملة التقريرية، تمثّلها زكريا عليه السلام بإقراره من خلال صيغة الدعاء أنّه لم يكن شقيا»"[1]"، وإنّما أراد زكريا عليه السلام سؤال الله « ولدا صالحا يسوس الناس من بعده »"[2]".

وقد امتد التأثير الإيقاعي للتنغيم، ليعكس النسق التركيبي الذي تنتهي به فاصلة كل آية بياءاتها المشدّدة، المتبوعة بألف ليّنة، هذه الألف المنسابة تناسقت وكلمات (شقيا – وليا – رضيا) مع عبد الله زكريا ينادي ربّه نداء خفيا، وهنا يعقّب "**سيد قطب**" بقوله: إنّ « دعاءُ زكريّا لربّه في ضراعة وخفية، والألفاظ والمعاني والظلال والإيقاع الرّخي، كلّها تشارك في تصوير مشهد الدعاء»"[3]".

1 –ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد السلامة، دار الطيبة، السعودية، 1999م، ص212

2 –المرجع نفسه، ص212

3 –سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط36، 2007م، ص2676

وبذلك، تجلى التنغيم في أسمى صوره في النماذج القرآنية السابقة –وهي نماذج اعتمدنا عليها من قبيل التمثيل لا الحصر– وغيرها من مواضع أخرى في آي الذكر الحكيم، فنجده يتفاوت ما بين مستوى لحني متوسط ومستوى عال، وهابط في مقام آخر، وهذه المستويات جميعا جاءت لتتناسب مع الموقف والمشهد، فالتنغيم يساهم في تجلية الموقف السياقي، والحالة النفسية التي يكون عليها المتكلم، « فعند اضطراب النفس أو انكسارها أو تسليمها لما هو أكبر، منها نجد النغمة المنخفضة تعبر عن الإذلال والخضوع، وعند سرد أحكام الله و أوامره أو الاستهزاء و السّخرية من أفعال المشركين، والمنافقين تظهر النّغمة المتوسطة، تعبر عن ذلك خير تعبير دون حاجة إلى ارتفاع الصوت أو انخفاضه، في حين نجد النغمة العالية تتجلى في أسمى صورها عند ردع الكافرين والمنافقين وتهديدهم لإظهار قدرة الله وسلطته المطلقة على عباده ، كذلك نجدها عند إصرار النفس البشرية على القيام بعمل قد يعد شاقا عليها، ولكنّها تريد تنفيذه، وبهذا تناسب مستويات التّنغيم مستويات الكلام ومعانيه وحالة المتكلم النفسية»"[1]".

3-7-3-وظيفة التنغيم الجمالية:

مما لاشك فيه، أنّ الأبعاد الجمالية القرآنية أرفع وأجلّ من أن يختلف فيها إثنان: «فالظاهرة القرآنية...ربّانية المصدر تتوّج (الإعجاز البياني) الذي تحدّى العرب بيانا وتحدّى الناس شريعة ونظاما، وهي تتحدّى الجماليين في روائعه وجمالياته وجلاليّاته، ودراسة الجمالية في القرآن ذات جوانب متشابكة:

- فهي منطلق ووجود حضاري لأقدس وأعظم سجّل حضاري في الوجود .
- وهي اتّجاه أدبي وفني رائد يُغني الموضوعات الكونية والإلهية بأبهى الصور الأدبية والفنية الرائعة.

1-رشيد بودالية، دلالة الظواهر فوق المقطعية، في توجيه الخطاب القرآني، جامعة أحمد بن بلة، وهران، أطروحة دكتوراه، 2016م ،ص 253

- وهي منحنى تربوي يُلبّي حاجات الإنسان الجمالية ويصبغه بالشخصية المسلمة على نمط جامع وفريد متميّز »"[1]".

3-7-4-وظيفة التنغيم التركيبية:

كما هو معلوم أن لكل جملة نمطا خاصا من حيث الأداء التنغيمي الخاص بها، وهذا بدوره يتطلب أداء كل جملة بتنغيم خاص بها، حسب ما يقتضيه المقام، ويقوم التنغيم بدور التفريق بين هذه الأنماط ووظيفة الجمل النحوية، « إذ يضفي على التراكيب المنطوقة معاني إضافية لا يمكن الوصول إليها بمجرد معرفة معاني مفردات هذا التركيب أو ذاك، ولا تفهم غالبا من تركيب الجملة المكتوبة، وإنما تكون طريقة نطق تلك التراكيب بصور تنغيمية مختلفة هي الوسيلة لفهم تلك المعاني الإضافية، وهذه المعاني يقصدها المتكلم تماما ويريد أن يضع أصبع السامع عليها، لأن المتكلم قد يهدف بحديثه بصورة تنغيمية معينة، إشعار السامع بمعنى العتاب أو لفت النظر أو الحث على أمر مقصود أو إظهار الرضا، أو الغضب، أو اللامبالاة، أو الإعجاب وغيرها من المعاني التي يكون فيها التنغيم هو صاحب اليد الطويلة التي تمكننا من التعبير عنها وعن كل المشاعر الذهنية المختلفة، لأن هذه المعاني جميعا غير منصوص عليها في متن التراكيب والجمل المكتوبة، وإنما تفهم من خلال السياق المحيط بالتراكيب، وطريقة نطق المتكلم وأدائه الصوتي جزء حيوي من السياق»"[2]".

1 – نذير حمدان، الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، دار المنابرة، جدّة، السعودية، ط1، 1991، ص06-07.

2 –مزاحم مطر حسين، أثر التنغيم في توجيه الأغراض البلاغية لعلم المعاني "الاستفهام أنموذجا"، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العددان (3 –4)، المجلد 2، بغداد، 2007م، ص40-41.

ويقول تمّام حسان في هذا الصدد: « وربما كان له وظيفة نحوية هي تحديد الإثبات و النّهي في جملة لم نستعمل فيها أداة الاستفهام، فقد تقول لمن يكلمك ولا تراه: أنت محمد مقررا ذلك أو مستفهما عنه»"[1]".

وتتحدد الوظيفة التركيبية للتنغيم، في تصنيف الجمل إلى أنماطها المختلفة، من تقريرية واستفهامية وتعجبية وأمرية، لأنه من المعلوم أنّ لكل جملة نمط خاص من التنغيم تنتهي به»"[2]".

وإذا ما تمّ قراءة القرآن وفقا للضوابط والأداء المعهود له، أداء صحيحا بتنغيمه المناسب، فإن المعنى سيختل ولا يحصل المطلوب من الخطاب، وينزاح اللفظ إلى اللّحن، فالخطاب « القرآني يحمل أنواعا من الجمل، وأنماطا من التراكيب لا يمكن ضبطها وإدراكها إلا مشافهة، حتى يتمكن القارئ تجنّب اللحن وتحقيق كمال الترتيل»"[3]".

وتجدر الإشارة في هذا المقام، إلى أنّ "**الهمذاني**"، قد وضّح مسألة اللحن في تجويد القرآن، وأنّه عنصر هامّ لا يدرك إلا عن طريق المشافهة والأخذ من أفواه أهل العلم والدّراية، «يعني من لم يقرأ القرآن، ويتعلم من ألفاظهم، ويجالس أهل العلم نقلا وسماعا وفهما»"[4]".

1 -تمام حسان، مناهج البحث، ص 164 .

2 - كمال بشر محمد، علم الأصوات، ص543-544

3 - القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، أحمد البابيي، ج01، ص275

4 -أبو العلاء الحسن بن أحمدا لعطار، التمهيد في معرفة التجويد، تحقيق: د.غانم قدوري الحمد، دار عمان، عمان، ط1، 1420هـ – 2000م، ص: 247 .

وفي الخطاب القرآني، آيات لا يمكن ضبط مسارها الدلالي إلاّ عبر المشافهة، حتى يتمكن القارئ من تجنب اللّحن وتحقيق كمال الترتيل"[1]"، «وهذا النّمط يجب اتباعه ومراعاته في النّطق بكل جملة من هذه الجمل، وإلاّ عدّ المتكلم لاحنا، وكان شأنه شأن من رفع المفعول و نصب الفاعل»"[2]".

ومن هنا، كان لزاما على قارئ القرآن تحقيق ملمح التناسب بين الاتجاه الدلالي للجملة والتنغيم الخاص لكل جملة وآية في القرآن الكريم، ومراعاة التطابق بين مقتضى الحال والسياق والمقام، لأن الإخلال بالشروط الأدائية لهذا الملمح سينجرّ عنه لحن في القراءة يؤدي إلى خلل على صعيد المعنى.

3-8-المفارقة النغمية ودورها في الخطاب القرآني:

تعد المفارقة النغمية نوعا من « التضاد بين المعنى المباشر المنطوق والمعنى غير المباشر»"[3]"، أي هناك مخالفة اللفظ للازم المعنى المقصود الذي يفرضه السياق أو الموقف.

وتتبدّى المفارقة النطقية من خلال « أنماط محدّدة من النّبر (***stress***) والتّنغيم (***intonation***)، وينقل أيضا بواسطة وسائل فوق لغوية (***paralinguistic***) مثل الإيقاع (***rhythm***) وطريقة الأداء (***tempo***) ونغمة الصوت (***toneofvoice***) وعلو الصوت (***loudness***) ونحو ذلك ....»"[4]".

1 – أحمد البابيي، القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، ج1، ص 275 .

2-أحمد التواب الفيومي، أبحاث في علم أصوات اللغة العربية، مكتبة وهبة للطباعة و النشر، ط1،القاهرة 1991م، ص187.

3 -المرجع نفسه، ص 15

4 -محمد العبد، ،المفارقة القرآنية، ص22-23.

وإذا حاولنا استبيان نمط اشتغال المنحنى التنغيمي في الخطاب القرآني، يلحظ ارتهان بعض الآيات القرآنية لتقنية المفارقة لصياغة معالم المفارقة النغمية قصد التهكم والسخرية بطريقة غير مباشرة، على نحو يساهم في « إخراج الكلام على ضد الحال »"[1]".

وتتجلى المفارقة وفقا لأشكال رئيسية ثلاثة هي: مفارقة نغمية، ومفارقة لفظية، وأخرى بنائية.

وسنقتصر في هذه الدراسة على المفارقة النغمية (***Ironytone***)، والتي تعني « أداء المنطوق على الكلية بنغمة تهكمية يعول عليها في إظهار التعارض و التضاد بين ظاهرة المنطوق و باطنه، بسبب سطحه وعمقه بحيث تقتلع هذه النغمة التهكمية محتوى ذلك الظاهر لمصلحة الباطن المضاد»"[2]"، فمن الدلالات النفسية التي يسهم التنغيم في إنتاجها دلالات التهكّم، والتوبيخ، والتقريع، وذلك عن طريق تأكيد الاستفهام بـ (أين، وما ، وأيّ ، وكيف) وغيرها من الأدوات فيما عدا أداتي (هل) و (الهمزة)»"[3]".

وإذا ما طالعنا آيات الذكر الحكيم، فإنّنا نستدرك هذه المفارقة في قوله تعالى–على سبيل التمثيل لا الحصر–: ﴿**خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّواْ فَوۡقَ رَأۡسِهِۦ مِنۡ عَذَابِ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴿٤٩﴾**﴾"[4]"، فكلمة (**ذُق**) تظهر من موقعها بمعنى التكريم والتعظيم، لكن التّنغيم يُظهِر غرضها الحقيقي وهو التهكّم، إذ أسبغ على كلمة (ذق) شحنة معنوية تحدّدت إثر القصدية التي أرادها الله من

1 –الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة للطباعة والنشر، مصر ،(د.ط)، 1972م، ج4، ص 57.

2 –المرجع نفسه ،ص 53.

3 – تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص203 – 204

4 –سورة الدخان، الآية (47،48،49)

خطابه لأبي جهل، وهو محمّل بكل معاني الإهانة والاحتقار، إذ يظهر في النص «ملمح دلالي مفارق لقصدية المعنى الحرفي »"[1]".

وقد ورد في معاني القرآن للزّجاج « النّاس كلهم على كسر "إنّك" إلاّ الكسائي وحده فإنه قرأ: ذق أنّك أنت، أي لأنّك قلت إنّك أنت العزيز الكريم، وذلك أنه كان يقول: أنا أعز أهل هذا الوادي وأمنعُهُم فقال الله عز وجّل ذق هذا العذاب إنّك أنت القائل أنا العزيز الكريم»"[2]".

وبذلك، يتجلّى لنا من خلال الآية انحراف المعنى عن الدلالة السطحية، وكسر التوقعات من خلال المفارقة والتهكم، إذ القرينة في "العزيز الحكيم " « تقع في علاقة تضاد دلالي مع الآيات السابقة عليها»"[3]"، وبذلك تتكشف لنا معالم الانحراف من خلال « مقارنة المحتوى الدلالي لقرينة المفارقة بالمحتوى الدلالي لما تقدم عليها من قرائن أخرى [....] إذ كان المتوقع إذن الوصف بالذّليل المهان ونحوه وكان كسر هذه التوقعات وسيلة لغاية التّهكم وصف بالنقيض»"[4]".

وعليه، فإنّ درجة الصوت ترتفع عند لفظة (ذُق) مع وقفة قصيرة، ثم تنخفض مع الجملة الثانية (إنّك أنت العزيز الكريم)، ويتمحور حسن الأداء هنا على كلمة (ذُق) قراءة مائزة فيها وسمٌ عن بقية أفعال الأمر الأخرى، لأنّها الفاصل بين الجملتين، فتكون

1-بن شيحة نصيرة، البعد التأويلي للمفارقة النغمية في الخطاب القرآني (مقاربة إجرائية صوتية)، مجلة مطارحات، المركز الجامعي، أحمد زبانة، ع:05، ديسمبر 2016م، ص 33 .

2- أبو إسحاق إبراهيم بن السّري الزجّاج، معاني القرآن وإعرابه، تح:عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1988م، ج4، ص 428

3 -محمد العبد، المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة، ص 57.

4-المرجع نفسه، ص 57.

التلاوة على هذا الموقع « بصورة انحرافيه يتمكن من خلالها الناطق الوصول بدرجة الصوت إلى تجسيد المعنى التّهكمي، ممّا يؤدّي إلى جنوحٍ بالخط البياني للتنغيم صوب مسلك إيقاعي يومئ إلى المعنى العكسي بنغمة تهكمية يعول عليها في إظهار التعارض أو التضاد بين المعنى المنطوق وباطنه»"[1]".

وإذا ما تمّ لنا الوقوف على هذه المفارقة المتجسّدة في قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾، فإننا نلفي في الآية تشكيلا من جملتين، أولهما فعلية (ذق)، وأخرى إسمية (إنّك أنت العزيز الكريم)، ولكلّ من الجملتين مستوى نغمي معين تؤدّى به، « فإنّ أول ما نلاحظه، أنها تمثل نحويا جملتين اثنتين: أولاهما فعلية، والأخرى اسمية، وهي تمثل أدائيا، أو من ناحية الشريحة اللغوية التي ينعقد بها التغير الدال، جملتين نغميتين اثنتين »"[2]"، يكون التركيب النغمي الأول ضمن « أعلى درجات التنغيم (النّغمة الصّاعدة) ***risingtone*** »"[3]" وهذا المستوى « أنسب المستويات لإظهار النغمة التهكمية العالية التي تقتضيها هذه المفارقة »"[4]".

ولعلّ، أنسب المستويات الذي تتطلبه الآية لإبراز النغمة التهكمية العالية، التي تستوجبها هذه المفارقة (المستوى النحوي) في الأداء المصاحب لهذه الوحدة، فإذا «كانت (ذق)، تمثل نحويا جملة فعلية طلبية فهي منبورة، لأنها تبنى على مقطع واحد، وهو مقطع طويل مغلق، يقع عليه النبر بالطبع [...] لاسيما أن النبر على (ذق)، نبر أولى كما قلنا، ويؤدي ذلك بالطبع إلى علو النغمة »"[5]".

1 – بن شيحة نصيرة، البعد التأويلي للمفارقة النغمية في الخطاب القرآني (مقاربة إجرائية صوتية)، ص33.

2 –محمد العبد، المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة، ص 57.

3–المرجع نفسه ص 34.

4 –محمد العبد، المفارقة القرآنية ،ص 59.

5 –المرجع نفسه، ص 59.

أمّا « المجموعة الثانية، فهي قوله تعالى: « إنّك أنت العزيز الكريم » ونجد هنا، أنّ الدراسات الصوتية المعملية، تثبت أن الذبذبات الأولية للمقاطع المتتابعة في جملة خبرية ما، تبدأ من المستوى الثاني لدرجة الصوت (أي الدرجة المتوسطة)، ويمتد هذا المستوى من خلال التعبير حتى المقطع الأخير، حيث ينزل فجأة إلى المستوى الأول (أي درجة الصوت المنخفضة) ويمثل هذا النمط الكلام المتوازن المستمر والذي يخفض عندها الوقف »"[1]".

تماشيا مع المسار التحليلي، نلاحظ أن النبر المستقرّ على الجملة الفعلية الطلبية "ذق"، « بوصفها صيغة صرفية تفيد مضاعفة الفعل النّحوي لصيغة الأمر ساهمت في تزايد حدة المعطى الدلالي من جهة، واستقطاب فاعلية النبر من جهة أخرى»"[2]".

و لا شك في أنّ « حضور الضمير مشفوعا بقرينة التّأكيد يناسب الكلام ممّن هو أشدّ إعجابا بنفسه، إنّها تريد أن تثبت العزّة و الكرامة له في ظاهرة اللّفظ و بالطريقة نفسها تسلبه، إيهاما تماما بالمعنى المفارقي وكأنّ إبراز الضمير "أنت" إلى المفارقة، نوع من دحض « الأنا » « المعلنة من أبي جهل وهزّ ما فيها من غرو و اقتلاعه»"[3]".

وعليه، فإنّ استجلاء هذه الظاهرة والوقوف على معناها الخفي النغمي، لا يتأتّى إلاّ من خلال مباغتة القارئ وإمتاعه انفعاليا، لأنه حين يلج بِنية النص السطحية، تتطلّع إدراكاته إلى اكتشاف وسبر علاقات خفية مضمرة ما بين السطور، ولا يخلو أي نص

1 – محمد العبد، المفارقة القرآنية، ص 59

2 – بن شيحة نصيرة، البعد التأويلي للمفارقة النغمية في الخطاب القرآني (مقاربة إجرائية صوتية)، ص 34.

3 – المرجع نفسه، ص 34.

من فجوات وفراغات يملأها توقع القارئ ووعيه، الذي يكسر أفق الدلالة وينحرف بها، إلى المعنى المرغوب، فيخترق العلاقة القائمة بين ظاهر اللفظ ومحموله الدلالي.

ومن الأمثلة التي فيها الأسلوب المصرّح به إلى دلالات أخرى، قوله تعالى: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾"[1]"، فالذي يحدّد دلالة الآية ومعناها هو الطريقة التي تُقرأ بها، والتي بدورها أدّت إلى اختلاف المفسرين في الكشف عن دلالة التعبير الاستفهامي في الآية الكريمة، فانزاح المعنى الحقيقي إلى قصدية التوبيخ والاستهزاء بالمشركين الذين عبدوا الأصنام وتركوا عبادة الواحد الأحد، فيكون المعنى بهذا: « أين الذين كنتم تزعمون في الدنيا أنهم شركائي اليوم، مالهم لا يحضرونكم فيدفعوا عنكم ما أنا محلّ بكم من العذاب، فقد كنتم تعبدونهم في الدنيا، وتتولونهم والولي ينصر وليّه»"[2]"، فالخطاب مصحوب بنغمة تهديد شديد وتوبيخ، ثم هبوط تدريجيّ يكتسي صبغة الاستهزاء بنغمة كلامية هابطة.

ويمكن التوضيح لشكل هذا التنغيم، في التعبير الاستفهامي في الآية الكريمة، فمرّة صاعد هابط حسب دلالة السخرية والاستهزاء، ثم بنغمة مستوية مع هبوط وانخفاض تدريجي في حالة التوبيخ، وهذا دليل على دور التنغيم في بعث معان حقيقة متولّدة عن المعنى الحقيقي، لا تتشكل إلا أثناء الأداء الصحيح المصاحب بتلك الشحنات من الموجات الصوتية، التي نرصدها على ملامح المتكلم.

1- سورة القصص، الآية 62

2- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، 1988م، ج14، ص 98، وينظر، الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تح: سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، 2000م، ج13، 309

وقوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾"[1]"، نداء لقومه بدعوة واضحة مستقيمة، بحيث يدعوهم إلى العزيز الغفار، بنغمة صاعدة مستصحبا فيها أسلوب الاستفهام مكسوّا بدهشة واستغراب ذلك المؤمن من بني إسرائيل، جرّاء عمل قومه بالكفر، « فيدعونه للكفر بالله عن طريق إشراك ما لا علم له به من مدعيات وأوهام وألغاز»"[2]".

وهو يبغي إخراجهم من غيابات هذا الكفر والشرك، إلى مواطن الإيمان، فيكون بهذا طريقة أداء الآية كمن يقول لرجل: (ما بالُ الحزن يكسو وجهك)، فكأن السّائل يرغب بمعرفة الشيء الذي دعاه إلى الحزن، إذ يكون المعنى وفق ذلك، أي: « أخبروني عنكم كيف هذه الحال أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار »"[3]".

وبهذا، قد تم لنا الوقوف على الإطار النظري للأنموذج الفونولوجي الذي عالج قضية الصوت في الخطاب القرآني، تبعا للأسس المنهجية التي تحكم هذه النظرية الفونولوجية، والتي أفرزتها المقاربات اللسانية الحديثة، للوصول إلى استجلاء النسيج الصوتي للخطاب القرآني والخصوصية الإعجازية التي ينهض عليها.

1 –سورة غافر، الآية 41

2 –سيد قطب، في ظلال القرآن، ص3599

3 –ينظر، جامع البيان، ج 24، ص 68

الفصل الثالث

طبيعة المقاربة الصوتية للخطاب القرآني في رحاب الذكاء الاصطناعي

تمهيد:

شهدت الدراسات الصوتية العربية انفتاحا على مجالات معرفية إجرائية، أتاحها الوضع التقني الذي أفرزته المنظومة المعرفية التي أشارت إلى ضرورة التلاقح بين الحقل الألسني ومجالات البحث التي اقترحها الذكاء الاصطناعي، فقد «حاولت نظريات جديدة في اللسانيات الحديثة الانتقال من دراسة الظواهر المختلفة للغات الطبيعية إلى خلق أنظمة معالجة آلية لها وفق استراتيجيات بحث جديدة تؤسس لنفسها موقعا علميا متميزا تعيد من خلاله رسم حدود التقاطع القائم بينها وبين المعلوميات والمنطق والسيكولوجيا والذكاء الاصطناعي.. داخل المجال الأرحب للعلوم المعرفية»"[1]".

وقد تمخّض هذا التحول عن المقاربة الألسنية التوليدية، التي انزاحت بمسار الدارسة الألسنية من المسار البنوي الاستقرائي، إلى المسار التوليدي الاستنباطي، «فبعدما كانت اللسانيات البنيوية تولي اهتمامها لمستوى الوقائع اللغوية، تحول الاهتمام مع اللسانيات التوليدية إلى مستويات أخرى، كالمستوى الميتودولوجي والإبستمولوجي، حيث صيغت أسئلة وقضايا جديدة من نمط القيود الصورية على بناء النماذج والترييض الحاسوبية ومستويات التفسير»"[2]".

إنّ هذا المسعى الذي سعت المقاربة التوليدية إلى بلوغه، دفعها إلى استحضار تلك المقولات والتصورات المنهجية، والآلية الإجرائية التي تفرزها مباحث الذكاء

1- مصطفى بوعناني، الصواتة المعرفية والمسارات الذهنية للإنجاز اللغوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2013، ص07

2 -حافظ إسماعيل علوي، امحمد الملاخ، قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، 2009، ط1، ص 106-107

الاصطناعي « سعيا إلى تحقيق أهداف علمية وتكنولوجية، ولم تكن النظرية اللسانية بمعزل عن هذا التوجه الجديد. فإذا كان هدفها العلمي المحض هو الإسهام في معرفة بنية العقل البشري وطريقة عمله من زاوية لسانية، فإن هدفها التكنولوجي هو بناء حاسوب يحاكي قدرات الكائن البشري اللغوية، وتوظيفه في مجالات تطبيقية متعددة»"[1]".

وعليه غدا الحاسوب بمختلف برامجه « وسيلة من وسائل تقييس النماذج المعرفية، لأن المشتغلين بالبرمجيات في إطار الذكاء الاصطناعي يشاطرون زملاءهم اللسانيين وعلماء النفس المعرفيين وعلماء الأعصاب المسعى نفسه، أي معرفة آليات اشتغال الدماغ البشري في حله للمشاكل، ومعالجته للمعارف التي تأتيه من المحيط وكيفية استعمالها في التخطيط والعمل»"[2]".

والمتأمّل في طبيعة المعالجة التي تطرحها مباحث الذكاء الاصطناعي على الصعيد الصوتي، يلحظ أنها تندرج ضمن تيارين: أحدهما يخضع لإجرائية البرمجة الذهنية، التي تستدعي التواصل مع اللسانيات العصبية وبرامج الحاسوب، وثانيها يتعامل مع البعد الإنجازي الفعلي للصوت، حيث تخضع المادة الصوتية المنطوقة للتحليل المخبري الذي يحصر الصوت ضمن صور طيفية تعكس القيم الفيزيائية للصوت.

1- حافظ إسماعيل علوي، احمد الملاخ، قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، ص 102.

2 -المرجع نفسه، ص102- 103.

1-روافد المقاربة الصوتية العربية بين الذكاء الفطري والذكاء الاصطناعي:

1-1-طبيعة الإفراز النظري في ظل الذكاء الفطري:

إن المتأمّل في طبيعة صياغة المقولات الصوتية التراثية، يلحظ أنها سلكت مسارات معرفية –مقنّنة، انبثقت على إثرها معايير تحليلية ترتهن إلى إجرائية الوصف والملاحظة المباشرة، التي سيطرت على مسار الدراسات الصوتية التراثية في ظل الغياب القسري للتقنية المخبرية، التي « من شأنها أن تفكّ مغالق يعجز التنظير عن الإحاطة بها، فإذا حاولنا إحصاء الدراسات الصوتية العربية»"[1]"، فإذا حاولنا تعقب نماذج المقاربة الصوتية التراثية، وتأصيل مباحثها « منذ الخليل بن أحمد الفراهيدي مرورا بسيبويه فابن جني وصولا إلى الإنجاز العلمي الذي أحدثه الشيخ الرئيس ابن سينا في رسالة أسباب حدوث الحروف»"[2]"، فإننا نلفيها تندرج ضمن مجالات البحث التي اعتمدت على الذكاء الفطري. إن جملة الآليات الإجرائية التي قامت عليها المنظومة الصوتية التراثية « قد اتّكأت على الكفاءة الذهنية النموذجية التي اتّسم بها علماء اللغة القدماء، والتي كانت بمثابة السّند المرجعي لتأسيس المجال التّصوري الذي يؤطّر النّظرية الصّوتية التّراثية»"[3]".

---

1 -ابراهيمي بوداود، فيزياء الحركات العربية بين تقديرات القدامى وقياسات المحدثين، رسالة دكتوراه، جامعة السانيا، وهران، كلية الآداب واللغات، 2012/2011، ص11

2 -المرجع نفسه، ص11

3 -بن شيحة نصيرة، الانموذج الصوتي العربي ومسارات التحول من حيز الذكاء الفطري إلى رحاب الذكاء الاصطناعي، أعمال الملتقى الوطني " اللغة العربية وبرامج الذكاء الاصطناعي – الواقع والرهانات – جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية 2020، ص70-71

1-1-1-سمات المقاربة الصوتية الخليلية في ظل الذكاء الفطري:

ولقد تجلّت بوادر هذه المساهمة التي أرسى دعائمها "**الخليل بن أحمد الفراهيدي**" (175 هـ) باعتبارها « فاتحة التّأسيس ومحور التّأصيل لحقل الصوتيات العربية التي تكشّفت ملامحها الأوّلية بانبثاق معجم العين»"[1]"، وفق منهجية صوتية صرفية رياضية تحاكي المنهجية المعاصرة، ممّا « يشدّ الباحث الايبستيمولوجي المعاصر إلى طريقة الخليل في جمع اللغة وهيكلة معجمه (كتاب العين) هو المبدأ المنهجي الذي اعتمده في فرض النظام على شتات اللغة. إنّه مبدأ لا يمكن أن يعتمده – ولو منقولا – إلا عقل رياضي فذ، عقل لا يتناقض قط مع الحاسة الموسيقية المرهفة التي مكّنت الخليل نفسه من استنباط أوزان الشعر العربي»"[2]".

إن هذا الاتّجاه الذي نحاه "**الخليل بن أحمد الفراهيدي**" بذكائه الفذ، وحاسته السمعية المرهفة، التي أهلته لسنّ قوانين الشعر العربي، يومئ إلى مدى تفتُّح الرؤية الإدراكية للخليل واتّجاهه« بعقله الرياضي إلى وضع قوالب نظرية، افتراضية، لا تعدم أصولا في واقع اللغة، فوزع عليها النطق العربي، منطلقا في البداية من "الامكان الذهني" غير آبه بـ "الامكان الواقعي" إلا في مرحلة التجربة والتحقق، المرحلة التي يتم فيها الانتقال من العلم الرياضي، الصوري، إلى العالم الواقعي المشخص»"[3]".

---

1 -بن شيحة نصيرة، الانموذج الصوتي العربي ومسارات التحول من حيز الذكاء الفطري إلى رحاب الذكاء الاصطناعي، ص71.

2 -محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2009، ط10، ص81.

3 -المرجع نفسه، ص81.

بناء على هذا التصور، قسّم الخليل الحروف العربية وصنّفها بطريقته المبدعة، وهذا إن دلّ فإنّما « يدلّ على ذائقة حسية فريدة، وصبر عنيف على الاستنتاج، حتى توصل إلى ما توصل إليه ابتداعا وابتكارا، دون الاستعانة بأي جهاز علمي، إذ لا جهاز آنذاك، وهو ما لم يثبت العلم التشريحي الحديث بكل أجهزته الدقيقة، ومختبراته الضخمة خلافا له فيما يبدو إلا يسيرا»"[1]".

ولم يكتف الخليل بوضع تقسيم فيزيولوجي دقيق لمنطومة الأصوات فحسب، بل تعدّى ذلك إلى وضع تسمية لكل قسم من هذه الأقسام، مفيدا بذلك لغات العالم جمعاء، فقد « حدّد الخليل كل صنف من أصناف الحروف المعجمية على بنية صوتية متميّزة، تحسها كيانا مستقلا، وتتذوّقها قاعدة صلبة، وعلّل ذلك على أساس صوتي متكامل، ووعي بأبعاد هذا الأساس، فكوّن بذلك نظاما فريدا غير قابل للرد إذ جاء فيه بدرس قاطع لا يختلف به اثنان، وسيّر ذلك مسيرة نابضة بالحياة لا يلحقها الهرم، ولا تعوزها النضارة، فهي غضة طرية في كل حين»"[2]".

وبهذا التصنيف والترتيب والإبداع، فإنّ وقائع الدّرس الصوتي لدى "**الخليل بن أحمد الفراهيدي**"، « قد نهضت بكيان كل صوت وعادت به إلى نقطة انطلاقه، واهتداء الخليل إليها بذهنه المتوهج فطنة وذكاء، دون مثال يحتذيه عند من سبقه من علماء العربية كنصر بن عاصم الليثي وأبي عمرو بن العلاء لدليل ناصع على موسوعة فذة، وعبقرية لا تقاس بالأشباه، كيف لا وبداية إفاضاته الصوتية مبكرة ومبتكرة»"[3]".

---

1 -محمد حسين علي الصغير، الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، ط1، (د ت)، ص41.

2 -المرجع نفسه، ص42.

3- المرجع نفسه ، ص43.

إنّ التأسيس العلمي للدرس الصوتي من منظور "**الخليل بن أحمد الفراهيدي**"، يستشرف المنطلق الافتراضي، بالاعتماد على « الامكان الذهني فتعامل مع الحروف الهجائية العربية تعاملا رياضيا صرفا، فحصر أنواع الألفاظ الممكن تركيبها منها، وهذا المبدأ كان لابد أن يجعل اللغة من صنع الذهن بدل أن تكون نتيجة التعامل معها كمعطى واقعي»"[1]".

وعليه، تهيأ إحلال المقاربة الصوتية الخليلية ضمن « أحسن ما عرض له العرب في دراسة الأصوات ما نجده عند الخليل من وصف الجهاز الصوتي، وهو الحلق والفم إلى الشفتين، وتقسيمه إياه إلى مناطق ومدارج يختص كل منها بحرف أو مجموعة حروف، وما أشار إليه من ذوق الحروف لبيان حقيقة المخرج، فقد هدي بذكائه المتفوق في ذلك إلى مقايس صحيحة أقرّ كثيرا منها علماء الأصوات المحدثون»"[2]".

وبهذا التفصيل المسبق، " يتهيّأ لنا الإقرار بأنّ مشروعية التّكامل المعرفي في الدّرس اللغوي التي تولّدت إثر اختراق فضاءات الذّكاء الاصطناعي في العصر الحديث، لم تكن منعدمة في الدّراسات الصوتية القديمة التي تمثّلت وجودها الإجرائي في رحاب الذكاء الفطري، وإنّما تكشّفت بدءا من لحظة انبثاق المشروع اللغوي العربي وترسّخت بشكل أعمق مع التوجّه الذي اعتمد المنطلقات المنهجية التي تحكمت في توجيه النّظام المعرفي للدّراسات النحوية والفلسفية "[3]".

---

1 –محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ص83

2– محمد حسين علي الصغير، الصوت اللغوي في القرآن، ص49

3 – بن شيحة نصيرة، الانموذج الصوتي العربي ومسارات التحول من حيز الذكاء الفطري إلى رحاب الذكاء الاصطناعي، ص73

1-1-2-سمات المقاربة الصوتية لدى سيبويه في ظل الذكاء الفطري:

لاريب أن الأنموذج الصوتي التّراثي قد ارتهن إلى وقائع تجسيدية، تشكّلت تمظهراتها وملامحها الإدراكية من خلال الصّوت اللغوي بوصفه مكونا ماديا، ومؤديا وظيفيا ضمن نسق تركيبي ما، تأسست على روافده مدارات الاشتغال الصوتي الفونيتيكي (**علم الأصوات العام**) والتحليل الفونولوجي (**علم وظائف الأصوات**)، التي تستدعي تكاملا معرفيا، يتأسس على العلاقة الصميمية بينهما، ولقد « ترسّخت هذه الرؤية مع المنجز النحوي الذي قدّمه سيبويه (180 هـ) والذي اكتسب من خلاله صفة المهيمن المعرفي»"[1]".

إذ يُسجّل لـ"**سيبويه**" في الكتاب آراء، تعد امتدادا طبيعيا للمدرسة الخليلية، ولكن في نفس الوقت « لا ينكر أن لسيبويه ابتكاراته المقررة، فنحن لا نبخس حقّه، ولا نجحد أهميته في منهجة البحث الصوتي، فقد كان له فضل بذلك لا ينكر، فتصنيفه لصفات الأصوات في الجهر والهمس والشدة والرخاوة والتوسط، وكشفه لملامح الإطباق واللين، وتمييزه لمظاهر الاستطالة والمد والتفشي، كل أولئك يتوّج صوتيته بالأصالة»"[2]".

والمتتّبع للنسق المعرفي الصوتي في كتاب لـ"**سيبويه**"، يلحظ أسبقيته للمعالجة الفونولوجية، المتمثلة في استثمار المعطيات الفونتيكية للصوت لدراسة قضية الإدغام، إذ نلفيه يمهّد لهذه المسألة من خلال الربط بين علم الأصوات وقضية من قضايا علم

1 -بن شيحة نصيرة، الانموذج الصوتي العربي ومسارات التحول من حيز الذكاء الفطري إلى رحاب الذكاء الاصطناعي، ص74

2 -محمد حسين علي الصغير، الصوت اللغوي في القرآن، ص53

الصرف، وعليه يكون "**سيبويه**" قد أرسى معالم وسُنن هذا البحث وأحكامه، « وكان تصرفه فيها تصرفا رائعا، صادرا عن عبقرية سبقت الزمن، فلم يكن ممن جاء بعده من العلماء والباحثين إلا أن اتبعوا نهجه، واكتفوا بما قال، ولم يزيدوا بعد سيبويه على ما قال حرفا»"[1]".

1-1-3-سمات المقاربة الصوتية لدى ابن جني في ظل الذكاء الفطري:

اهتدى "**ابن جني**" إلى إجرائية المقاربة الاستعارية"[2]" لتقديم رؤيته الصوتية الفونتيكية، فإذا كانت « الرؤية التصويرية التي وجهت البحث الصوتي في التراث العربي القديم، ظلت محكومة بشروط الإفراز التنظيري الموغل في الامتثال لمنطق الحس الذوقي، والاحتكام إلى قانون المعاينة السطحية»"[3]"، فإن المساهمة الصوتية التي قدّمها "**ابن جني**" استرشدت بمعلم المقاربة الاستعارية التي عمدت إلى استحضار وسائط إجرائية تعين على تعميق الرؤية الصوتية، حيث اهتدى إلى تثبيت أوجه المقاربة لديه، بذكر أحوال الصوت مع مخارجها ومدارجها، إضافة إلى انقسام أصنافها، وحكم الجهر والهمس فيها، والشدّة والرّخاوة، والصحيح والمعتلّ والمطبق وكل الصفات، ليؤكّد في هذا الاسترسال « مهمّة الفكر الصوتي في تحقيق المصطلحات بعامة عن طريق تشخيص المسميات التي أسماها، وإن سبق إلى بعضها عند الخليل وسيبويه وهو لا يكتفي بهذا القدر حتى يبحث الفروق،

1 -محمد حسين علي الصغير، الصوت اللغوي في القرآن، ص54

2 - بن شيحة نصيرة، الانموذج الصوتي العربي ومسارات التحول من حيز الذكاء الفطري إلى رحاب الذكاء الاصطناعي، ص75

3 -ابراهيمي بوداود، فيزياء الحركات العربية بين تقديرات القدامى وقياسات المحدثين، ص12

ويعين المميزات ويذكر الخصائص لكل حرف من هذه الأصناف، ويفرق بينها وبين الحركات، مع لوازم البحث ومقتضياته، إلماما بجميع الجوانب، وتنقيبا بهذه الأبواب»"[1]".

وتكمن ملامح المقاربة الاستعارية التي عرضها "**ابن جني**" من خلال التشبيه الذي قدمه للحلق والفم بالنّاي، والذي اتضح من خلال قوله: « فإنّ الصوت يخرج فيه مستطيلا أملس ساذجا، كما يجري الصوت في الألف غُفْلا، بغير صنعة، فإذا وضع الزامر أنامله على خُروق النّاي المنْسوقة، وراوح بين أنامله اختلفت الأصوات، وسُمع لكل خَرْق منها صوتٌ لا يُشبهُ صاحبه، فكذلك إذا قُطع الصوتُ في الحلق والفم»"[2]".

وبذلك، تمكن "**ابن جني**" من ترسيخ تصوّر منهجي معزز بآلية إجرائية أعمق، أعانته على تعقب أحوال للصوت بدءا من لحظة تكونه النَفسي، إلى لحظة اكتمال وجوده المادي، في غياب مكنة التحليل الآلي، والإمكانات الحديثة التي مكّنت علماء عصرنا من تثبيت مجمل المقولات التراثية التأسيسية للدرس الصوتي العربي، وبذلك سلك "**ابن اجني**" في هذه المقاربة مسلكا استعاريا، كان نتاج « الآليات التي تمخضت عن تفعيل الذّكاء الفطري في ظل غياب المرجعية التّقنينية الذي ميّزت المرحلة التأسيسية لعلم الأصوات، وبذلك تمكّن ابن جني من تعويض القصور الإجرائي، بالاهتداء إلى الملمح الاستعاري القائم " على شروط المماثلة والمشابهة " التي تقود إلى تقديم توصيف معياري لمعالم الاشتغال الصّوتي»"[3]"

---

1 -محمد حسين علي الصغير، الصوت اللغوي في القرآن، ص59

2 -أبو الفتح عثمان ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 2000م، ج01، ص31-32

3-بن شيحة نصيرة، الانموذج الصوتي العربي ومسارات التحول من حيز الذكاء الفطري إلى رحاب الذكاء الاصطناعي، ص75-76

1-2-طبيعة المقاربة الصوتية العربية في ظل برامج الذكاء الاصطناعي:

1-2-1-التأصيل الدلالي لمصطلح الذكاء ومسارات تحوله:

ارتبط مصطلح الذكاء ***intelligence*** بالعنصر البشري، إذ ظهرت تجارب وأنظمة تحدد مستويات الذكاء لدى مختلف فئات البشر، وقد كان عالم النفس الفرنسي ألفراد بناي (1857-1911) ***Alfred Binet*** « أوّل من نجح في قياس ظاهرة الذكاء البشري»"[1]"، إلا أن هذا لا ينفي وجود بعض الملامح لدراسة الذكاء الإنساني في تاريخ الحضارات القديمة، حيث لجأ بعض الفلاسفة إلى تفسير الذكاء عن طريق الملاحظة الناتجة عن النشاط الذهني لدى الفيلسوف نفسه، من ومن خلال سلوكهم المنهج الاستبطاني الذاتيّ، لكن تفسيرهم لنشاط الذكاء بقي بحاجة إلى نظريات وأساليب علمية تجريبية واضحة ودقيقة.

ولعل من بين أهم التعريفات التي قدمت في علم النفس لمفهوم الذكاء، هو التوصيف الذي قدمه "**هارود جاردنز**"، والذي أشار من خلاله إلى أن الذكاء يعكس «مستوى كفاءة الفرد الفكريّة والتي تتشكّل من مجموعة من المهارات التي تمكّن الفرد من استخدامها في حلّ المشكلات واكتساب المعارف الجديدة»"[2]"، بينما نجد أن "**ثورندايك**" في نظريته الشهيرة القائمة على العوامل المتعددة للذكاء، يربطه بجميع القدرات العقلية للفرد ونشاطها في شكل متكامل، إذ أن الجهاز العصبي يقوم بمهام عدة لا تخلو من التعقيد، فراح هذا العالم يقسم الذكاء إلى ثلاث مستويات كبرى: الذكاء المجرد، والذكاء الاجتماعي، والذكاء الميكانيكي.

1- محمود النّوادي، الذكاء الإنساني والاصطناعي في ضوء القرآن الكريم، مجلة الكلمة ،ع 26، 2000م،
http://kalema.net/home/article/list/38/1

[2]*https://mawdoo3.com/%D8%A7%D9%84%D8%B0%D9%83%D8%A7%D8%A1_%D9%81%D9%8A_%D8%B9%D9%84%D9%85_%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%81%D8%B3*

ومع هذا بقي مفهوم الذكاء رهين تجاذبات الحدود المفاهيمية بين الفلاسفة قديما، ولدى علماء النفس المعاصرين، ومقابل ذلك صعب تقديم تعريف محدد لمصطلح الذكاء ***intelligence***، مما أدّى إلى ظهوره في أشكال متعدّدة ترتبط ارتباطا وثيقا بحياة الفرد، وستأتي موضحة في الشكل الموالي:

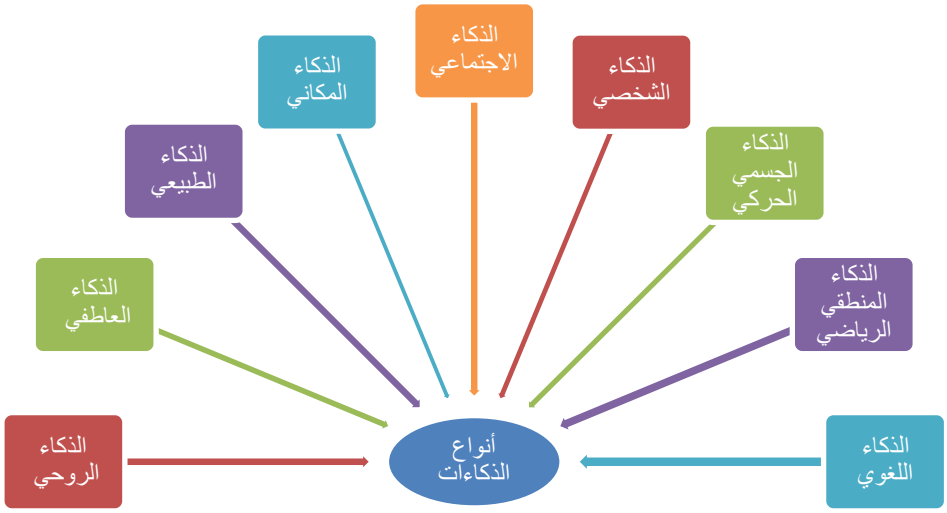

الشكل رقم(07): مستويات الذكاء الثمانية"[1]"

لقد انتقل مصطلح الذكاء مع تحول المعرفة الإنسانية من الاعتماد على الذكاء الفطري للإنسان، إلى الارتهان إلى التقنية والتكنولوجيا، إذ عمد العلماء والخبراء في منتصف القرن العشرين إلى ربط الذكاء الفطري للإنسان بالآلة، وهو ما أدى إلى ظهور مصطلح "**الذكاء الاصطناعي**"، الذي يعكس « سلوكا وخصائص معينة تتسم بها البرامج الحاسوبية تجعلها تحاكي القدرات الذهنية البشرية وأنماط عملها، ومن أهم هذه الخصائص القدرة على التعلم والاستنتاج ورد الفعل على أوضاع لم تبرمج فيما مضى في الآلة، لا شك بأن هذا المصطلح بهذا التعريف لا يخلو من إشكالية نظًار لعدم توفر تعريف محدد للذكاء. ويحاول العاملون في حقل الذكاء الاصطناعي دائبين في تقليد ذكاء

1 –مجد خضر، أنواع الذكاءات الثمانية، 08/ 2018/11 م، ***https://mawdoo3.com***

البشر أو الأحياء الأخرى»"[1]"، وهو ما عمد إليه الإنسان في تحليل الكثير من أمور حياته التي منها اللغات الطبيعية.

مفهوم مصطلح الذكاء الاصطناعي:

تشير التعاريف المتخصّصة في هذا المجال، إلى أنّ الذكاء الاصطناعي عبارة عن علم يهدف إلى « فهم طبيعة الذكاء الإنساني عن طريق عمل برامج للحاسب الآلي قادرة على محاكاة السلوك الإنساني المتسم بالذكاء. وتعني قدرة برنامج الحاسب على حل مسألة ما، أو اتخاذ قرار في موقف ما – بناء على وصف لهذا الموقف – أن البرنامج نفسه يجد الطريقة التي يجب أن تتبع لحل المسألة، أو للتوصل إلى القرار بالرجوع إلى العديد من العمليات الاستدلالية المتنوعة التي غذي بها البرنامج»"[2]".

وقد عرّفه الشرقاوي بأنّه « ذاك الفرع من علوم الحاسوب (***computer sciences***) الذي يهتم بإنشاء برمجيات ومكونات مادية قادرة على محاكاة السلوك البشري في التفكير وحل المشكلات التي تأخذ طابع التكرار وبالتالي تساعد في عملية القرار »"[3]".

تأسيسا على ما سبق من مقولات، سنحاول من خلال هذه المقاربة رصد التمثلات المعرفية للدراسة الصوتية العربية التي قاربت الخطاب القرآني بالاعتماد على البعد التقني والإجرائي الذي أفرزته مجالات البحث في الذكاء الاصطناعي.

1- محمد زكي خضر، الذكاء الاصطناعي في خدمة القرآن الكريم، الجامعة الأردنية، المجلة الدولية للتطبيقات الإسلامية في علم الحاسب والتقنية، المجلد 2، العدد 1 مارس، ص: 01.

2 -آلان بونيه، الذكاء الاصطناعي واقعه ومستقبله، ترجمة علي صبري فرغلي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1993، ص11

3 -محمد علي الشرقاوي، الذكاء الاصطناعي والشبكات العصبية، مركز الذكاء الاصطناعي للحاسبات، القاهرة (سلسلة علوم وتكنولوجيا حاسبات المستقبل)، (دت)، ص23

2-الذكاء الاصطناعي ونماذج المقاربة الصوتية للخطاب القرآني:

إنّ العالم اليوم يشهد طفرة علمية واكبت فيها المعرفة الإنسانية بمختلف مجالاتها ما اصطلح على تسميته بـ"**الثورة التكنولوجية المعاصرة**"، وعلى مستوى مجال المعلومات يمثلّ الحاسوب، وبرامجه إحدى هذه الانفجارات التي ما انفكّ الإنسان يبحث ويخترع كل يوم تقنية معاصرة يقوم بتوظيفها في خدمة اللغة على الوجه العام، والقرآن الكريم على -وجه الخصوص-.

وبظهور "**الذكاء الاصطناعي**"، ووُلوجِه عالم اللغة والخطاب، كان لزاما أن تسهم هذه العصرنة التكنولوجية في « تطوير البرامج التي تعنى بالقرآن وعلومه، وهو ما أسهم بشكل كبير في ظهور إنتاجات لبرامج قرآنية متخصصة تشمل التّلاوات القرآنية، وعلوم القرآن، وبها إمكانية بحث دقيقة عن مفردات القرآن والآيات والسور، وخيارات التفسير، ومعارف أخرى ملحقة، وكلها تعتمد على قواعد بيانات قرآنية تطلّب إنتاجها مجهودات مضنية»"[1]".

وللذكاء الاصطناعي فضل في تعليم وتعلّم القرآن الكريم سواء عن طريق الأجهزة: مثل جهاز الحاسوب الآلي، أو عبر البرامج والتطبيقات مثل: برنامج الباحث القرآني. الذي خصصنا له جزءا من هذا المبحث؛ إذ قمنا بدراسة وصفية مصحوبة بنماذج تدل على أهمية التطبيق [المكتوب(المستوى البصري): نماذج صور (الدلالي، الصوت البصري، التفسير، الإعراب..)].

1 -محمد علي الشرقاوي، الذكاء الاصطناعي والشبكات العصبية، ص 280.

إذ نهدف دلاليا إلى بناء قاعدة بيانات دلالية لمفردات القرآن الكريم، عن طريق محرك دلالي قرآني، وشبكة دلالية مرئية للمفاهيم القرآنية، والنظريات اللغوية التي تفسرها؛ من أجل تحديد منهج معالجتها لغويا في ضوء ما تسمح به القوانين الرياضية التي يعتمدها الحاسوب.

وتتحدد إجرائية المعالجة الآلية للنص القرآني بالاعتماد على برامج الذكاء الاصطناعي في ضوء حاجات متسخدميه، بالاستناد إلى ضوابط تحكم هذه العملية وتؤطرها، كوننا نعالج نصا قرآنيا مقدّسا، والغاية من هذه الإجرائية تقديم القرآن الكريم إلى الناس في صورة تسمح لهم بقراءته وتلاوته وفق الضوابط التي سنّها العلماء، مرتّلا مجوّدا، وسهولة الوصول إلى المعاني الخفية منه بدقة سواء أكان ذلك على مستوى كلمة أم آية أم سورة كاملة.

وإذا تتبعنا مرحلة تعليم القرآن الكريم تلاوة مضبوطة مجودة، فإنّنا نجد جهودا عظيمة قد بُذلت لتحقيق هذه الدراسة من قبل علماء اللغة والتجويد والقراءات ثم علماء الحاسوب، فنجد مقابلا لهذه المدارس على مستوى علماء اللغة والتجويد بتقديم توصيف دقيق للأصوات اللغوية من حيث خصائصها الصوتية والمخرجية، ومن ثمّ سنّ المقاييس الصوتية الدقيقة التي يختص بها الأداء القرآني، بحيث « استطاع علماء الحاسوب أن يتعاملوا جيدا مع هذه المعطيات الصوتية، مستخدمين تقنيات متقدمة مكنتهم من تحقيق نسب عالية من الدقة في تحقيق هذا الهدف وتحقيق درجات عالية من التفاعلية بين الإنسان المتعلم والحاسوب المعلم»"[1]".

1 -حسين محمد علي البومي، قاعدة بيانات معجمية دلالية لألفاظ القرآن الكريم وتطبيقاتها، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينه المنورة، السعودية، ندوة القرآن الكريم والتقنيات المعاصرة، ص12.

ومن خلال هذه التقنيات المعاصرة، وعلى وجه الخصوص الذكاء الاصطناعي نستطيع " أن نكشف عن حقائق في القرآن، فمثلا في (الأضداد):

﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾"[1]": القاسطون هنا هي عكس المقسطين، وهي هنا للذمّ.

﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾"[2]": رغم الوصف بالعزيز الكريم فهو للذمّ أيضا.

﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾﴾"[3]": بمعنى أقسم.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ ﴿١٥٨﴾﴾"[4]": بمعنى فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما.

﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾﴾"[5]" : هنا الوصف للذمّ أيضا"[6]".

ومن المعلوم أن لكل لغة من لغات البشر نظاما صوتيا خاصا بها، ترتكز على مقوماته وأسسه الصوتية التي صنّفها العلماء في هذا الباب، ويعدّ النطق الجيّد لهذه الأصوات من أصعب عناصر اللغة اكتسابا، وعليه فإنّ هذا الجانب من الأداء اللغوي السليم يحتاج إلى عناية وتوجيه وتأطير ممنهج يخضع لسطلة الذات والآلة معا، أو

1 -سورة الجن، الآية 15

2 -سورة الدخان، الآية 49

3 -سورة الواقعة، الآية 75

4 -سورة البقرة، الآية 158

5 -سورة هود، الآية 87

6 -عبد الحق العبادي، دور الذكاء الاصطناعي " في خدمة اللغة العربية، والقرآن الكريم من خلال المعاجم، والمواقع الإلكترونية، أعمال الملتقى الوطني " اللغة العربية وبرامج الذكاء الاصطناعي – الواقع والرهانات – جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية 2020، ص272

بالأحرى بجانبيه النظري والتطبيقي إن صحّ قولنا، إذ النطق الجيد نتاج سماع جيد، " والسمع أبو الملكات اللسانية "[1]".

ولن تتأتّ نتائج هذه التقنية إلا عن طريق تصميم برامج حاسوبية خاصة لتعليم أصوات اللغة العربية، إضافة إلى الاستماع الجيد للقرآن الكريم، والتمرّن والتعوّد على النطق السّليم الصّحيح لحروف العربية وأصواتها، وقد ذكر "**الحسن بن قاسم المرادي**" (ت 794 هـ) موضوعات علم التجويد والأركان الأساسية التي ينهض عليها، والتي تتضح من خلال قوله: « إنّ تجويد القراءة يتوقف على أربعة أمور:

أحدها: معرفة مخارج الحروف.

والثاني: معرفة صفاتها.

والثالث: معرفة ما يتجدد لها بسبب التركيب من الأحكام.

والرابع: رياضة اللسان بذلك وكثرة التكرار »"[2]".

ومما لاشك فيه، أن تفعيل البرامج الحاسوبية لخدمة اللغة والقرآن الكريم، أدى إلى فتح آفاق علمية نافعة تفيد المنظومة التعليمية التربوية والدينية في نفس الوقت، إذ ساهمت « على تشجيع التعليم على كل المستويات المتعلقة بالقرآن الكريم، وتجعل مبدأ التعلم متاحا عند الطلب في أي مكان، فاستخدام "الذكاء الاصطناعي"، و"الحاسوب"، و"التقنيات المعاصرة" عموما في تعلم القرآن، وتعليمه يعود على الطلبة، والمعلمين بفوائد عديدة»"[3]" يمكن ان نجملها على النحو الآتي:

---

1 -ابن خلدون، المقدمة، دار القلم، بيروت، ط5، 1984،ج1، ص 559

2 -غانم قدوري الحمد، محاضرات في علوم القرآن، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2002، ط1، ص160

3 -عبد الحق العبادي، دور الذكاء الاصطناعي " في خدمة اللغة العربية، والقرآن الكريم من خلال المعاجم، ص280

1- توفير تعلم القرآن الكريم في أي وقت، وفي أي مكان دون الاقتصار على أوقات الحصص في الأقسام، أو الورشات العلمية، فالحاسوب، والأنترنت، والهاتف المحمول موجودة في كل مكان.
2- تطوير مهارات الطلاب، والمعلمين على حد سواء ليتجاوزوا مجرد حفظ القرآن الكريم، وتلاوته على الشكل الصحيح، إلى زيادة قدرتهم على استخدام التقنيات الحديثة، والتفاعل معها وربطها بحفظ القرآن، وتلاوته، وتعلم علومه.
3- نشر رسالة القرآن الكريم على المستويات كافة المحلية، والإقليمية، والعالمية.

وفي هذا الصدد، يقول بعض التربويين عن هذه التقنيات والبرامج الحاسوبية المصنّعة لخدمة القرآن الكريم: « أصبح من المتوافر على جهاز الحاسوب برامج متعدّدة للتحفيظ، وفي البرنامج الواحد خيارات عديدة، ويمكن مُريدَ الحفظ أن يختار منها ما يتناسب مع حاله، ومن هذه البرامج ما يمكّن الحافظ من سماع الآية مكرّرة عدّة مرات، ويعطيه وقتا كافيا لترديدها بعد القارئ »"[1]".

وتختلف برامج الذكاء الاصطناعي التي وظفت لخدمة القرآن الكريم على مستويات مختلفة، فهناك برامج موسوعية، ومنها البرامج العادية:

أولا: البرامج الموسوعية: وتنقسم إلى قسمين أساسيين"[2]":

1- **البرامج الموسوعية المتخصصة في علوم القرآن:** ويتميز هذا النوع من المشاريع بإعداد قواعد بيانات، وبرامج حاسوبية في جمع نسخ القرآن، أو

1- أمين محمد أحمد الشنقيطي، تحفيظ القرآن الكريم بالتكرار عبر التقنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، السعودية، ندوة القرآن الكريم والتقنيات المعاصرة (تقنية المعلومات)، ص20

2 -المرجع نفسه، ص281

التلاوات القرآنية لعدد من القراء، أو في علم من علوم القرآن، "كعلم القراءات"، و"التفسير" و"والرسم القرآني"، وغير ذلك، ومثال ذلك: (برنامج موسوعة جامع القراءات)، وقد اشتمل على عشرين مصحفا إلكترونيا، تتيح تعلم القراءات، وعلوم أخرى...

2- **البرامج الموسوعية العامة التي تعنى بعلوم القرآن:** وهي برامج تشتمل على كم هائل من العلوم القرآنية، فضلا عن المصاحف المكتوبة، والمسموعة، مع خاصية البحث، وتعليم التجويد، والقراءات، وعادة ما تشتمل على محركات بحث، تختلف في تطورها من شركة إلى أخرى، ومن ذلك (برنامج الموسوعة القرآنية الميسرة)....

3- **البرامج العادية:** وهي برامج تتّسم بالتخصص المحدود، وعدم الشمول، ويقتصر دورها على جوانب جزئية في خدمة القرآن، وعلومه، مثل: برامج تعليم التجويد، والتلاوة، وبرامج التلاوة لقارئ معين، أو عدد من القراء، وأغلبها الآن أصبح متاحا بالمجان على المواقع القرآنية في الإنترنت، ومن ذلك على سبيل التمثيل برنامج (معلم القرآن).

نموذج المنطوق (المستوى الصوتي): نماذج صور (اختلاف القراءات وتنوع القراء)

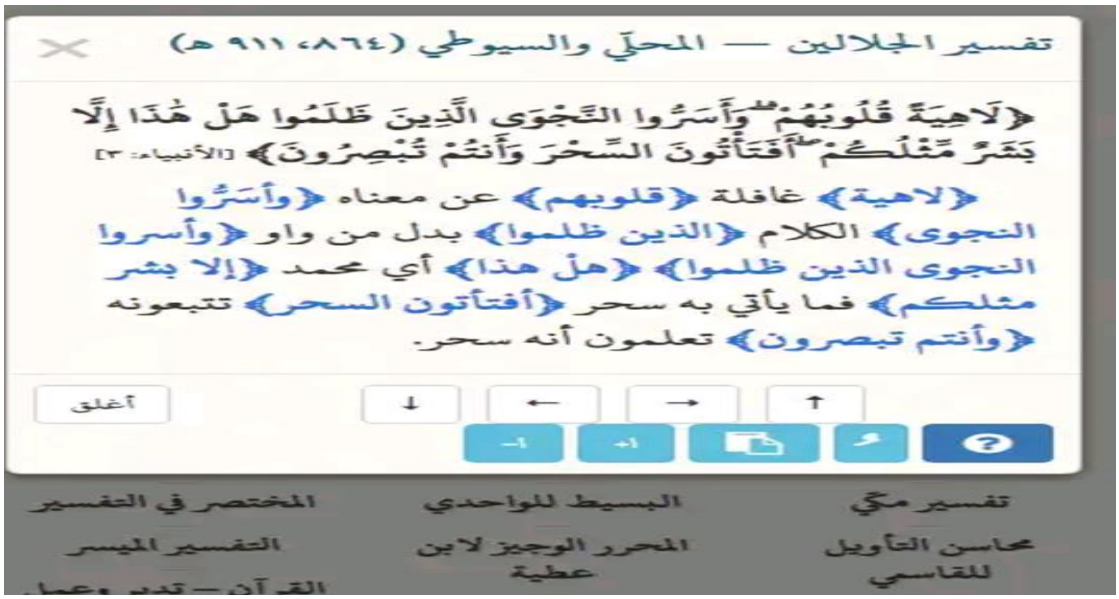

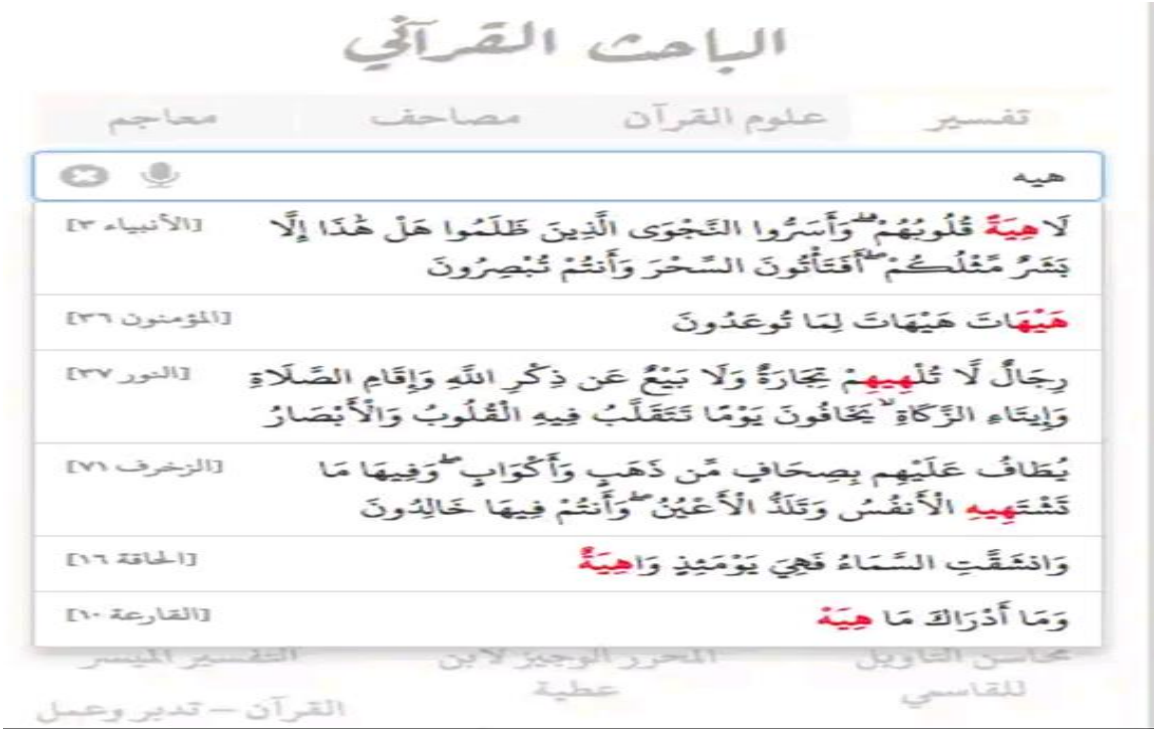

صورة لبرنامج الباحث القراني تبين تفسير قوله تعالى : ﴿لاهية قلوبهم﴾ ومختلف أحوالها

صورة لبرنامج الباحث القرآني تظهر المعجم الاشتقاقي المؤصل لحرفي "كم"

صورة لبرنامج الباحث القرآني تظهر عملية البحث عن كلمة محمد:

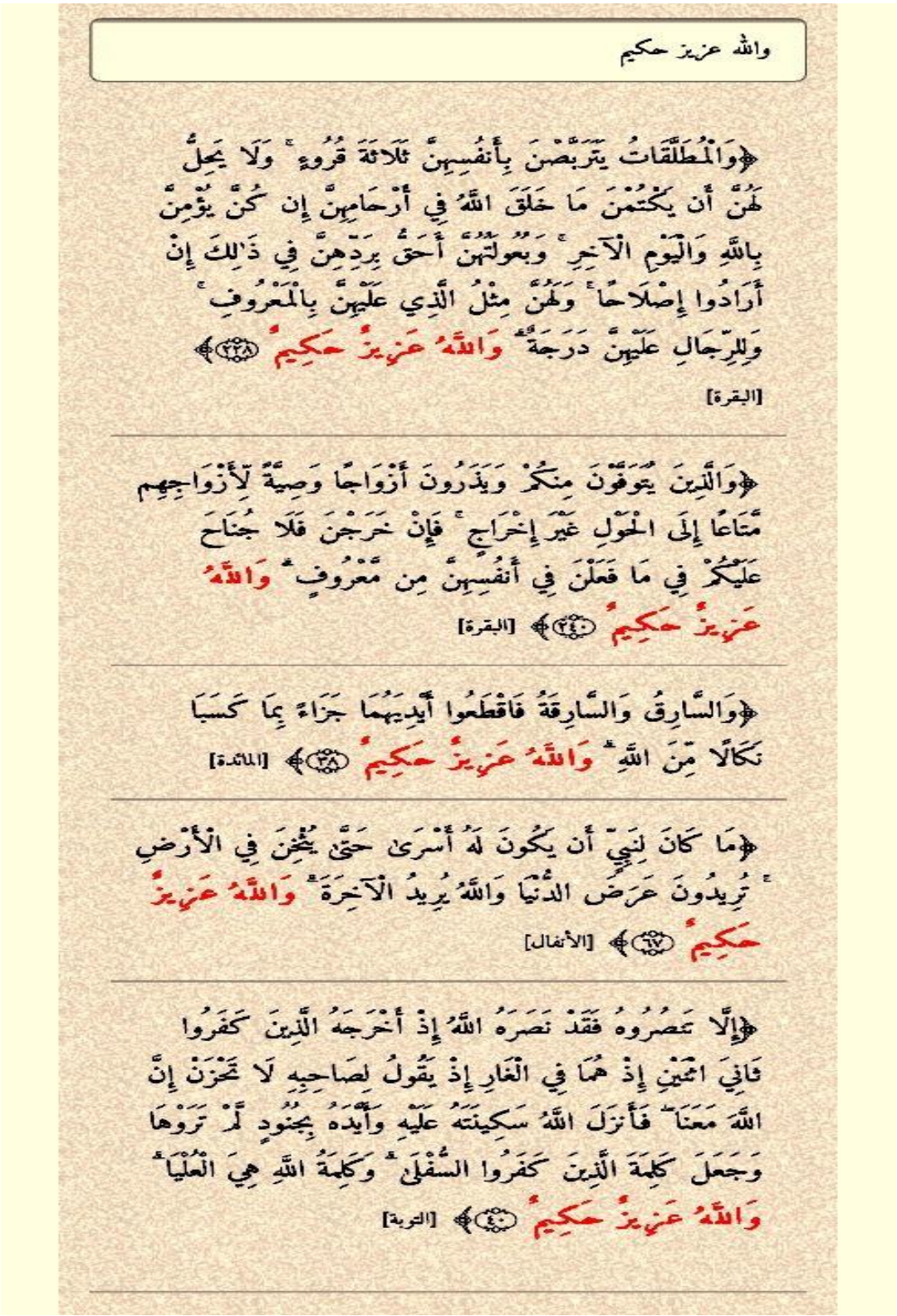

صورة تظهر لبرنامج الباحث القرآني تظهر نتائج البحث عن آية: ﴿والله عزيز حكيم﴾

3-دور التقنية المخبرية في تحليل الفونيمات فوق تركيبية في الخطاب القرآني:

3-1-المجال النظري للمقاربة الصوتية المخبرية:

تمكن علماء الأصوات المعاصرين من مواكبة التحول المعرفي والإجرائي الذي شهدته الحقول اللغوية، وهو ما أدى إلى إحداث نقلة بحثية من مجالات التحليل النظري، إلى آفاق المقاربة المخبرية للكشف عن خبايا تلك الدراسات وسبر أغوارها الفيزيائية، من أجل الوصول إلى الدقة العلمية المطلوبة في مثل هذه الدراسات، فكان أن عمدت إلى صياغة مقولات فيزيائية وفيزيولوجية، استحضرت التقنية المخبرية لتشكيل معالمها.

3-1-1-علم الأصوات الفيزيائي/الأكوستيكي:

إنّ الصوت في ماهيته الفيزيائية حركة اهتزازية ناتجة عن المادة المهتزة بين حدّين، في شكل اهتزازات أو موجات تنتقل في وسط ناقل بفعل ميكانيكي، لتصل إلى الأذن فتؤدي غرض التواصل، « فمن الناحية الفيزيائية، حدّدت الكلمة بعدد من المفاهيم عند غير عالم من علماء الطبيعة (***physics***) وذلك على النحو التالي:

- الصوت اهتزازات ميكانيكية في أي وسط مادّي (غاز ، سائل ، صلب).
- الصوت سلسلة تتابعات سريعة من التضاغطات (***compressions***) والتخلخلات (***rarefactions***) المتتالية في الهواء .
- الصوت هو الطاقة التي تصل إلى الأذن من الخارج»"[1]".

1 -خلدون أبو الهيجاء، فيزياء الصوت اللغوي ووضوحه السمعي، عالم الكتب الحديث، 2006، ط1، ص 04

وتأسيسا على ما تقدّم، فإنّ الضرورة العلمية تحتم علينا احتواء هذه الدراسة لتلمّ بحقيقة الصوت البشري، بغية التنقيب عن النسيج الطبيعي المكوّن لهذا الصوت وتجليّاته وتمظهراته، من مرحلة الإصدار إلى عملية الاستقبال، بمناهج جديدة ارتكزوا فيها على الوسائل العلمية الحديثة التي تعينهم على هذه الدراسة .

ومع هذه النقلة العلمية، شهدت حقول المعرفة الصوتية الحديثة، دخول التقنية المخبرية ضمن الأقسام الرئيسية لعلم الأصوات، والمتمثلة في علم الأصوات النطقي، وعلم الأصوات الفيزيائي، وعلم الأصوات السمعي.

ويعد علم الأصوات الأكوستيكي (***la phonétique acoustique***) فرعا من فروع الدراسة الصوتية، التي تعنى « بدراسة الأبعاد المادية أو الفيزيائية للصوت الإنساني في أثناء مرحلته الانتقالية من فم المتكلّم إلى أذن السّامع، أي أنّه يدرس الذبذبات والموجات الصوتية التي يحدثها نشاط أعضاء النطق وتنتقل عبر الهواء»"[1]"، إذ يحرص الباحث الصوتي في ظل هذا الحقل الصوتي، على تحليل « الذبذبات والموجات الصوتية المنتشرة في الهواء بوصفها ناتجة عن ذبذبات ذرات الهواء في الجهاز النطقي المصاحبة لحركة أعضاء هذا الجهاز»"[2]".

إلاّ أنّنا نصادف لهذا المصطلح من الناحية المعرفية تداخلا لدى المحدثين في جانبه المفاهيمي، إذا أطلق عليه البعض مصطلح علم الأصوات الفيزيائي"[3]" ***physical***

1 - كمال بشر، علم الأصوات، ص 49، ودراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، ص 19

2 -المرجع نفسه، ص 49.

3- أحمد عمر مختار، دراسة الصوت اللغوي، ص19

phonetics، كما نجد ترجمة أخرى لدى محمود السعران للكلمة بـ ***acoustic*** " سمعي"[1]"، غير أن المصطلح الأكثر تداولا ، هو علم الأصوات الأكوستيكي ***acoustique*** « ذلك الفرع الذي يتناول الخصائص الانتقالية للكلام، وفي اعتبار هذا الفرع شاملا لجانبين هما، الجانب الفيزيائي والجانب الفسيولوجي المتعلق بالسمع وإدراك الصوت»"[2]".

وبذلك، فإن التقنية المخبرية التي استفاد منها علم الأصوات الأكوستيكي، دفعته إلى تخطي مرحلة التنظير السطحي القائم على التذوق الذاتي للأصوات، لتنتقل إلى «تفسير بعض أنواع التطور التي تلحقها، فتعرف الطبيعة الفيزيائية لهذه الأصوات كالوقوف على مكونات الحركات ***vowel formants***، وعلى الحزم الصوتية للصوامت ***consonants***، وعلى ظاهرة انتقال الصوت في الهواء، وعلى طريقة رد فعل الأذن لهذه المثيرات»"[3]".

بالإضافة إلى معالم أخرى كشف عنها هذا الفرع من علم الأصوات في عدّة مجالات، منها هندسة الصوت وما يتّصل بها من الوقوف على طبيعة الصوت الإنساني في صورته المبثوثة في الهواء بطريق المذياع، أو وسائل الاتصال السلكية المختلفة، ومنها علاج أنواع معيّنة من الصمم وعيوب النطق، ومنها التحليل الأكوستيكي للأصوات، ومعرفة طبيعتها الأكوستيكية، من حيث موجاتها وطبيعتها وأنواعها وتردّدها، وبعض الخصائص الفيزيائية كالدرجة ، والعلوّ ، والشدّة ، والنّوع ، والسّعة الذبذبية "[4]".

1- أحمد عمر مختار، دراسة الصوت اللغوي، ص19

2- المرجع نفسه، ص20

3- المرجع نفسه، ص 52

4 -ينظر، المرجع نفسه، ص 50 - 51

ولا مناص هنا من الحديث عن فيزياء الصوت الذي يتولّد عن حدوث حركة ما، تؤثر في جزئيات الهواء –كما أسلفنا سابقا ذكره – لتشكّل موجات مختلفة لا تتأتى معالمها المادية إلا بدراستها ضمن بوصلة الفيزياء، إذ أنّ مصدرية الصوت « هو أيّ شيء يسبب اضطرابا أو تنوعا ملائما في ضغط الهواء ، مثل الشوكة الرنانة ، والوتر الممتد، وهو في أصوات اللغة أعضاء النطق، ولا سيما الوترين الصوتيين، التي تتحرك في اتجاهات مختلفة، وبأشكال متعددة، وتنتج أصواتا ***sounds*** تسبب تنوعات في ضغط الهواء»"[1]".

وفي هذا السياق ألفينا "**ابن سينا**" يشير إلى قضية انتقال الصوت على شكل ذبذبات متتابعة معبرا عن ذلك بقوله: « إنّ التموّج ليس هو حركة انتقال من هواء واحد بعينه بل كالحال في تموج الماء يحدث التداول بعد صدم مع سكون قبل سكون وهذا التموج الفاعل للصوت سريع لكنه ليس بقوي الصك»"[2]".

تماشيا مع هذا الطرح الذي تحددت وفقه أكوستيكية الصوت، يتبين لنا أنّ «انتشار الصوت اللغوي هو: تذبذب جزئيات الهواء الملامس للأذن بسبب حركات الجهاز النطقي، بحيث تتأثر الأذن بذلك التذبذب فتؤدي إلى إحساس سمعي»"[3]". ثم إنّ الحديث عن هذه الحركة النطقية التي تسبب تذبذب جزيئات الهواء، فتحدث ضغطا في منطقة التخلخل، لـ« يستمر تحرك جزيئات الهواء على شكل سلسلة متتابعة من التضاغطات والتخلخلات التي تكوّن الموجة الصوتية ***acoustic wave***»"[4]".

---

1 -أحمد عمر مختار، دراسة الصوت اللغوي، ص21.

2 -علي خليف حسين، منهج الدرس الصوتي عند العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971، ص53.

3 -خلدون أبو الهيجاء، فيزياء الصوت ووضوحه السمعي، ص77.

4 -المرجع نفسه، ص79.

3-1-2-1-الملامح الأكوستيكية للصوت اللغوي:

أ- الموجة الصوتية:

ينتج عن تلك الاهتزازات المتعاقبة في ذرة الهواء بسبب تحرك مصدر الصوت موجة صوتية، وهي « مجموعة من الذبذبات الصوتية المتعاقبة (التضاغطات والتخلخلات) التي تنتج إحداها من الأخرى»"[1]"، أو هي « سلسلة من التغيرات في ضغط الهواء يمكن للأذن البشرية أن تلتقطها كصوت»"[2]".

وقد ميّز علماء الأصوات بين أنواع مختلفة من الموجات الصوتية، تبعا لاختلاف مصادرها، وتباينها « من حيث الانتظام أو عدمه: منتظمة ***periodic***، وغير منتظمة (***non – periodic***)، ومن حيث البساطة أو التركيب: بسيطة (***simple***)، ومركبة (***complexe***)، والبسيطة المنتظمة تصدر عن مصدر منتظم للذبذبة»"[3]".

ويصطلح على الشّكل الذي يمثّل الموجات الصوتية لكلمة معينّة (الشكل الموجي)، وتسمى المسافة بين وضع السكون وأقصى نقطة يمكن أن يصلها الجسم المتحرك بـ (السعة الموجية ***amplitude***، وتعني التباين بين أعلى وأسفل نقطة في الموجة، وهذه السعة هي التي تسبّب التوتر، ويتناسب ذلك طرديا مع الاتساع، فكلّما زاد الاتّساع زاد التوتّر »"[4]".

---

1 -خلدون أبو الهيجاء، فيزياء الصوت ووضوحه السمعي، ص84

2 -عبير نواف بني مصطفى، التحليل النطقي والأكوستيكي للظواهر الصوتية في القراءات الشاذة، رسالة دكتوراه، إشراف سمير شريف استيتية، جامعة اليرموك، الأردن، 2003، ص14

3 -أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص22

4 -المرجع السابق، ص14

ب- **التردّد** : ***fréquence***

يعرّف التردّد بأنّه عدد الدورات الكاملة التي تحدث نتيجة التغيرات في ضغط الهواء مقاسا بالثانية"[1]"، أو هو عدد الدورات الكاملة في الثانية الواحدة، أو عدد مرات التغيّر في الضغط في الثانية الواحدة، فإذا كان تردّد جسم مثلا 500 دورة، فمعنى ذلك أنه يصدر هذا العدد من الذبذبات الكاملة في الثانية الواحدة"[2]". إذ يمثّل مقياسا أكوستيكيا للصوت اللغوي، يقابل من حيث الإدراك السمعي لهذا الصوت بدرجته (***pitch***)"[3]".

ولعلّ ما يؤثّر في ترددات موجة الصوت اللغوي مجموعة من العوامل تتمثل في سرعة الهواء اللازم لإنتاج الصوت، فكلما زادت سرعته زادت ترددا‌ته، وحركة اللسان العمودية والأفقية، والتضييق الذي يطرأ على التجويف الفموي والحلقي"[4]".

ويدعى التغيّر الحاصل في عدد مرّات الضّغط في الثانية الواحدة بذبذبة الصوت أو (تردّد الصوت)، « ويقاس عادة بعدد الذبذبات في الثانية الواحدة أو الهيرتز (***hertz***) والهيرتز يمثل وحدة قياس الاهتزاز أو التردد المتفق عليه عالميا "[5]".

---

1 -ابتسام حسين جميل، التحليل النطقي والأكوستيكي للحركات وللانتقال بينها وبين الوقفيات في العربية، رسالة ماجيستر، جامعة اليرموك، الأردن، 1994، ص15

2 - عبير نواف بني مصطفى، التحليل النطقي والأكوستيكي للظواهر الصوتية في القراءات الشاذة، ص14

3 -ينظر، خلدون أبو الهيجاء، فيزياء الصوت اللغوي ووضوحه السمعي، ص248

4 -ينظر، شريف استيتية، الأصوات اللغوية، رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، ص313 – 315، وأبو الهيجاء، فيزياء الصوت اللغوي ووضوحه السمعي، ص98

5 -أمجد عبد الرزاق كرجية، فيزياء الصوت والحركة الموجية، قسم الفيزياء، كلية التربية، جامعة الموصل، 2000، ط2، ص36

وأثناء اهتزاز الجسم فإنّه يحدث تذبذبا في كل جزء منه في نفس الوقت، وبسرعة تتناسب بين الجزء المهتزّ والجسم ككلّ، ولذلك لا تصدر عن الجسم ذبذبة أساسية أو تردّد واحد، بل سلسلة من التردّدات تدعى التوافقيات (***harmonic***)"[1]". ويقاس تردد حركة الجسم أو تردد الذبذبات بعدد الدورات في الثانية (***cps***)"[2]".

ج- السعة: ***amplitude***

وتمثّل سعة الذبذبة ***amplitude*** البعد بين نقطة الاستراحة، وأبعد نقطة يصل إليها الجسم المتحرك، وهي المسؤولة عن التوتر ***intensity***، فكلما زاد الاتساع زاد التوتر "[3]".

د- العلو: ***loudness***

حينما تقرع شوكتان رنانتان متماثلتان، واحدة برفق والأخرى بقوة، فإن الفرق بين الصوتين الناتجين سيكون أنّ أحدهما منخفض ومجرد مسموع، أمّا الآخر فعال ويمكن سماعه على مسافة بعيدة"[4]"، والسبب راجع في ذلك إلى « الحركة القوية التي تؤدي إلى اضطراب أكبر في الهواء ... وبالعكس بالنسبة للسامع يسبب اضطراب الهواء القوي حركة أكبر في طبلة الأذن ويترجم ذلك بارتفاع الصوت»"[5]".

---

1 -ينظر، عبير نواف بني مصطفى، التحليل النطقي والأكوستيكي للظواهر الصوتية في القراءات الشاذة، ص15

2 -ينظر، أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص25

3 -ينظر، المرجع نفسه، ص25

4- ينظر، المرجع نفسه، ص30

5 - المرجع نفسه، ص30

فيكون العلوّ بهذا عبارة « عن ذلك الإحساس الذي يتوقف على شدة الصوت المسموع»"[1]"، ثم إنّ علوّ الصوت يتصاعد بوتيرة الازدياد ومع ازدياد شدّته، « إلا أنّ الأذن ليست بنفس الحساسية للأصوات ذات الترددات المختلفة، ونتيجة لذلك فإنّ الأذن لا تستطيع سماع الصوت ذي التردد العالي بنفس العلو الذي تسمع به صوتا تردده أقل وشدته مساوية لشدة الصوت الأول»"[2]".

هـ- درجة الصوت: *pitch*

ترتبط درجة الصوت بعدد ذبذبات الجسم المصوت، وهي تؤهل الأذن للتمييز بين «الأصوات من حيث الحدة والغلظة، وتتوقف درجة الصوت بهذا المفهوم على عدد الاهتزازات أز الذبذبات التي يصدرها الجسم المصوت في الثانية، وهو ما يسمى بالتردد فإذا زاد عدد الذبذبات في الثانية كان الصوت حادا دقيقا، وإذا قل عدد الذبذبات كان الصوت غليظا أو سميكا»"[3]"، وتكون درجة الصوت أعلى كلما كانت الذبذبات أسرع، وعددها في الثانية أكثر"[4]".

و- طابع الصوت: (نوعه) *timbre*

مما لا شك فيه أنّنا حين نتصادف مع نغمتين تتفقان من حيث درجة الصوت ***pitch*** وفي العلو ***loundness*** من مصدرين مختلفين، فإنّ كلا المصدرين يصدران مجموعة من النغمات واحدة تكون أساسية، وأخرى توافقية، فالفارق بينهما « نوع الصوت أو

1 -أمجد عبد الرزاق كرجية، فيزياء الصوت والحركة الموجية، ص479

2 - أمجد عبد الرزاق كرجية، فيزياء الصوت والحركة الموجية، ص479

3 -كريم زكي حسام الدين، الدلالة الصوتية، دراسة لغوية لدلالة الصوت ودوره في التواصل، مكتبة الأنجلو المصرية، 1992، ط1، ص39

4 -ينظر، أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص30

الأثر السمعي الناتج عن عدد الموجات البسيطة التي تكون الموجة المركبة التي تحمل الصوت للأذن، وتردد كل منها، واتساعها»"[1]".

وعليه فإنّنا، « نستطيع أن نميز بين الأصوات الناتجة من مصادر مختلفة وإن كانت هذه الأصوات تتّسق في درجتها وشدّتها، لأن الأذن تدرك شيئا آخر في هذه الأصوات غير الشدّة والدرجة ونعني بذلك القيمة أو الطابع (***timbre***)"[2]"، وعليه فإن طابع الصوت هو « الخاصية أو الصفة التي تستطيع الأذن أن تميز بها الأصوات المختلفة الإنسانية وغير الإنسانية، وتسمى أيضا البصمة الصوتية»"[3]".

ز- شدّة الصوت: *intensity*

ينجرّ عن الحركة الاهتزازية للصوت تولّد طاقة فيزيائية يصطلح على تسميتها بشدّة الصوت، وهي عبارة عن بعد فيزيائي أساسي لتمييز الصوت، إذ تعد « الصفة التي تميز بها الأذن الأصوات من حيث القوة والضعف، أو العلو والانخفاض، وتتوقف شدة الصوت بهذا المفهوم على قوة القرع أو الطرق للجسم المصوت لأن قوة القرع تؤدي إلى حركة قوية تحدث اضطرابا قويا في الهواء تسمعه الأذن بقوة ووضوح وحينئذ نصف الصوت بالعلو»"[4]". وعليه فإن الشدّة مقياس من المقاييس الأكوستيكية للصوت اللغوي، التي تقاس « بمقياس الدّيسبل (***decibel***) ويرمز له (***db***) وهي وحدة لوغارتمية

---

1 - أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص31

2- سامي عياد – كريم زكي حسام الدين – نجيب جريس، معجم اللسانيات الحديثة (انجليزي، عربي)، مكتبة لبنان، 1997، ط1، ص117

3 -المرجع نفسه، ص117

4 -كريم زكي حسام الدين، الدلالة الصوتية – دراسة لغوية لدلالة الصوت ودوره في التواصل، ص40- 41

نسبية (تستعمل للمقارنة بين صوت أو أكثر)، تقابل الوحدة الفيزيائية المستعملة في قياس نسبة الضغط الصوتي وهي الواط في السنتيمتر المربّع (***wat/cm2***)"[1]".

ح- الزمن:

يعد الزمن « المدة التي تستغرقها ترددات موجات الصوت أو النطق به، ومعرفته من أهم العوامل في تشخيص الأصوات»"[2]"؛ أي هو المدّة الزمنية التي يستغرقها كل صوت أثناء حدوثه. ومن ثم، فإن العنصر الزّمني لعملية الأداء الكلامي تتمثل في «الزّمن المستغرق في نطق أي كتلة صوتية (كلمة، أو جملة ، أو أكثر) بما في ذلك الزمن الذي استغرقه كل صوت، والزمن الذي أخذته الوقفات، والزمن المستنفذ في عملية الانتقال من بين الأصوات، والمقاطع، والكلمات، قليلا كان أو كثيرا»"[3]".

ويطلق على عنصر الزّمن من النّاحية الفيزيولوجية (الكمّ الزمني / ***duration***)، وهو « الزمن الذي تنجز فيه التحولات النطقية اللازمة لإنتاج الصّوت»"[4]"، أمّا إذا تطرقنا المجال الدلالي للمصطلح على الصعيد الفيزيائي، فإنّه يشير إلى « ما تستغرقه الموجات الصوتية من الوقت ويسمّى (الزّمن / ***time***)، ولكنه ينحو إدراكيا إلى ما يحسّه الإنسان اتجاه الأصوات من فروق زمنية ويسمى (الطول / ***length***)»"[5]".

1-ينظر، زين العابدين سليمان، تنغيم الجملة في اللغة العربية – دراسة أكوستيكية -، عالم الكتب الحديث، إربد، 2017، ط1، ص127

2- شريف استيتية، الأصوات اللغوية، ص 241

3- عبد العزيز أحمد علام، من التزمين في نطق العربية الفصحى، دار البصائر، القاهرة، 2007، ط1، ص152

4 -المرجع نفسه، ص160

5 -أحمد علام عبد العزيز، ربيع محمود عبد الله، علم الصوتيات، مكتبة الرشد، الرياض، 2009، دط، ص156

3-2- فاعلية الأجهزة الطيفية في استقراء المقاطع الصوتية:

أتاحت الإمكانات المخبرية الحديثة، التي استثمرها علم الأصوات الأكوستيكي، إلى إحداث قفزة علمية، سمحت بتعقب مختلف المراحل التي يمر بها الصوت اللغوي، والتي يتجلّى في شكل تموجات تتذبذب في الهواء، التي لا يمكن أن تستشفّ بدقّة إلا عن طريق تحليلها باستعمال التقنيات العديدة التي أتاحتها الصوتيات المعملية، فقد «تمخّض التقدم العلمي في مجال دراسة الصوت عن إنتاج جهاز المطياف (الراسم الطيفي للصوت) ***sound spectrograph***، والذي يمكننا باستخدامه وتغذيته بأي رسالة صوتية يراد تحليلها أن نحصل على رسم طيفي للصوت»"[1]"، حيث يتيح هذا الجهاز تقديم «تسجيلات بصرية ثابتة لتتابع أصوات الحدث الكلامي، في شكل خطوط متعرجة مختلفة التركيز تبعا لقوة الذبذبات الصوتية الموجهة»"[2]".

تماشيا مع هذا الطرح، انساق البحث صوب تمثل فاعلية التحليل المخبري، وذلك بعد أن ارتكزنا على المنطلق النظري للمقاربة الأكوستيكية المخبرية، ولن تتأت إمكانية هذا المعالجة دون الولوج إلى عالم تحليل الأصوات أكوستيكيا، بناء على معطيات ارتكزنا فيها على شواهد قرآنية، كون السند الذي اعتمدنا عليه هو (الخطاب القرآني).

4- المقاربة المخبرية للفونيمات فوق تركيبية في الخطاب القرآني –قراءة في بعض النماذج"[3]"-

1 –سعد عبد العزيز مصلوح، دراسة السمع والكلام، صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2000م، ص49

2- أحمد عمر مختار، دراسة الصوت اللغوي، ص56

3 – بناء على هذا التوجه، اعتمدنا البرامج الحاسوبية "***praat***" الذي يعني "الكلام"، وهو برنامج مجاني لتحليل ومعالجة الموجات الصوتية، كتبه وأشرف عليه ***paul boersma and david weenink*** من معهد علوم الصوتيات في جامعة أمستردام، " وهذا التطبيق لتحليل ومعالجة وكتابة الموجات الصوتية.

يحرص قرّاء القرآن على تجويده وتلاوته وفق الوجه الصحيح المتوافق مع طبيعة الأداء الصوتي المتواترة عن الرسول صلي الله عليه وسلم، من جهة، والمقصد الدلالي والتأثيري الذي يفرزه التركيب القرآني من جهة أخرى الدلالي. وبذلك، توطدت العلاقة بين مظاهر الأداء الصوتي والمعنى المقصود، بالاشتراك مع قرائن سياقية تهيّئ للقارئ إمكانية التنويع والمزج بين الأداء والدّقة من موضع لآخر حسب مقتضى الحال والسياق والآية وغرضها.

وعليه سنعمد من خلال هذا الفصل، إلى استراتيجية إجرائية مُؤدّاها المقصدي معرفة مدى إسهام التنغيم الصوتي والنبر والوقف والمد، في إجلاء أبرز الدلالات والمعاني التي حملتها مواضع التنغيم والنبر والوقف والمد في هذه الدراسة، وذلك بتتبّع منحى نغمي لآيات قرآنية مرتّلة بأصوات مختلفة لبعض المقرئين والوقوف على دلالتها النغمية.

4-1-أساسيات الدراسة:

تتطلّب دراسة الظواهر التطريزية في الخطاب القرآني، استحضار مدوّنة صوتية تحوي نماذج من الملفوظات القرآنية المراد تحليلها ودراستها، وقد وقع اختيارنا على نماذج صوتية، كون معاني القرآن الكريم وألفاظه بلغت أفق الإعجاز في رقتها، وجزالتها، وسبكها، لذلك فإنّ هذه المدوّنة المقدّسة تأبى إلاّ أن تُقرأ قراءة تتوفّر فيها شروط الدقة والجودة، حيث يرتكز فيها القارئ على الظواهر الصوتية الأدائية بمختلف تجلّياتها من أجل بلوغ تلك المقصدية المقروئية في حدود ذلك النص المعجز، ولعلّ أبرز هذه الظواهر " التنغيم الصوتي والنّبر، والوقف والمدّ ".

ثمّ إنّ معرفة طبيعة التحليل والتعليل الفيزيائي لهذه الظواهر، يستدعي إتّباع خطوات علمية ومنهجية بُغية الوصول إلى الأهداف المرجوّة من خلال هذا التحليل، فبعد أن تعرضنا في الفصل الثاني للجانب النظري لظاهرتي النبر والتنغيم، وأهم العتبات العلمية التي تحكم الظاهرتين، اقتضت منا المعالجة اللسانية المقارنَة مُطاولة آليات التعرُّف الفيزيائي على هذه الظواهر، من خلال هذا الفصل، وعليه سوف يتم اختيار نماذج من آيات قرآنية، وسور مختلفة، ومقرئين مختلفين، متلوّة برواية حفص عن نافع، معتمدين فيها على مرتبة الترتيل.

4-2-النماذج المختارة:

تستوجب الدراسة المخبرية للتنغيم والنبر والوقف والمد في القرآن الكريم، حضورا إلزاميا للتمثيل الصوتي، من خلال نماذج ملفوظية، تمّ اختيارها من سور مختلفة مرتّلة، اعتمد فيها المرتّل على مرتبة الترتيل، كونه يتميّز بنغم خاص يستظهر فيه القارئ طبقات التنغيم والنبر، والوقف والمدّ، بأداء يستجلب العناية والملاحظة، إذ يسعى القارئ دائما إلى محاولة استظهار طبقات صوته متّكئا على سياج يُظهر فيه نغمته الصوتية والتي تطلّبتها الآية والموضع، فينجلي الصوت بذلك، ويبلغ مرتبة الإبلاغ والقصد من وراء التلاوة .

وقد تنوعت مستويات التنغيم وأنواع النبر والوقف والمد ودلالتها في سور القرآن، بين نغمات صاعدة، ومستوية، وهابطة، إلى نبر الكلمة، ثم الجملة، مرورا بالوقف وأنواعه، ثم المدود، التي اقتضاها سياق كل آية وبعدها الدّلالي، والآيات قيد الدّراسة هي كالآتي :

- قال تعالى : ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١﴾"[1]"

1- سورة القدر، الآية 01

- قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾"[1]"
- قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾"[2]"
- قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾"[3]".

4-3-خطوات العمل:

للقيام بدراسة الآيات المختارة وتحليلها أكوستيكيا، نتّبع الخطوات الآتية:

1- فصل الآية القرآنية من سورتها وجعلها منفردة عن باقي الآيات.

2- أتبعنا الآية بتفسير موجز، بالاعتماد على تفاسير القرآن الكريم.

3- عزل المقطع الصوتي للآية المسجّلة وفصله عن السورة في صيغة (***mp3***)، وإدراجه على برنامج (***praat***)، بحيث يعمل هذا البرنامج على تحويل الكلام وترجمته إلى ذبذبات وصور طيفية، فيظهر المنحنى النّغمي للآية باللون الأصفر الذي يمثل (الشدّة)، والمنحنى الأزرق الذي يمثّل (التردّد)، إذ من خلال هذه التقنية نخلُص إلى معطيات بيانية ذبذبية وطيفية للملفوظ الذي وقع عليه النّبر والتنغيم، نموذجا الدّراسة، ثمّ استخراج المعطيات الفيزيائية، المتمثّلة في الشدّة والتردّد والزّمن.

4-4-تحليل المعطيات واستخلاص القيم الرقمية من الرسم الطيفي:

4-4-1- قراءة تحليلية للتنغيم:

1 -سورة الإنسان، الآية02

2 -سورة الانسان، الآية 01.

3- النازعات 34

قراءة تحليلية لمستويات التغير: في قوله تعالى : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾

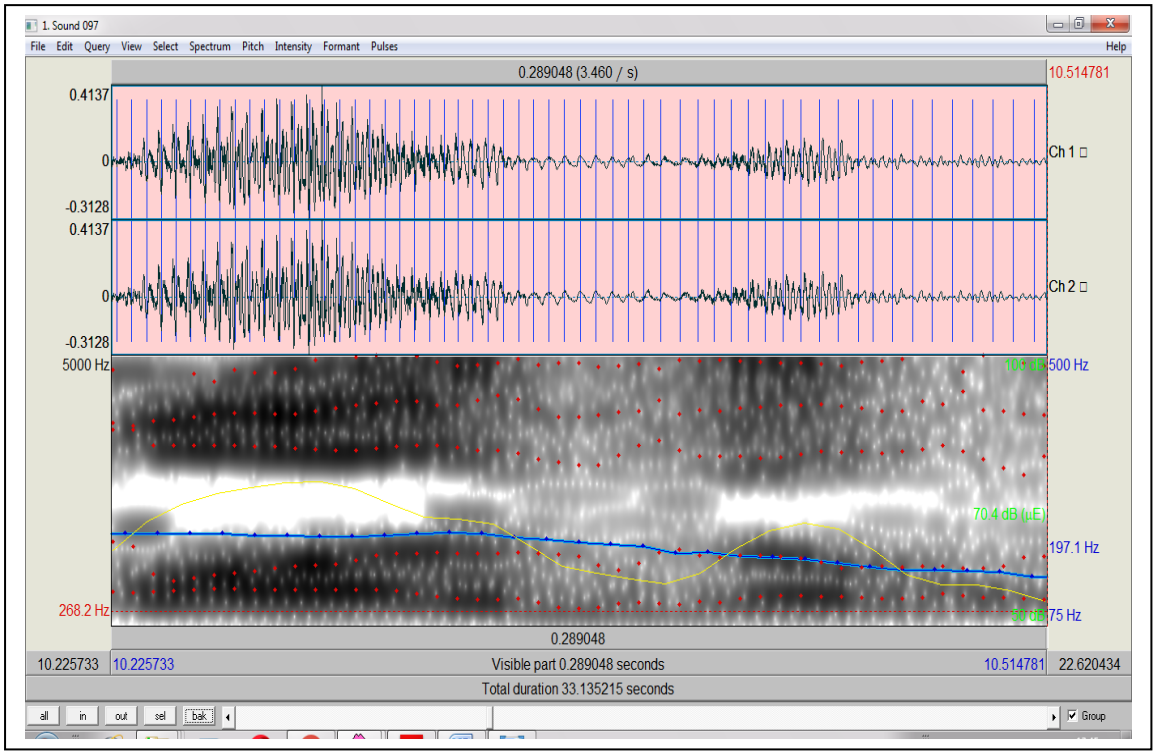

الشكل (01): صورة طيفية تظهر التغير الهابط في كلمة "القدر" من قوله تعالى: (إنّا أنزلناه في ليلة القدر)

استخراج المعطيات وتحليلها:

الكميات الواصفة:

الشدة (ديسبل)	التردد (هرتز)	التزمين (الثانية)
70.4	197.1	0.28

يمثّل الشّكل أعلاه الرّسم الطّيفي لقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾"[1]": وسنقوم بتحليل المعطيات التي وردت في الصورة الطيفية على النحو الآتي:

تقدّر المدّة الزّمنية التي استغرقها القارئ في أداء الآية بـ (0.28/ثا)، بدأ الملفوظ بنغمة صاعدة في ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾، ليقوم القارئ بعدها بالاستواء في درجة الصوت في قوله تعالى: ﴿ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾، ثمّ تبدأ النغمة بالانخفاض تدريجيا، لينتهي الملفوظ بنغمة هابطة بلغ تردّدها حوالي (197.1 هرتز)، وشدّتها (70.4 ديسبل)، عند اللحظة (0.28/ثا).

وهذا هو حال التنغيم الهابط، إذ كما تقرّر سابقا في الفصل الثاني، في تعريف النغمة الهابطة، لاتّصافها بالهبوط عند نهايتها، فتجلّت النغمة الهابطة في كلمة "**القدر**" لأنّها جملة تحمل دلالة الإثبات، حيث تتجلى « النّغمة الهابطة في الجمل التقريرية»"[2]"، وكأنّ المعنى هنا يتساوقُ مع لفظة "**القدر**"، فتطلّب ذلك من القارئ أن ينحو إلى الأسفل هابطا بدرجة الصوت ليتمثّل دلالات الآية في أذن السّامع، فيحدُث ذلك الامتزاج والتّشاكل المعنوي واللفظي، بصورة تمثيلية لجوّ السورة، فالقرآن كما هو معروف أنّه كلام الله المنزِل على سيّدنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم، بواسطة جبريل عليه السلام، من السّماء إلى الأرض، وفي مقطع "**إنّا أنزلناه**" تجلّيات هذا المعنى، إذ الوتيرة التصاعدية

1 -سورة القدر، الآية 01

ذكر المفسّرون أنّ سورة القدر « مكّية، تحدّثت عن بدء نزول القرآن العظيم، وعن فضل ليلة القدر على سائر الأيام والشهور، لما فيها من الأنوار والتجلّيات القدسية، والنفحات الربانية، التي يفيضها الباري جل وعلا على عباده المؤمنين، تكريما لنزول القرآن المبين، كما تحدثت عن نزول الملائكة الأبرار حتى طلوع الفجر، فيالها من ليلةٍ عظيمة القدر، هي خير عند الله من ألف شهر». محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، 1402هـ 1981م، ط4، ج3 ،ص 584.

2 -ينظر، كمال محمّد بشر، علم الأصوات، ص 534 - 535

التي استهلّ بها القارئ ترتيله "**إنّا أنزلناه**"، تتوافق مع علوّ هذا الكتاب ومصدريته السمائية، فالإشارة هنا للقرآن الكريم أنّه في مكان عال، ثم أُنزل من ذلك المقام القدسي إلى ما هو أدنى منه وهو الأرض، فاستدعى المقطع الأخير من القارئ الهبوط بدرجة الصوت والنّغمة إلى الأسفل تعاضُدا والمعنى، كون القرآن قد نزل من السماء إلى الأرض، وهذه الليلة المباركة الموعودة المشهودة، ليلة الاتصال الروحي والرابط الإيماني بين الأرض والملإ الأعلى، وفي هذا الصّدد نلفي سيد قطب في ظلال القرآن يقول : « إنّا أنزلناه في ليلة القدر، ونور الملائكة والرّوح وهم في غدوّهم ورواحهم طوال الليلة بين الأرض والملأ الأعلى»"[1]". وتأكيدا لهذا المعنى يقول الإمام الزّركشي في باب كيفية إنزال القرآن : «أنّه نزل إلى سماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة»"[2]".

قراءة تحليلية لمستويات التغيم: في قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾

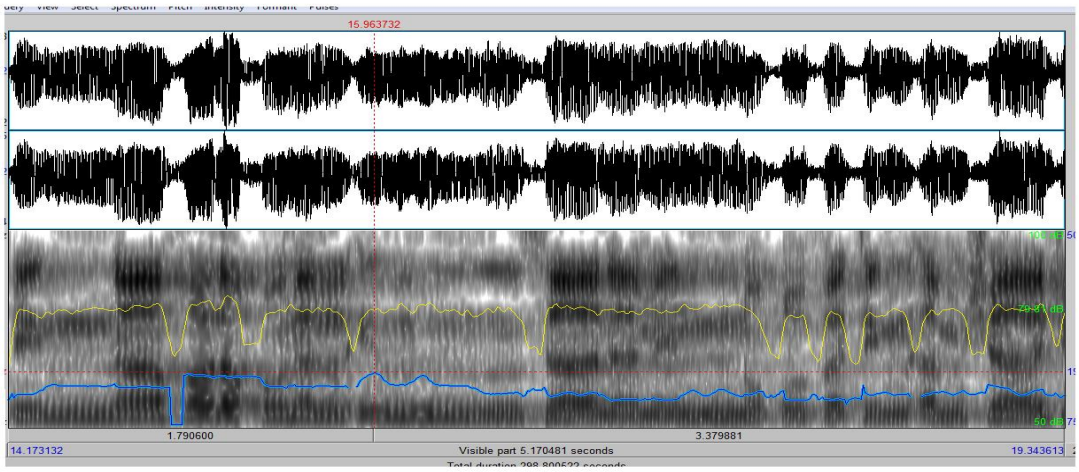

1 –سيد قطب، في ظلال القرآن، ص 4625

2 –بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت، لبنان، تح : يوسف عبد الرحمن المرعشلي وآخرون، 1410هـ، 1990م، ط1، ج1، ص321

الشكل (02): صورة طيفية تظهر التغير المستوي في قوله تعالى: ﴿إنّا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا﴾"[1]".

استخراج المعطيات وتحليلها:

الكميات الواصفة:

الشدة (ديسبل)	التردد (هرتز)	التزمين (الثانية)
79.81	193.1	5.17

يُظهر الشكل (2) أعلاه الصورة الطيفية للآية الكريمة من سورة الإنسان في قوله تعالى: ﴿**إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا**﴾، حيث قُدّرت المدّة الزّمنية التي استغرقها القارئ في أداء الآية بـ (5.17 /ثا).

وقد انطلق الملفوظ بنغمة مستوية في بداية الآية: ﴿**إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ**﴾ ثم أخذت في الانخفاض السريع عند "**نبتليه**"، لتتوزّع النغمات المسطّحة عبر الجمل الثلاث لهذه الآية، فيواصل القارئ في الجملة الثانية من الآية "**نبتليه**" بنغمة مستوية ثانية، ثم المقطع الأخير في قوله:﴿ **فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا**﴾، جملة ثالثة مستوية

---

1 – سورة الإنسان، الآية02

وقد ذكر المفسرون في معنى الآية الكريمة " أي نحن بقدرتنا خلقنا هذا الإنسان من ماء مهين – وهو المنيّ – الذي ينطف من صلب الرّجل، ويختلط بماء المرأة " البويضة الأنثوية " فيتكون منهما هذا المخلوق العجيب قال ابن عبّاس : " أمشاج " يعني أخلاط، وهو ماء الرّجل وماء المرأة إذا اجتمعا واختلطا، ثم ينتقل بعد من طور إلى طور، ومن حال إلى حال، " نبتليه " أي لنختبره بالتكاليف الشرعية، والأوامر الإلهية، لننظر أيشكر أم يكفر ؟ وهل يستقيم في سيره أم ينحرف ويزيغ ؟ " فجعلناه سميعا بصيرا " أي فجعلناه من أجل ذلك عاقلا مميّزا، ذا سمع وبصر، ليسمع الآيات التنزيلية، ويبصر الدلائل الكونية، على وجود الخالق الحكيم" .

بلغت شدّتها حوالي: (79.81 ديسبل)، وتردّد قيمته (193.1 هرتز)، عند اللحظة (5.17/ثا)، وكل الجمل في الآية حملت دلالة التقرير، وعليه جاءت النغمات مستوية منسجمة انسجاما صوتيا ودلاليا، « وهذه النغمة لا تملك مقوّمات الأداء التصاعدي الموجود في سياق الاستفهام، كما أنّها لا تملك الحسّ التقريري الذي تسمح به الجمل التقريرية، لكنها تتأرجح بين السياقين إلى أن يتمّ تغليب أحدهما، وإنهاء هذا التأرجح السياقي»"[1]".

وفي ضوء هذا التحليل للآية الكريمة، من خلال الجمل التقريرية التي حملتها، مع ما توزّع من دلالات واضحة في تلك الصورة النغمية التي أحدثها الاتجاه النغمي المستو، لتجاوب هذا المسار اللحني مع الهتاف الرّخي النّدي إلى باب الطاعة، ومحاولة إدراك هذا المخلوق الحكمة من وراء الخلق والابتلاء والإملاء، تتغشاها لمسة عن حقيقة أصله ونشأته، وتزويده بعناصر الطاقة والإدراك ﴿ **فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا**﴾، فكأنّ الله أراد أن يثير في قلوبنا التفكير العميق، والنّظرة المستوحاة من أصل الخلقة والابتلاء، إلى مدارج الإدراك والتبصّر، « وتقدير الله في هذه النشأة، على أساس الابتلاء، وتختم ببيان عاقبة الابتلاء، كما اقتضت المشيئة منذ الابتداء، فتوحي بذلك البدء وهذا الختام بما وراء الحياة كلها من تدبير وتقدير، لا ينبغي معه أن يمضي الإنسان في استهتاره، غير واع ولا مدرك، وهو مخلوق ليبتلى، وموهوب نعمة الإدراك لينجح في الابتلاء»"[2]".

1- أسامة عبد العزيز جاب الله، جماليات الإيقاع في اللغة العربية، جامعة كفر الشيخ، مقال منشور على شبكة الأنترنت، يوم 01 – 11 – 2010م -، ***www.moe.edu.qa/arabic/magazines/tarbawya/art2.shtml.***

2 -سيد قطب، في ظلال القرآن، ص 4424

إن القصد الدلالي الذي تشير إليه الآية، هو الذي استوجب قراءتها، وفقا للنسق اللحني المسطح والمستو، دون علوّ أو انزياح في ذلك، ليتأمّل القارئ والسامع في نفسه أمورا شتّى، منها لحظية الانبثاق لهذا المخلوق في الوجود الإنساني « اللحظة التي لم يكن يعلمها إلاّ الله، والتي أضافت إلى الكون هذه الخليقة الجديدة، المقدر أمرها في حساب الله قبل أن تكون، المحسوب دورها في خط هذا الكون الطويل»"[1]"، إضافة إلى امتدادات أخرى يطلقها نص الآية « ينتهي منها القلب إلى الشعور بالقصد والغاية والتقدير، في المنشأ وفي الرحلة وفي الضمير»"[2]".

ولما كانت هذه الأمور العظيمة في خلق هذا الإنسان وامتداد جنسه بيد الله المقتدرة، مخلوقا من نطفة أمشاج، لا عبث فيها ولا تسلية، مخلوق ليُبتلى ويُمتحن على مسارح الوجود، عبر محطات زمنية متتالية، بدءا من خلقه، ثم ابتلائه، إلى تزويده بالسمع والبصر، وهي وسائل للإدراك والتلقي والاستجابة، وتخطّي الابتلاء وفقا لما يختار هو، فكان هذا الترتيب الزّمني الدّلالي في أصل خلق الإنسان، متماشيا تماما مع جوّ القراءة النّغمية التي تتطلّب الهدوء والتريُّث، للتدبّر والتفكّر، إزاء هذه الحكمة التي « كان وراءها قصد، ولم تكن فلتة، كان وراءها ابتلاء هذا الكائن واختباره، ومن ثم وهب الاستعداد للتلقي والاستجابة، والمعرفة والاختبار، وكان كل شيء في خلقه وتزويده بالمدارك وابتلائه في الحياة بمقدار»"[3]".

1 - المرجع نفسه، ص 4425.

2- المرجع نفسه، ص 4425.

3 - سيد قطب، في ظلال القرآن، 4426.

ولعلّنا نساور ثنايا هذه الآية من حيث الدلالة الزمنية التي استجلبها القارئ، مارّا عبر مراحل زمنية، أعطى لكلّ جملة فيها نصيبها من التّزمين، وفقا لضرورة الآية ومقصدها، بادئا مع الفعل "**خلقنا**" الذي أتى في المرتبة الثانية من ناحية تسلسل الأحداث، فقد سُبق بآية حدّدت الانبثاق الوجودي للإنسان بعد أن كان عدماً ﴿**إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ**﴾، وبعد الإحالة لهذا التصوّر الخَلقي من العدم، ارتبط بالفعل "**خلقنا**"، زمن إحالي الذي مثّله الفعل "**نبتليه**" بنغمة هابطة، كون الجملة موضع الحال، أي « خلقناه مبتلين له»"[1]"، فكأنها رحلة تبدأ من الخلق، إلى الابتلاء، فيها تسوية من الله "**الذي خلّق فسوّى**"، لتكون تراتبية الآية النغمية بذلك الاستواء والتريّث بين بين.

قراءة تحليلية لمستويات التنغيم: في قوله تعالى:

﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـًٔا مَّذۡكُورًا ۝١﴾"[2]"

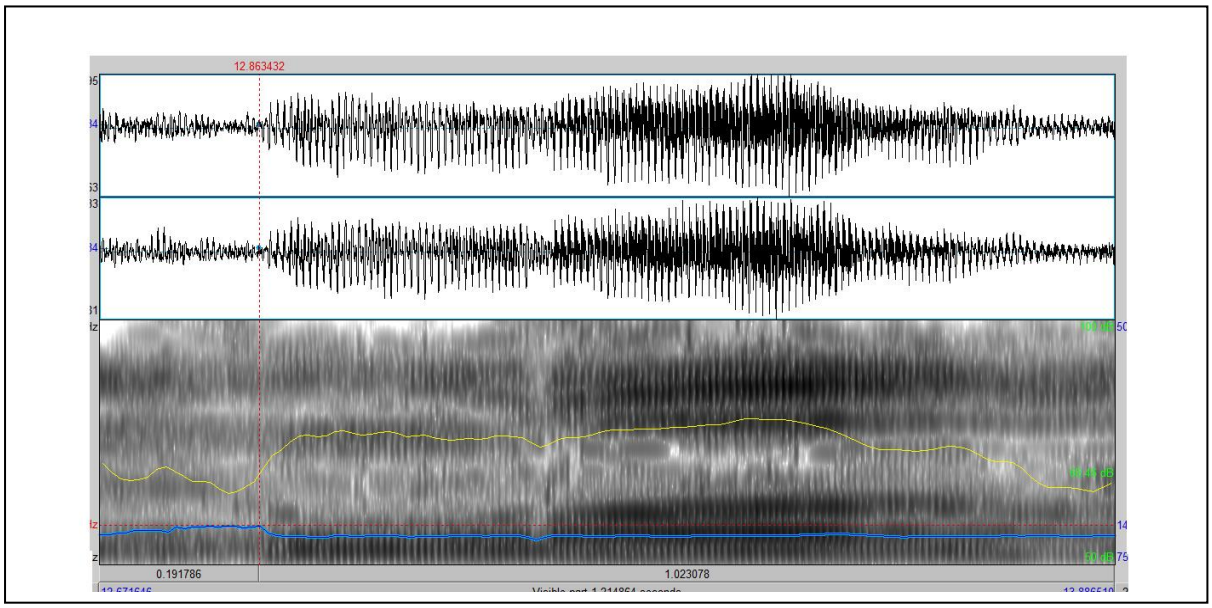

1- الزمخشري، جار الله أبو القاسم، الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل، تح، عادل أحمد وعلي محمّد عوض، مكتبة العبيكان، الرياض، 1998، ط1، ج6، ص 275

2 -سورة الانسان، الآية 01.

الشكل (03): صورة طيفية تظهر التغيم الصاعد في كلمة "مَذْكُورًا" من الآية الكريمة (هل اتى على الإنسان .....لم يكن شيئا مذكورا).

استخراج المعطيات وتحليلها:

الكميات الواصفة:

الشدة (ديسبل)	التردد (هرتز)	التزمين (الثانية)
68.46	141.6	1.02

يُظهر الشكل (3) أعلاه الصورة الطيفية للآية الكريمة من سورة الإنسان في قوله تعالى: ﴿**هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا**﴾، حيث قُدّرت المدّة الزّمنية التي استغرقها القارئ في أداء الآية (1.02/ثا)، وقد بدأ أداء الآية بنغمة مستوية في قوله تعالى : ﴿ **هَل أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ** ﴾، في المقطع الأول، ثم تشهد النّغمة ارتفاعا نوعا ما في: ﴿ **لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا** ﴾، لتواصل النغمة في الارتفاع عند كلمة "**مَّذۡكُورًا**"، وتبدأ بالانخفاض تدريجيا من المقطع الأخير في مدّ الراء (را) من نفس الكلمة، إذ بلغت شدّة الصوت حوالي: (68.46 ديسبل)، وتردّد بلغت قيمته (141.6 هرتز)، عند اللحظة (1.02/ ثا).

فيتّضح من خلال المعطيات أنّ أداء القارئ للآية، اتّسم بطابع نغمي توافق مع غرض الاستفهام التقريري في هذه الآية، إذ يتجلّى الأداء من خلال الصفات الصوتية الدّالة المتكشّفة في الصورة الطيفية للآية، حيث بدأ قراءته بنغمة مستوية عبّرت عن

سياق التقرير ﴿ **هَل أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ** ﴾، لتُسهم هذه التعبيرات النّغمية في إظهار دلالة الإخبار لدى السامع، ثم تخرج النغمة من تلك الطبقة إلى جوّ آخر، فيه نقلة مرتفعة في: ﴿ **لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا** ﴾، مع مدّ الصوت واستغراق الزمن في هذا الارتفاع، لترتفع أكثر عند لفظة "**مذكورا**"، كون الكلمة محلّ شاهد الآية في الاعتبار والتذكّر والتصوير الدّال على خلق الإنسان، ليتحقق لدينا تلاؤم بين قصدية الخطاب التقريري مع الإيحاءات المقامية التي جاءت من وراء هذه الصيغة الاستفهامية .

ولعلّ النّغمة الصاعدة في "**مذكورا**"، مرتبطة بغرض الآية الذي يصف رحلة الإنسان من العدم، فنقرأ كذلك لفظة "**الإنسان**" بنغمة فيها بعض الصعود على مستواها الصوتي، لنبرز أنّ محور هذه الرّحلة هو "الإنسان الذي يشكّل وقائعها وحوادثها ومركزها"، وهو الذي عادت إليه الكلمة بالصعود في آخر المطاف عند "مذكورا"، وعليه تمحور الحديث من أول الآية إلى منتهاها، لينبثق على هذه الرؤيا اتّساق بين الاستفهام في مطلع الآية وختامها، وهو ترابط بين اللفظ ونغمته التي أدّاها القارئ أثناء تلاوته.

وفي مقابل هذه التفريعات، فقد احتوت الآية على قرينة الاستفهام كما أسلفنا سابقا، إلاّ أن التنغيم قد جرّدها منها في قوله تعالى: ﴿**هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا**﴾، فنلاحظ بداية الآية بتصدير أداة الاستفهام لكنّنا عند قراءتها قراءة سليمة، ننزاح لمعنى آخر، ويكون هذا الانعطاف بالتلوين الصوتي الذي يعبّر عنها بمعناها الحقيقي وهو (قد)، لأنّها دخلت على جملة فعلية، ونجد بعض القرّاء الذين قرأوها بهذه الدّلالة كالكسائي « هل بمعنى قد ، قاله الكسائي والفراء وأبو عبيدة وحكي عن سيبويه هل بمعنى قد. قال هل تكون جحدا أو تكون خبرا فهذا من الخبر لأنّك

تقول: هل أعطيتك تقرره بأنّك أعطيته والجحد تقول: هل يقدر أحد على مثل هذا»"[1]".

ولعلّ استثمار القرّاء لظاهرة التنغيم في الأداء والتجويد، هو الذي يحيلنا إلى فهم خبايا النص وإدراك أدوات الجمل، فـ« التنغيم هو الذي يغيّر الجملة من خبر إلى استفهام إلى توكيد إلى انفعال، إلى تعجب دون تغيير في شكل اللغات المكونة، ومع تغيير فقط في نوع التنغيم»"[2]".

قراءة تحليلية للمفارقة النغمية: في قوله تعالى:

﴿ خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّواْ فَوۡقَ رَأۡسِهِۦ مِنۡ عَذَابِ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴾

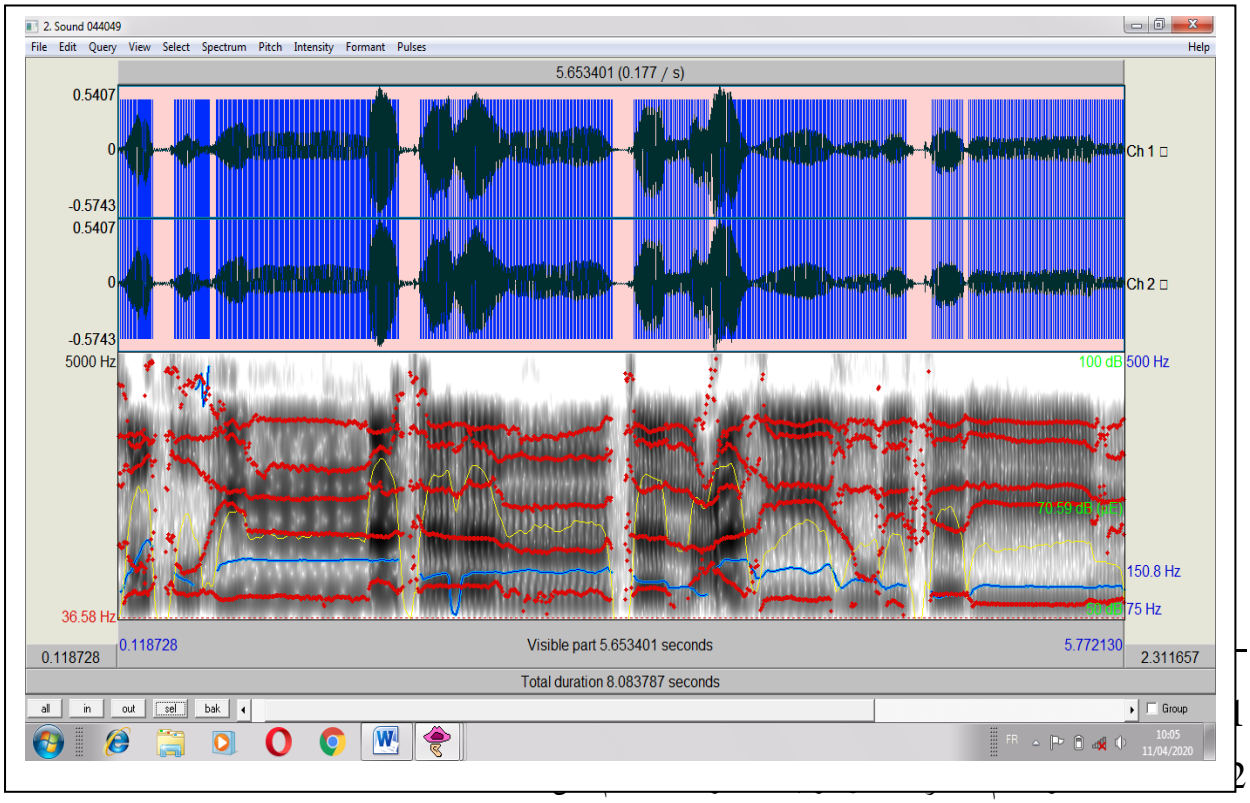

الشكل (04): صورة طيفية تظهر التشغيم الصاعد في لفظة " ذق " من الآية الكريمة (ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ) من سورة (الدخان/ الآية49) .

استخراج المعطيات وتحليلها:

الكميات الواصفة:

الشدة (ديسبل)	التردد (هرتز)	التزمين (الثانية)
70.59	150.8	5.65

يُظهر الشكل (04) أعلاه الصورة الطيفية للآية الكريمة من سورة الدّخان في قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾"[1]"، فقُدّرت المدّة الزّمنية التي استغرقها القارئ في أداء الآية (5.65 / ثا) بدأ فيها بأداء الآية بنغمة صاعدة في قوله تعالى: ﴿ذُقْ﴾، في المقطع الأول من الآية متمثّلا في فعل الأمر، ثم تشهد النّغمة استواء في﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾، لتواصل النغمة في الانخفاض والهبوط عند كلمة ﴿ ٱلْكَرِيمُ﴾، إذ

1 –سورة الدخان، الآية 49.

ورد في التفاسير أن هذه الآية نزلت في حق أبي جهل، وقد قال عكرمة : التقى النبي صلى الله عليه وسلم بأبي جهل فقال النّبي صلى الله عليه وسلم : إنّ الله أمرني أن أقول لك " أوْلَى لك فأوْلَى " فقال : بأي شيءٍ تُهدّدني ؟ واللهِ ما تستطيع أنت ولا ربّك أن تفعلا بي شيئا، إنّي لمن أعزّ هذا الوادي وأكرمه على قومه، فقتله الله يوم بدر وأذلّه ونزلت هذه الآية.

هذا هو جزاء " المتعالي على ربّه، وعلى الرّسول الأمين، وهذا هو الأمر العالي يصدر إلى الزّبانية ليأخذوه في عنف يليق بمقامه (الكريم) ؟ ... وهناك صُبّوا فوق رأسه من ذلك الحميم المغلي الذي يشوي ويكوي، ومع الشد والجذب والدفع والعتل والكي والشي ... التأنيب والترذيل " ذق إنّك أنت العزيز الكريم " وهذا جزاء العزيز الكريم في غير ما عزة ولا كرامة ، فقد كان ذلك على الله وعلى المرسلين:. ينظر، محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج3، ص 177، و سيد قطب، في ظلال القرآن، ص 3765 – 376

بلغت شدّة الصوت حوالي (70.59 ديسبل)، وتردّد بلغت قيمته (150.8هرتز)، عند اللحظة (5.65 / ثا).

فدلالة الأمر هنا، عبّر عنها الفونيم فوق المقطعي وهو مرتبط بتلاوة القارئ من خلال تلك التلوينات الصوتية، التي عن طريقها يعكس حقيقة هذا الأمر، ويحقّق صيغة هذا الأسلوب، فلفظة "ذق" من خلال قراءتنا لها يتبدّى لنا سطحيا أنها اكتست دلالة التكريم والتعظيم والوقار، إلاّ أن التنغيم عندها بتلك الدّرجة الصاعدة المِلوّنة بشحنة عالية يُظهر حقيقتها وهو التهكّم والسخرية، إذ المعوّل على القارئ هنا رفع نبرة الصوت لكي يلتصق المعنى مباشرة بالدلالة، لأنّ أي تمثيل آخر للآية بنغمة مختلفة يُفسِد دلالتها إلى معنى آخر، إذ عند ملاحظتنا لقراءة المرتّل، وجدنا ارتفاعا بالصوت عند "ذق" مع وقفة قصيرة، تفصل الجملة الأولى الفعلية، عن الثانية الإسمية، فينخفض بعدها صوت القارئ عند: "إنّك أنت العزيز الكريم"، والمستحسن في قراءة هذه الآية عند علماء التجويد والأداء الصوتي، قراءة "ذق" قراءة مائزة عن بقية التشكّلات الأخرى وأفعال الأمر، لأنّها تدل على ملمح الاحتقار والإهانة لأبي جهل، فيظهر علوّ الصوت بارتفاع اللفظة نغميا إلى الأعلى، ثم يلي هذا الصعود، وقفة قصيرة هي الفاصل بين الجملتين، ثم تتشكّل الصورة الانحرافية التي يسعى القارئ من خلالها إظهار المعنى التهكّمي، بخط واضح في الصورة الطيفية، وهو ما يجسّد لنا ذلك التعاضد بين اللفظ ودلالته الباطنية.

ولن يتأتّ هذا الأداء الصوتي لمنطوق التهكّم وما يصحبه من حركات إلاّ إذا تلازم مع بنية الدلالة ضمن مستوى الأداء الذي صدر فيه الخطاب وأُنتِج، إذ أنّ الأداء الصوتي ومختلف تلويناته على مستوى الكلام المنطوق، يتأثر بمقصدية الفعل الكلامي،

وعليه يكون أداء المنطوق بنغمة تهكّمية « عالية وذلك لإظهار التهكم على المستويين اللفظي والتركيبي»"[1]".

وعليه، فإنّه يتقرّر أثناء ارتفاع الصوت بهذه النغمة الصاعدة عند قراءة "ذق"، «مطٌّ للوترين الصّوتيين، ممّا ينتج عنه صوت حادّ وكثيرا ما تظهر هذه النّغمة في جملة الاستفهام، والأمر، والنّداء، والتعجّب لتُترجم حالات الانفعال والدّهشة والغضب والفرح»"[2]". إذ نلاحظ تماشيا مع هذه الآية " تنغيما صاعدا هابطا "، والذي تكون «بدايته نغمة هابطة، فيليه صعود ثم هبوط في النّغمة»"[3]".

من خلال ما سبق ذكره، وعبر هذه السلسلة من التتابعات التحليلية، يتجلّى لنا التنغيم حين يتوزّع عبر أجزاء الآية من خلال « تتابعات مضطردة من مختلف أنواع الدرجات الصوتية على جملة كاملة أو أجزاء متتابعة»"[4]"، فيكون تنغيم التهكّم مفارقا عبر لفظه، إذ يقول المتكلم شيئا ويعني شيئا آخر فهذا هو الفعل القصدي من وراء المفارقة، «ويكون إنتاجه للأصوات جزءا من شروط إشباع هذا القصد في صنع المنطوق»"[5]".

4-4-2- قراءة تحليلية للنبر:

1 -***Leech ,N (1979) , linguistique guide to english poetry , impression , london , p 177***

2 -بسّام مصباح أغبر، الفونيم وتجلّياته في القرآن الكريم، رسالة ماجيستر، جامعة النّجاح الوطنية، نابلس، 2014، ص 44

3 -عبد الفتّاح عبد العليم البركاوي، مقدّمة في علم الأصوات، كلية اللغة العربية، القاهرة، 2004، ط3، ص197

4 -عمر أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1995، ط3، ص194

5 -سيرل جون، العقل واللغة والمجتمع، تر : سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2006، ص205

إن الحديث عن ماهية النّبر النطقية والفيزيائية، يستدعي الإشارة إلى ذلك النشاط العضلي للرئتين، الذي ينتج عنه ازدياد قوة حركات الوترين الصوتيين عند اقترابهما من البعض، وما ينجرّ عنه من تدافع تلك الذبذبات، حتي يصير الصوت ذا بصمة عالية وواضحة، هذا إذا كانت الأصوات مجهورة، أما وكونُها مهموسة، فإن وضعية الوتران الصوتيان، تكون في حالة تباعد، ممّا يؤدّي إلى دخول كمية معتبرة من الهواء، تفتر من خلالها حركة أعضاء النطق، وتؤول النتيجة عكس النطق بالصوت المنبور.

وفي هذا الصّدد، نجد "**داود عبده**" يشير إلى الوضع الفيزيائي للنبر، بوصفه علوا « في بعض مقاطع الكلمة (قياسا بالمقاطع الأخرى) يكون مصحوبا أحيانا بارتفاع في درجة الصوت "***pitch***"، وينتج هذا العلو من زيادة اندفاع الهواء الخارج من الرئتين، فيشتد تقلص عضلات القفص الصدري، أمّا ارتفاع درجة الصوت فتنتج من ازدياد النشاط العضلي في الحنجرة عند نطق المقطع المنبور، وأكثر أجزاء المقطع اتصالا بالنّبر هو صوت العلة، فهي (قمة) المقطع أو (نواته) (***nucleus***)، وأكثر أجزائه بروزا في السّمع»"[1]".

ويتحدّث "**أندري مارتينيه**" عن مجموعة الخصائص الصوتية « التي تستخدم عموما في التأكيد النّبري وهي كالآتي: شدّة النطق، الطبقة الصوتية، المد الفعلي أو المسموع للمقطع المنبور»"[2]".

---

1 – حسام محمد عزمي العفوري، النّبر في العربية – دراسة نطقية فيزيائية –، شهادة ماجيستر، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، تاريخ 7-12-2006م، 17 ذو القعدة 1427هـ، ص48

2 – أندري مارتينيه، مبادئ اللسانيات العامة، ترجمة أحمد الحلو، المطبعة الجديدة، دمشق، 1985، ص82 – 83

أمّا إذا تحدّثنا عن كيفية تشكّل النبّر ووقوعه، فإنّنا نلاحظ هذا التشكيل داخل الكلمة ناتجا من تناسق حركة تيار الهواء، والتقاء أعضاء النطق، « لذلك تجد أن حقيقة النبر النطقية والفيزيائية تتم عبر المقطع الصوتي اللغوي المنطوق في داخل الكلمة الذي يؤدي إلى تغيّرٍ في المعنى»"[1]".

التطبيق الفيزيائي لظاهرتي النبر بنوعيه على مستوى المقطع والجملة:

قراءة تحليلية للنبر في قوله تعالى:
﴿ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ ﴿١٦﴾﴾

سنحاول من خلال هذه التحاليل الطيفية تجلية ظاهرة النبر فيزيائيا من خلال تطبيق برات لمقطعين من آيات قرآنية، أولاهما وقع عليها النّبر في حرف / قَ/، والثانية جاء في سياق الجملة من كلمة "**الطّامة**"، وما نتج عنهما من رسومات طيفية، ودرجة الشدّة، والتردّد، والتزمين، الذي وقع على النموذجين، وعلاقته بالمعنى.

قال تعالى: ﴿ **فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ** ﴿١٦﴾﴾"[2]"، والقسوة من الصلابة والشدّة؛ أي « فطال عليهم الزّمن الذي بينهم وبين أنبيائهم، حتى صلبت قلوبهم فهي كالحجارة أو أشدّ قسوة، قال ابن عباس: "قست قلوبهم" مالوا إلى الدنيا وأعرضوا عن مواعظ القرآن، وقال أبو حيان: أي صلبت بحيث لا تنفعل للخير والطاعة، والغرض أن

1 - المرجع السابق، ص68

2 -سورة الحديد، الآية 16.

الله يحذّر المؤمنين أن يكونوا مع القرآن كاليهود والنصارى حين قست قلوبهم لما طال عليهم الزمان»"[1]".

ثمّ إنّ هذا القلب الذي منحه الله لكل إنسان، لكي يفيضَ بالإيمان، سريع التقلّب والنّسيان، يرون عليه كّل أنواع المغريات، يحتاج دائما إلى التنبيه والإيقاظ، فجاءت الآية لتحذّر من عواقب « التباطؤ والتقاعس عن الاستجابة، وبيان لما يغشى القلوب من الصدأ حين يمتدّ بها الزمن بدون جلاء، وما تنتهي إليه من القسوة بعد اللّين حين تغفل عن ذكر الله، وحين لا تخشع للحق ... وليس وراء قسوة القلوب إلا الفسق والخروج ..فلا بدّ من تذكير هذا القلب حتى يذكر ويخشع ، ولا بدّ من الطرق عليه حتى يرق ويشف ، ولابد من اليقظة الدائمة كي لا يصيبه التلبّد والقساوة»"[2]".

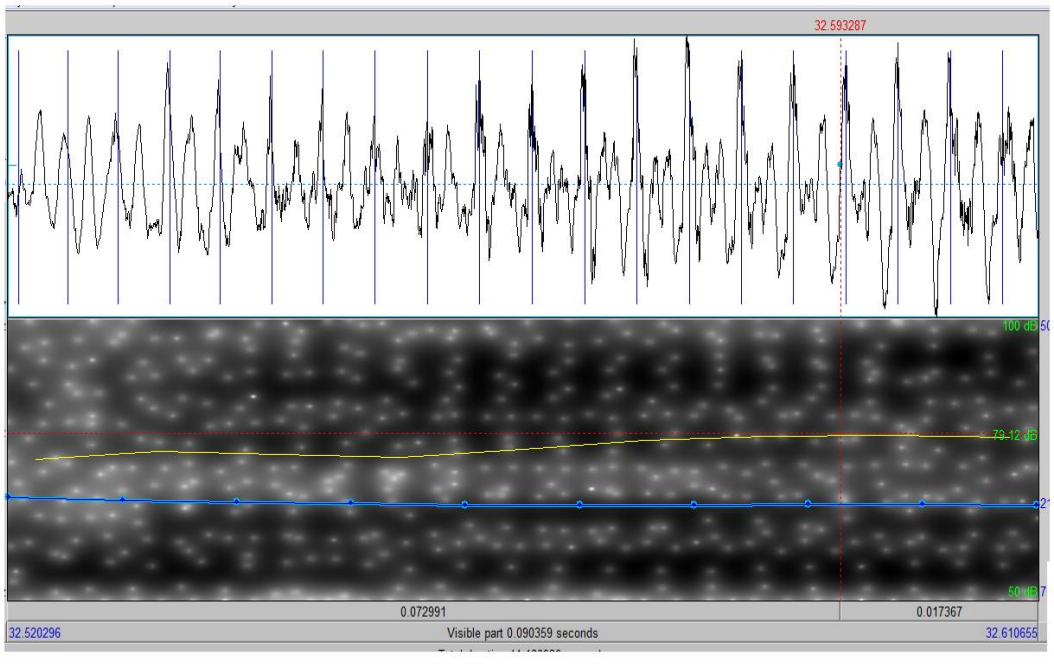

1 -محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج3، ص 326

2 -سيد قطب، في ظلال القرآن، ص 4073

الشكل (05): صورة طيفة تظهر النّبر على مقطع /قَ/ من الآية الكريمة: (فقست قلوبهم) من سورة (الحديد) .

استخراج المعطيات وتحليلها:

الكميات الواصفة:

الشدة (ديسبل)	التردد (هرتز)	التزمين (الثانية)
79.12	225.1	0.09

يُظهر الشكل رقم: (5) أعلاه الصورة الطيفية للنّبر على مقطع /قَ/ في قوله تعالى: " **فـ/قَ/ست قلوبهم**"، فيظهر لنا في الصورة الطيفية مقدار نبر المقطع /قَ/ في كلمة: "**فقست**"، عند نطقها مستقلّة بشدّة بلغت (79.12 ديسبل)، وتردّد (225.1 هرتز)، في مدّة زمنية بلغت (0.09 / ثا).

فالملاحظ إذن من خلال هذه المعطيات الفيزيائية، أنّه كلّما تغيّر مقطع الكلمة المنبور اختلّ المعنى وفسُد، لأنّه انتقل إلى موقع آخر غير ملائم للمعنى المقصود، فالضغط على مقطع /ق/ من كلمة "فقست" يعطي نتائج أكثر من وقوعه على مقطع /ف/، وسيظهر ارتفاع مقدار /ق/ عن / ف/ لعوامل مخرجية أولا، وفيزيائية ثانيا، وكون نطق صوت /ق/ عند اللهاة، وموضع نطق صوت /ف/ عند الشفتين، « وهذه العمليات كلّها تندرج تحت ميكانيكية النطق، التي تؤثر فيها حركة أعضاء الجهاز النطقي، وديناميكية الهواء»"[1]".

1 - حسام محمد عزمي العفوري، النبر في العربية – دراسة نطقية فيزيائية –، ص114

وعلى هذا الأساس من التباين في مرحلة الضغط على الحرف لإنتاج الكلمة، وفي ظل معناها الصحيح دون انزياح أو خروج عن المألوف، يتقرّر إذن بأنّ « كلّ مقطع يتم إنتاجه يتسق مع حركة أعضاء النطق في إنتاج الصوت وإصداره، وفي مرحلة الانتقال من مقطع إلى مقطع تسير الأصوات عبر خطوط صوتية مستقيمة تتناسب مع مدّة الصوت وكمّيته»"[1]".

ويلاحظ من خلال ما سبق تفصيله، أن تحديد مقدار النّبر، ودرجة الصوت في الكلمة العربية، قد بني « على أساس التنوع الكمي في المقاطع الصوتية، وأن هذه المقاطع تتكوّن من الأصوات المفردة أو المجتمعة التي تأتي في بداية الكلمة أو وسطها أو نهايتها، حيث يستطيع المتكلم أن يسيطر على اندفاع الهواء أو انحباسه، وتغيير صفات الأصوات، حسب طريقة نطق الكلمة، وذلك يؤدّي إلى انخفاض النبر وارتفاعه في الصوت»"[2]".

فإذا كان النبر في الكلام على مستوى الكلمة، « فإنّ وظيفته تتمثل في كشف الدلالة السياقية، وإظهار التباين الدلالي في السياق، وذلك حسب الكلمة المنبورة، أمّا إذا كان النّبر نبرا مقطعيا، أي على مستوى المقطع (النبر السياقي أو الجملي)، فإن وظيفته تتمثل في كشف دلالة الكلمة، وإظهار التباين الدلالي فيها، وذلك حسب المقطع المنبور»"[3]".

---

1 -حسام محمد عزمي العفوري، النبر في العربية – دراسة نطقية فيزيائية -، ص115

2 -ينظر، المرجع نفسه، ص115-116

3 -أحمد سلامة الجنادبة، نبر الاسم الجامد والمشتق – دراسة فيزيائية نطقية -، دار الجنان للنشر والتوزيع، عمان، 2016م، ط1، ص65

ومن هنا تظهر وظيفة النّبر في اللغة، بحيث « لا تقتصر على إعطائها إيقاعها الخاص بها، وإنما يقوم بدور وظيفي كقيمة صوتية لإظهار التباين الدلالي على مستوى السياق، ... أمّا على مستوى نبر المقطع فمنه قوله تعالى: ﴿ **وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ** ﴾"[1]"، إذا نبر القارئ المقطع الأول الفاء في (فقست) صار الفعل مشتقا من (الفقس) لا من (القسوة)»"[2]".

في ظل هذه المقاربة الطيفية، يتعمّق لدينا الحسّ حول فيزيائية النبر في العربية الفصيحة، إذ « يتأثّر بالعملية الصرفية، على الأعم الأغلب، وله نظام خاص، ويسير ضمن التغيرات التي تطرأ على المقطع الصوتي من ناحيتين: الأولى نطقية، وهي عضوية في المقام الأول، تؤدّي إلى تعدّد النّغم في إصدار الصوت من حيث التفخيم والترقيق، والإطالة والتقصير، وغيرها من نغمات يصدرها الجهاز الصوتي، لتتوافق والأصوات في الكلمة المنطوقة، والناحية الثانية: فيزيائية، ناتجة عن التغيرات التي تطرأ على حركة ديناميكية الهواء وأعضاء النطق في ارتفاع النبر وانخفاضه»"[3]".

وبذلك يترسخ لدنيا، أنّ « النّبر في العربية له نظام خاص، وأن لكل مقطع صوتي نظاما خاصا بالكلمة الواحدة، وحتى الوزن الصرفي الواحد، ويحكمه المقاطع الصوتية المجاورة للمقطع الصوتي المنبور»"[4]".

---

1 -سورة الحديد، الآية15

2 - أحمد سلامة الجنادبة، نبر الاسم الجامد والمشتق، ص 69

3- حسام محمد عزمي العفوري، النبر في العربية – دراسة نطقية فيزيائية -، ص141

4 -المرجع نفسه، ص141

قراءة تحليلية للنبر في قوله تعالى:

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿٣٤﴾﴾"[1]"

قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿٣٤﴾﴾"[2]"؛ أي « فإذا جاءت القيامة، وهي الداهية العظمى، التي تعُمّ بأهوالها كلّ شيء، وتعلو على سائر الدّواهي، قال ابن عبّاس: هي القيامة سمّيت بذلك لأنها تطم على كل أمر هائل مفظع»"[3]".

على أنّ لكل بداية نهاية، وما الحياة الدّنيا إلا متاع مقدّر، وفقا لتدابير كونية مرتبطة بالخالق، والمتاع مهما كان ينتهي أجله، « فإذا جاءت الطامّة الكبرى غطت على كل شيء، وطمت على كل شيء، على المتاع الموقوت، وعلى الكون المتين المقدر المنظم، على السماء المبنية والأرض المدحوة والجبال المرساة والأحياء والحياة، وعلى كل ما كان من مصارع ومواقع، فهي أكبر من هذا كلّه، وهي تطم وتعم على هذا كلّه»"[4]".

1 -النازعات 34.

2 -النازعات 34.

3 -محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج3، ص516.

4 -سيد قطب، في ظلال القرآن، ص4472.

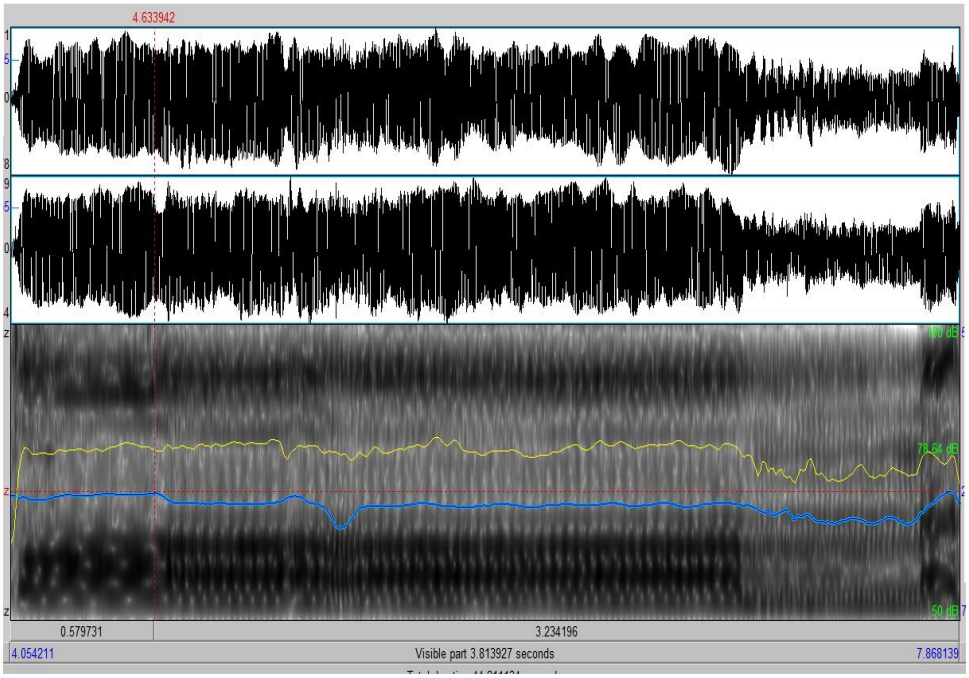

الشكل (06): صورة طيفية تظهر نبر الجملة الواقع على كلمة "الطّامّة" من الآية الكريمة (فإذا جاءت الطّامّة) من سورة (النازعات).

استخراج المعطيات وتحليلها:

الكميات الواصفة:

الشدة (ديسبل)	التردد (هرتز)	التزمين (الثانية)
78.64	257.3	0.57

يُظهر الشكل (6) أعلاه الصورة الطيفية لنبر الجملة في كلمة "الطّامّة" من قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾، فيظهر لنا في الصورة الطيفية مقدار نبر الجملة

في كلمة "الطامّة"، عند نطقها مستقلّة بشدّة بلغت (78.64ديسبل)، وتردّد (257.3هرتز) ، في مدّة زمنية بلغت (0.57/ثا).

وعليه، ومن خلال الشكل المثبت أعلاه، فإنّ النّبر الذي وقع على كلمة الطّامة، كان ضغطا نسبيا استلزم علوّ الكلمة سمعاً أثناء النطق بها، وهذا العلوّ والضغط يقع على الكلمة "**الطّامّة**"، ليكون جزءا بارزا عن غيره من أجزاء الجملة، وهذا النّوع من النّبر موجود في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، وقد تموقع هنا حينما نطقنا بصوت المدّ، الذي يأتي بعده صوت مشدّد، كالحاقّة، والضّالّين، فوجب هنا الانتقال من الألف الممدودة مدّا لازما إلى الحرف المشدّد بعدها والضغط عليه.

ويُطلعنا النّبر على كلمة "**الطّامّة**" بمشهد الرّعب والهلع من ذلك اليوم، فكلّما ضغط القارئ على موضع النّبر في الكلمة، فإنّ قوّة الصوت في الطاء والميم المشدّدتين، الدّالتين على يوم القيامة وتشعرنا بحركة الطمّ المناسب لهول وقوّة وشدّة يوم القيامة، ونكاد نشعر بدويّ وطنين"[1]".

1 –التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، لبنان، 2002م، ص73

4-4-3- قراءة تحليلية للوقف:

قراءة تحليلية للوقف التام في قوله تعالى:

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾"1"

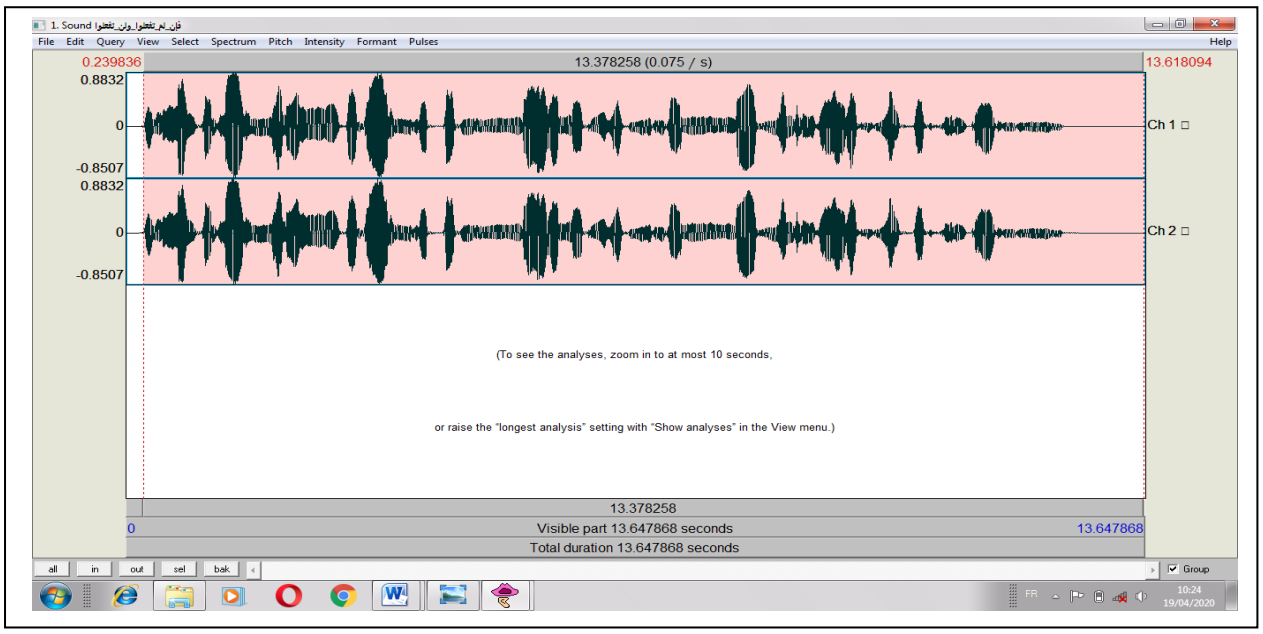

الشكل (08): صورة طيفية تظهر شكل الموجة الصوتية للآية الكريمة .

يمثل الشكل المحصور بين السهمين، بداية انخفاض الصوت شيئا فشيئا تأهبا للوقف، حتى يتلاشى في شكل خط مستقيم تنعدم فيه الخصائص الفيزيائية للصوت (من: شدة، وتردد، وحزم صوتية)، ويبقى " التَّزمين" فقط، ليدل على مدّة الوقف. وفيما يلي صورة طيفية للمقطع (رِينْ) من كلمة (الكَافِرِينْ) الموقوفِ عليها في الآية الكريمة،

1 – سورة البقرة، الآية 24.

تُظْهِر لنا الانخفاض التدريجي الواضح في قيم الشدة والتردد والتزمين تأهبا للوقف التام"[1]".

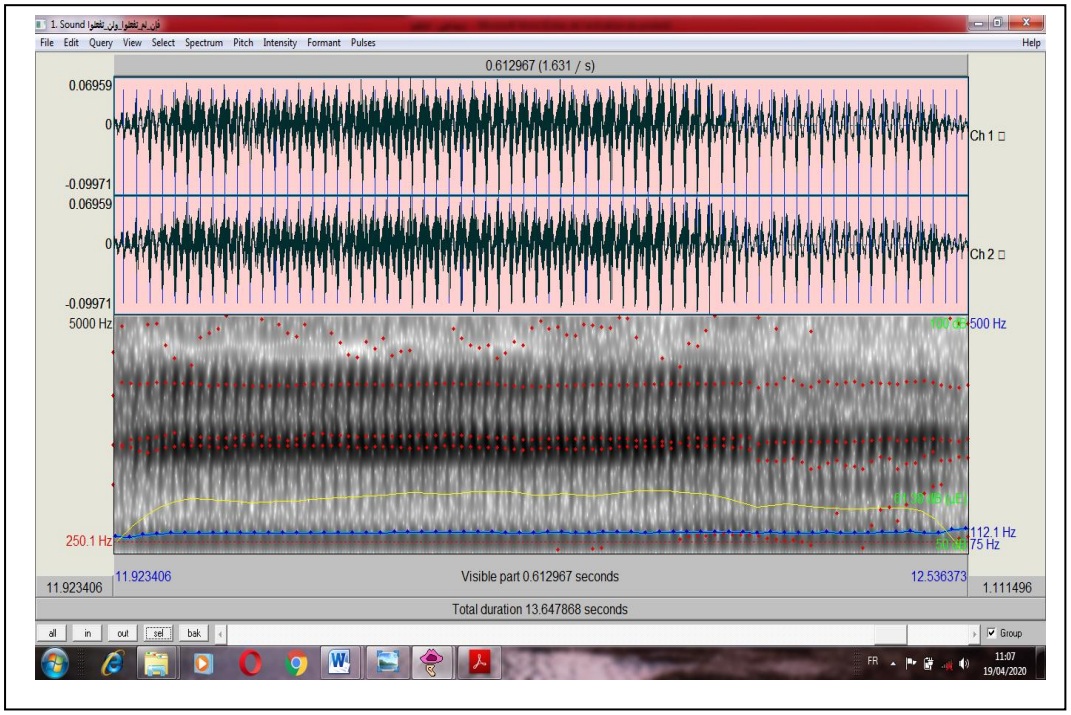

الشكل (09): صورة طيفية للمقطع (رِينْ) من كلمة (الكَافِرِينْ) الموقوف عليها بالسكون، في الآية الكريمة السابقة.

استخراج المعطيات وتحليلها:

الكميات الواصفة:

الشدة (ديسبل)	التردد (هرتز)	التزمين (الثانية)
61.38	112.1	0.61

1 -ينظر الشكل رقم 09.

نلاحظ من خلال النتائج المسجلة في الجدول للرسم الطيفي للمقطع (رِينْ) من كلمة (الكَافِرِينْ) انخفاضا في قيم الشدة، والتردد، والتزمين، حيث وردت قيمة الشدة في حدود 61.38 ديسبل، والتردّد في حدود 112.1 هرتز، في مدة زمنية قُدِّرت بـ 0.61 ثانية؛ وهذا ما يعبر عن اختزال الطاقة التي تؤول إلى التلاشي شيئا فشيئا حتى تركن إلى الوقف التام الذي تنعدم فيه الخصائص الفيزيائية للصوت بانعدام الصوت، ويبقى التزمين ليدل على مدة هذا الوقف، وهذا ما تدلنا عليه القراءة الطيفية للوقف التام في الآية الكريمة السابقة"[1]".

قراءة تحليلية للوقف التام في قوله تعالى:

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾"[2]"

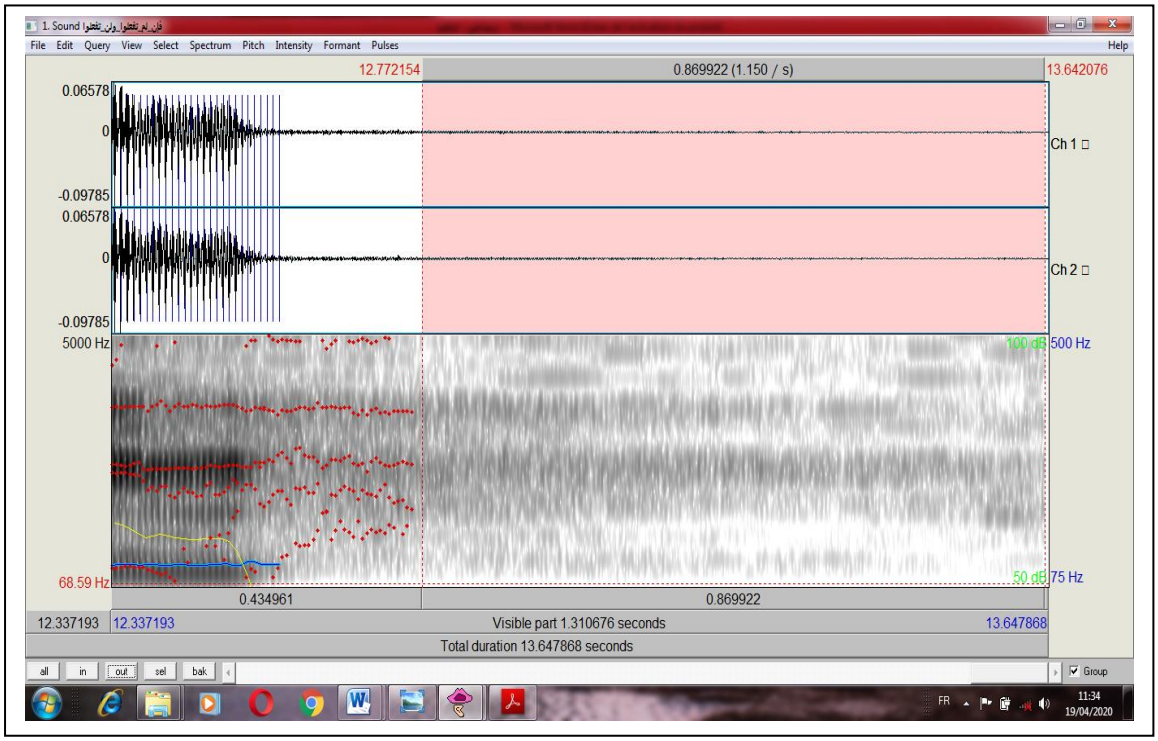

1 -ينظر الشكل رقم 10.

2 -سورة البقرة، الآية 24.

الشكل (10): صورة طيفية تظهر الوقف التام بعد كلمة (الكَافِرِينَ)

نلاحظ من خلال الرسم الطيفي أعلاه (من جهة اليمين)، انعداما تاما للخصائص الفيزيائية للصوت (من: شدة وتردد وحزم صوتية)، وهذا يدل على أنّ هناك وقفا تامّا للصوت، كما تدلّنا الصورة الطيفية على مدة هذا الوقف، الذي جاء في مدة زمنية قدرها 0.86 ثانية؛ وهي مدة طويلة نسبيا، تحاكي اصطلاحية "الوقف التام" الذي يدل على تمام المعنى، وعدم ارتباطه بما بعده لا لفظا، ولا معنًى. ويتيح هذا الوقف أيضا إمكانية أخذ القارئ لنَفَسِه قبل أن يواصل القراءة.

قراءة تحليلية للوقف الكاف في قوله تعالى:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾"[1]

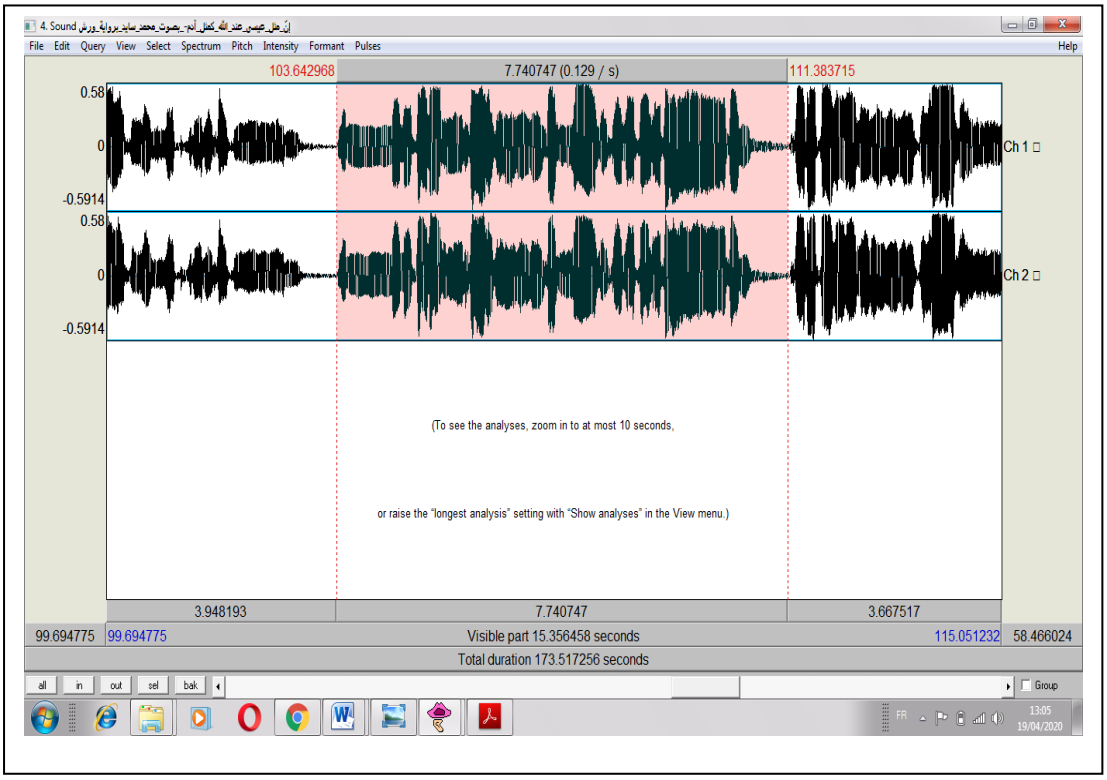

1 –سورة آل عمران، الآية 59.

الشكل (11): يظهر شكل الموجة الصوتية (الجزء المظلل باللون الأحمر)

يمثل الشكل المحصور بين السهمين، بداية انخفاض الصوت ليتهيّأ للوقف الكافي؛ الذي يفصل بين كلمة (آدَمْ) الموقوف عليها بالسكون، وبين جملة (خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ) التفسيرية. وفيما يأتي صورة طيفية تبين المدة الزمنية للوقف الكافي"[1]".

قراءة تحليلية للوقف الكاف في قوله تعالى:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾"[2]"

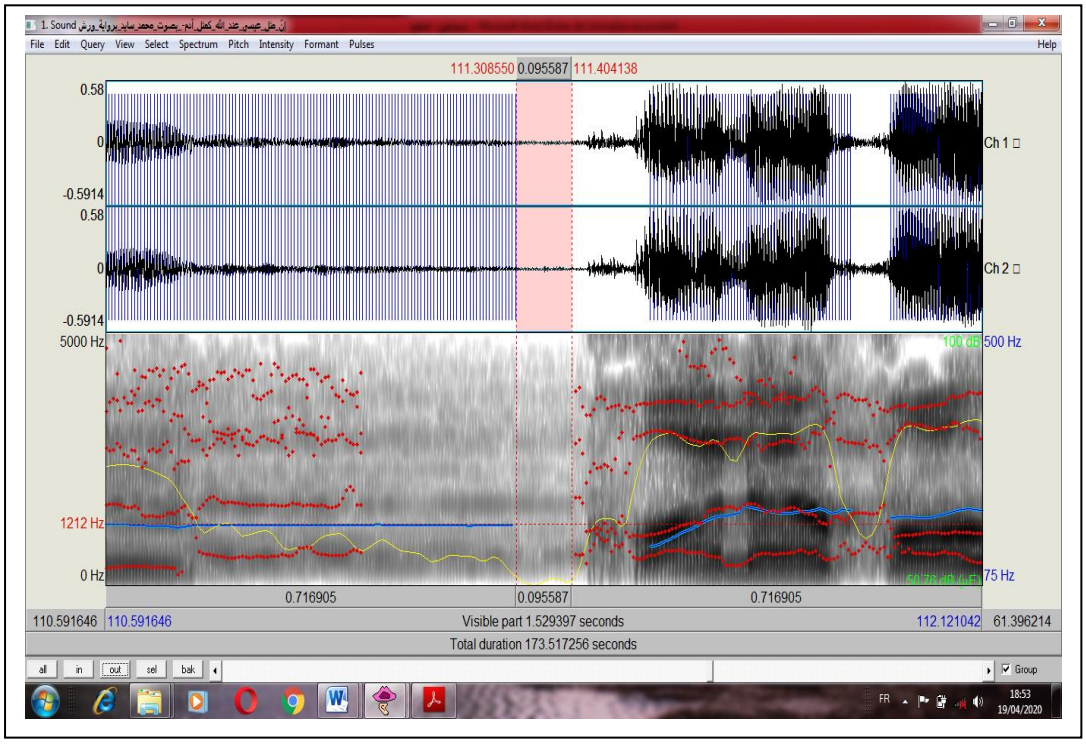

الشكل (12): صورة طيفية تظهر المدة الزمنية للوقف الكافي في الآية الكريمة

1 -ينظر، الشكل رقم 12.

2 -سورة آل عمران، الآية 59.

يمثل الجزء المظلل باللون الأحمر في الرسم الطيفي أعلاه، الوقف الكافي حيث تنعدم الخصائص الفيزيائية للصوت (من: شدة، وتردد، وحزم صوتية)، وهذا نتيجة اختزال طاقة القارئ لركونه إلى الوقف بين كلمة (آدَمْ) الموقوف عليها بالسكون، وبين جملة (خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ) التَّفسيرية.

كما نلاحظ أنّ المدة الزمنية للوقف الكافي في الآية الكريمة، جاءت قصيرة نسبيا، حيث قُدِّرت بـ 0.095 ثانية، ليستأنف بعدها القارئ قراءته بالجملة التَّفسيرية (خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ)؛ وهذه المدة الزمنية القصيرة للوقف الكافي، توحي بأنّه مرتبط بما بعده من حيث المعنى؛ إذ لا يمهل الكثير من الوقت للسامع في أن يسبح في تفكيره متسائلا: في أيّ شيء يماثل سيدنا عيسى، سيدنا آدم (عليهما السلام)، فيكون الجواب والتفسير والتوضيح بعد وقف قصير جدا، في قوله تعالى (خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ)؛ أي أنّ (المِثَلَ) هو أنّ شأن عيسى وحاله الغريبة عند الله من حيث تقديره وحكمه، كمَثَلِ آدمَ في صفته وحاله العجيبة، في كونهما خُلِقا من غير أب.

4-4-4- قراءة تحليلية للمد:

قراءة تحليلية للمد في قوله تعالى:

﴿ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴾"[1]

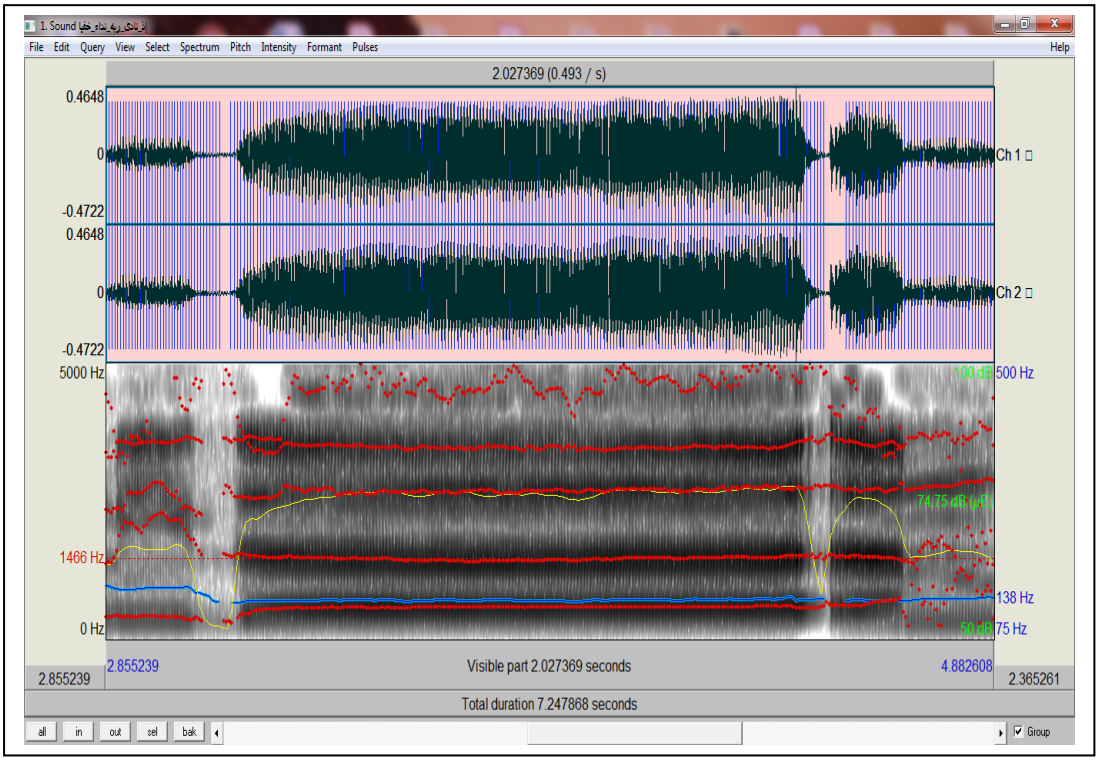

الشكل (13): صورة طيفية تظهر المد في كلمة (نِدَآءً)

استخراج المعطيات وتحليلها:

الكميات الواصفة:

الشدة (ديسبل)	التردد (هرتز)	التزمين (الثانية)
74.75	138	2.02

[1] –سورة مريم، الآية 03.

يمثّل الشكل أعلاه صورة طيفية تظهر المدّ المتّصل في كلمة (نداء) من سورة مريم ﴿**إذ نادى ربّه نداء خفيا**﴾، حيث بلغ القارئ لهذه الكلمة (نداء) مدّة زمنية قدّرت بـ 2.02 ثانية، وتردّد بلغ 138 هرتز، تقابله شدة وصلت درجتها 74.75 ديسبل.

وهذا النّوع من المدّ يظهر لنا جليا في مناجاة زكريا عليه السلام لربّه بنغم صاعد خلال مناداته لربّه، فأثار بألفاظه صورة، وأنشأ في كل لحن مرتعا يسرح بالخيال من خلال تلك اللفظة "**نداء**"، ويصوّر لنا مشهد الشيخ الطاعن في السنّ، الجليل المهيب، فالقارئ حين رتّل دعاء زكريا عليه السلام لمسنا فيه مسحة من رهبة، وشعاعا من نور، متأجّج العاطفة، متهدّج الصّوت، طويل النّفس، يحرّك القلوب المتحجّرة، بتعبيره الصّادق عن حزنه وأساه خوفا من انقطاع عقبه.

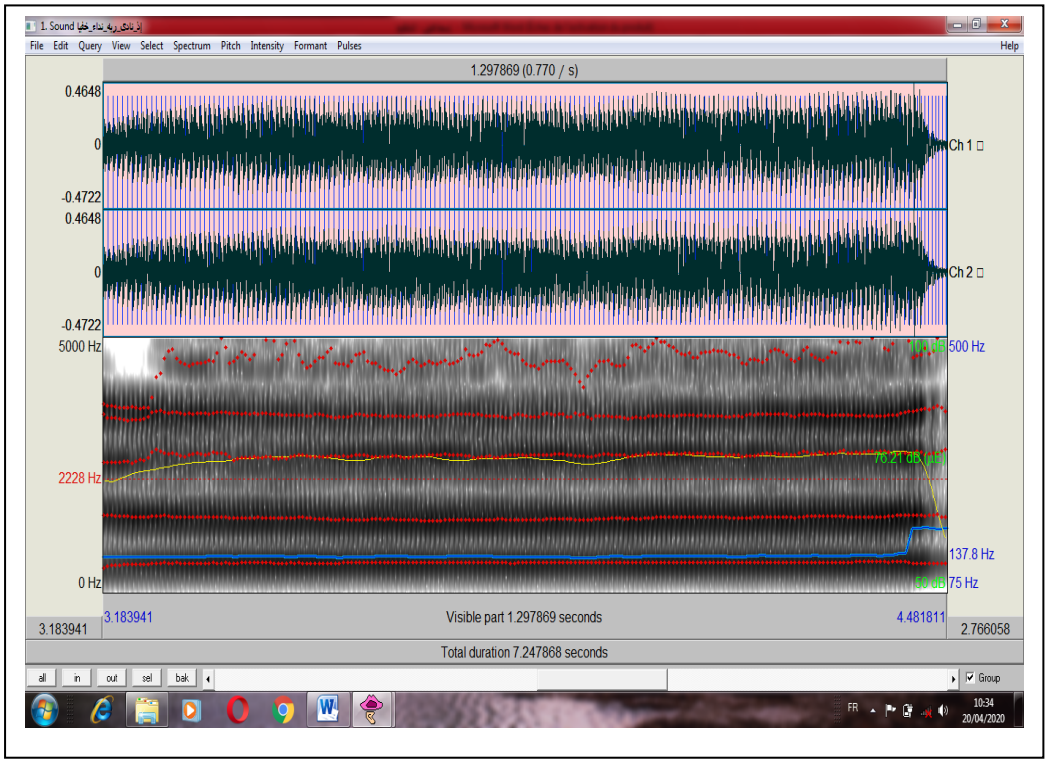

الشكل (14): صورة طيفية لصوت المد وحده (آ) في كلمة (نِدَآء)

استخراج المعطيات وتحليلها:

الكميات الواصفة لصوت المد وحده (آ) في كلمة (نِدَآءً):

الشدة (ديسبل)	التردد (هرتز)	التزمين (الثانية)
76.21	137.8	1.29

يمثّل الشكل أعلاه صورة طيفية لصوت المدّ وحده لنفس الآية السابقة من سورة مريم "نداء"، بحيث تركنا القارئ يصعد بالمدّ المتصل في الكلمة فقط على حرف (آ) من قوله: "نداء"، لنسجّل تزمينا على مستوى هذا المد، بلغ مقداره (1.29 ثا)، وتردّد بقيمة (137.8) هرتز، وشدّة بلغت (76.21) ديسبل.

قراءة تحليلية للمد في قوله تعالى:

﴿ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾"[1]

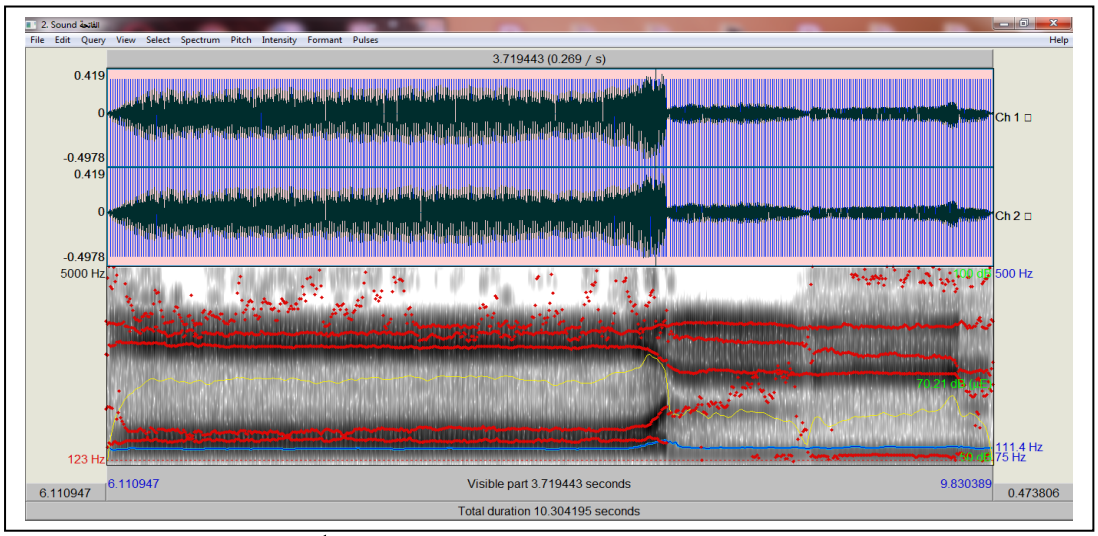

الشكل (15): صورة طيفية لكلمة (الضَّآلِّين)

[1] –سورة الفاتحة الآية 07.

استخراج المعطيات وتحليلها:

الكميات الواصفة: لكلمة (الضَّآلِّين):

الشدة (ديسبل)	التردد (هرتز)	التزمين (الثانية)
70.21	111.4	3.71

يُظهر الشكل أعلاه صورة طيفية لكملة " الضّالين " من سورة الفاتحة، يتجلّى فيها المد اللازم على مستوى الكلمة، بمدة زمنية مقدّرة بـ (3.71) ثا، وتردد بقيمة (11.4) هرتز، وشدة بلغت (70.21) ديسبل، ونجد أنّ هذه الكلمة (الضّالين) وقع فيها المدّ ليدلّ على كثرة الضالين، الذين ضلّوا عن منهج الله وشريعته، فاستحقوا الغضب واللعنة الأبدية، وهم النصارى، وذلك مقارنة بـ(المغضوب عليهم) وهم اليهود، بحيث جاءت من دون مدّ لتدلّ على قلتهم عددا.

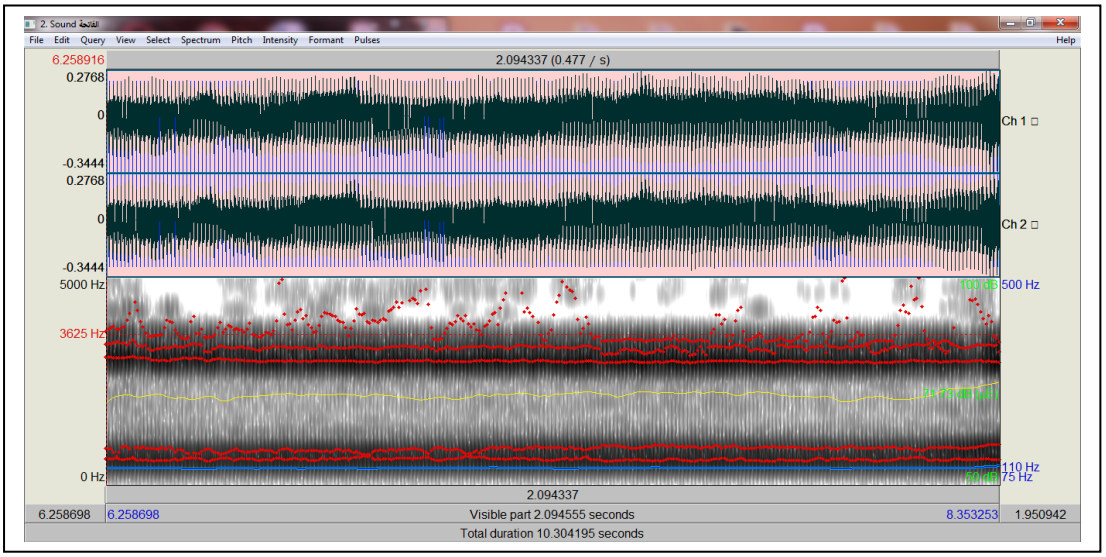

الشكل (16): صورة طيفية لصوت المد (آ) في كلمة (الضَّآلِّين)

استخراج المعطيات وتحليلها:

الكميات الواصفة: لصوت المد (آ) في كلمة (الضَّآلِين):

الشدة (ديسبل)	التردد (هرتز)	التزمين (الثانية)
71.73	110	2.09

يُظهر الشكل أعلاه صورة طيفية لصوت المدّ اللازم من كلمة (الضّآلين)، ولكن مجرّدا عن الكلمة، متمثّلا في حرف المد (آ)، بحيث بلغ القارئ على هذا المدّ مدّة زمنية مقدارها (2.09) ثا، بترديد بلغ (110) هرتز، وشدّة درجتها (71.73) ديسبل.

وتأسيسا على ما سلف بيانه، نخلص إلى أن طبيعة المقاربة الصوتية للخطاب القرآني قد تخطّت حدود المعالجات اللغوية التراثية، وانفتحت على معالم أخرى أكثر إجرائية وفاعلية، من خلال تفعيل ذلك التكامل المعرفي القائم بين الحقل اللساني ومسارات البحث في الذكاء الاصطناعي، وقوفا على مادة الصوت كمنجز فعلي يخضع للتحليل المخبري والبرمجي الذي يحصره ضمن قيم رقمية وصور طيفية أكثر دقة وعمق.

وعليه، فإن طبيعة هذه المقاربة الصوتية للخطاب القرآني في ظل الذكاء الاصطناعي، قد أتاحت من خلال المعالجة الآلية للنص القرآني تقديم برمجة جديدة تؤطّر الخطاب القرآني وفق قواعد وأساسيات تسمح لمستخدميه بلوغ المقاصد بطريقة سهلة وذكيّة تواكب العصر، وتتخطى البعد الحسّي، سواء على المستوى اللغوي أو الدلالي، أو الصوتي.

خاتمة

إن محاولة الوقوف على **التشكّلات الصوتية لبنية الخطاب القرآني في ظل أطروحات السند الإعجازي**، ومختلف ملامحها في هذه الدراسة، أفضت إلى جملة من النتائج والأطروحات التي حرصنا على تطبيقها من خلال تفيعل الآليات الإجرائية منهجا ومضمونا.

وقد تمخض عن التراتبية النسقية التي لجأنا إليها لبناء أركان هذا البحث، الوصول إلى جملة من النتائج التي انبثقت إثر محاولة فض مغاليق الإشكالية، التي نتجت عن مساءلة عنوان المذكرة، وفيما يلي جملة النتائج التي توصلنا إليها:

- الإعجاز القرآني آية من آيات الله التي أخرص بها فصحاء العرب، وأرباب اللغة وألجم بها بلغاءهم.
- الإعجاز القرآني يتجلّى في لفظه ومعناه ونظمه فهو يشمل كلّ هذه الجوانب.
- الأسلوب القرآني أسلوب رفيع في شكله ومضمونه، فلا مجال لمقارنته بكلام البشر سواء أكان شعرا أم نثرا.
- خفّة وعذوبة ألفاظ وكلمات القرآن وجمال وقعها على الآذان في نسق صوتي متلائم، وهذه الخفّة والعُذوبة تلحظ في جميع كلمات القرآن الكريم لكلّ متفحّص متذوق، ناتجة عن صفات أصواتها ومخارج حروفها في انتظام والتئام.
- يقوم الإحساس الجماليّ في القرآن الكريم على عنصر التّصوير والتّجسيم، حيث يجعل القارئ كأنّه يرى المشاهد والوقائع رأي العين.

- المقاطع الصّوتية مصدر هامّ من مصادر الإيقاع القرآني، لأنّها تنهض على مبدأ التّناسب الذي يسمحُ للمرتّلين بترتيل آيات القرآن الكريم بأنغام رقيقة وعذبة.
- يتأتّى الملمح الجمالي للأصوات من جوانب متعددة، يتجاذبها التلاؤم الصوتي بين مخارج الحروف حينا، والبُعد التأثيري لصفات الأصوات حينا آخر.
- تساهم المدود في القرآن الكريم في اصطباغ النسق الصوتي بملمح الانسيابية، وارتسام المواقف ارتساما عينيا، يعين على صياغة معالم الإيقاع التصويري الإعجازي في القرآن الكريم.
- تستوجب دراسة اللغة الإحاطة بمختلف الظواهر المصاحبة لها، الاجتماعية، دون عزلها عن سياقاتها الأخرى.
- إنّ تعامل القدامى مع ظاهرتي النبر والتنغيم إنّما كان متمثّلا في إبراز وظيفتها في المعنى، دون تعليل هذه الظواهر ومعرفة أسبابها ونتائجها.
- يعتبر التنغيم ظاهرة صوتية أدائية، تختصّ بالجملة وتظهر على التراكيب المنطوقة، إذ يعتبر تغيّرات تنتاب درجة الصوت أثناء الكلام بفعل التذبذب الحاصل للأوتار الصوتية، فينتج عن ذلك مستويات نغمية تتراوح بين انخفاض وارتفاع أثناء الحدث الكلامي، فيظهر عن ذلك إيقاع موسيقي منسجم النّغمات.
- لا يقتصر التنغيم على الجانب الصوتي فحسب، بل يتعدّى إلى جوانب أخرى، منها الجانب الدلالي .
- يتحدّد التنغيم والنّبر فيزيائيا بثلاثة عوامل فيزيائية هي: التردّد الأساسي، والشدّة الصوتية، وعامل الزّمن، ويبقى التردّد الأساسي هو الصفة الفيزيائية الأساسية المحدّدة للملفوظ .

- التفات الدراسات الصوتية للقرآن الكريم إلى المظاهر التطريزية المتمثلة في: (المقطع والنّبر والتّنغيم والوقف والإيقاع) وتأثيرها الدلالي.
- تبيّن من خلال الرسم الطيفي تماثل وتجانس بين آيات الذكر الحكيم، وذلك من خلال هيئة الحزم الصوتية وتماثل الشدّة والدرجة وكذا التزمين.
- يمثل النبّر والتنغيم والوقف بعدا إعجازيا في الخطاب القرآني، إذ يفرق بين دلالة الآية الواحدة، فإنّ وقوع النبر والتنغيم والوقف على ألفاظ معينة يشكّل دلالة معيّنة، وإذا وقعت هذه الظواهر على كلمة أخرى من نفس الآية تغيرت الدلالة مما يتناسب والسياق.
- تبيّن من خلال الرسم الطيفي التجليات الفيزيائية لمختلف التمظهرات الصوتية، سواء أكانت منطوقة أم صامتة، تكشفت من خلال الفواصل البيضاء التي تتخلل الكتل السوداء الموضحة في الرسم الطيفي.
- ترتكز دلالة المعنى كثيرا على طريقة الأداء الصوتي، ومنه كانت دراسة الظواهر الصوتية حتمية ضرورية، تعصم قارئ القرآن من الوقوع في اللّبس، والانزياح عن المعنى المخصوص، لذلك وجب مراعاة هذه الظواهر دراسة وبحثا ومعرفة للوقوف عليها من أجل فهم كتاب الله تعالى .
- فاعلية برامج الذكاء الاصطناعي في خدمة القرآن الكريم، وزيادة مستوى الحفظ والفهم العميق لكتاب الله، من خلال ما تُتيحه هذه البرامج في خلق بيئة الكترونية ذات جودة وكفاءة وتقنيات عالية، ترمو إلى ترسيخ هذا الخطاب في الصدور والعقول بآليات متطورة.
- مكّنت برامج الذكاء الاصطناعي من ترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغات أخرى، خدمة لمن لا يتقنون اللغة العربية، وهي بذلك تسهّل عملية التبليغ

والدعوة لمن له أحقية الدعوة والإعلام، لإيصال ما لدى العرب من تفاسير وحديث وفقه وعلوم للقرآن.

- إنّ قراءة القرآن الكريم تستدعي من القارئ معرفة ضوابطه الأدائية، فيعِي متى يُرفع الصوت، ومتى يخفضه، وماهي مواضع ذلك، ومتى يحتاج لنبر وضغط، ومتى لا يحتاج، والإحاطة بحدود أحكام التجويد ومخارج الحروف إحاطة دقيقة سليمة النطق والأداء، وكلّ ذلك يؤدّي إلى إزالة اللحن والوقوف على الدلالة الصحيحة للآيات القرآنية.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

-أ-

﴿ قائمة المصادر والمراجع العربية ﴾

- ✓ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، مصر، (د، ط، ت).
- ✓ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1999.
- ✓ إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط8، 1992.
- ✓ إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 1965م.
- ✓ ابن الجزري، التمهيد في علم التجويد، تحقيق فرغلي سيد عرباوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971.
- ✓ ابن الجزري، محمد بن محمد بن علي بن يوسف، شرح متن الجزرية في معرفة تجويد الآيات القرآنية، شرح، عبد الفتاح القاضي، قصر الكتب، البليدة، (د، ط)، (د ت).
- ✓ ابن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، مراجعة محمد الشنقيطي وأحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1980.
- ✓ ابن النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق، الفهرست، ترجمة يوسف علي طويل وأحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ط)، 1997.

- ابن جني أبو الفتح عثمان، سر صناعة الإعراب، تحقيق محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 2000م.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان، سر صناعة الإعراب، تح محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط02، 2005.
- ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط04، (د.ت).
- ابن جني، سر صناعة الإعراب، تح محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط02، 2008.
- ابن خلدون، المقدمة، دار القلم، بيروت، ط05، 1984.
- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت.
- ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط02، 2007.
- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد السلامة، دار الطيبة، السعودية، 1999م.
- أبو إسحاق إبراهيم بن السّري الزجّاج، معاني القرآن وإعرابه، تح:عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1988م، ج4.
- أبو البقاء العكبري: التبيان في إعراب القرآن، تحقيق على محمد البجاوي، دار الجيل، ط2، بيروت، 1407هـ، ج2.
- أبو الخير محمد بن محمد بن الجزري، النشر في القراءات العشر، تح علي محمد الضباع، دار الكتاب العربي، دت، ج1.
- أبو الطيب اللغوي، عبد الواحد بن علي، مراتب النحويين، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، (د، ط)، 2002.

- ✓ أبو العلاء الحسن بن أحمدا لعطار، التمهيد في معرفة التجويد، تحقيق: د.غانم قدوري الحمد، دار عمان، عمان، ط1، 1420هـ – 2000م.
- ✓ أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر، بيروت، 1988م، ج14.
- ✓ أبو حيان، البحر المحيط، مطبعة السادة، القاهرة، ط1، 1328هـ، ج1.
- ✓ أبو زرعة عبد الرحمن، حجة القراءات، تح سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط5، 1997.
- ✓ أبو زكريا يحي شرف النووي، التبيان في آداب حملة القرآن، تح وتعليق محمد الحجار، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط4، 1416هـ، 1996م.
- ✓ أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، 2000م، ج13.
- ✓ أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، دار مأمون، تح، بدر الدين قهوجي وبشير حويجاتي، ط1.
- ✓ أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (437 هـ)، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تح مكتبة قرطبة للبحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، ط1، 2005.
- ✓ أبو مكي بن أبي طالب القيسي، التبصرة في القراءات االسبع، تح محمد غوث الندوي، مطبوعات الدار السلفية، الهند، ط2، 1982.
- ✓ أحمد أبو اليزيد على الغريب، التنغيم في إطار النظام النحوي، مجلة جامعة أم القرى للبحوث العلمية المحكمة، ع 14، 1996.

- ✓ أحمد البايبي، القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، دراسة لسانية في الصواتة الإيقاعية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2012، ج1.
- ✓ أحمد التواب الفيومي، أبحاث في علم أصوات اللغة العربية، مكتبة وهبة للطباعة و النشر، ط1،القاهرة 1991م.
- ✓ أحمد بن محمد البنا، اتحاف فضلاء البشر بالقراءات العشر، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1987، ج1.
- ✓ أحمد سلامة الجنادبة، نبر الاسم الجامد والمشتق – دراسة فيزيائية نطقية –، دار الجنان للنشر والتوزيع، عمان، 2016م، ط1.
- ✓ أحمد عبد الغني الدمياطي البناء، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، دار الندوة.
- ✓ أحمد علام عبد العزيز، ربيع محمود عبد الله، علم الصوتيات، مكتبة الرشد، الرياض، (د. ط)، 2009.
- ✓ أحمد محمود عبد السميع الشافعي، الوافي في كيفية ترتيل القرآن الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2000م، ط1.
- ✓ أحمد مختار عمر، البحث الصوتي عند العرب، عالم الكتب، ط2، القاهرة، 1976.
- ✓ أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، (د، ط)، 1997.
- ✓ الإمام الخطابي، أبو سليمان الخطابي، بيان في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح محمد خلف الله، د.محمد زغلول سلام، ط4، دار المعارف، مصر.
- ✓ أمجد عبد الرزاق كرجية، فيزياء الصوت والحركة الموجية، قسم الفيزياء، كلية التربية، جامعة الموصل، 2000، ط2.

- ✓ أمين محمد أحمد الشنقيطي، تحفيظ القرآن الكريم بالتكرار عبر التقنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، السعودية، ندوة القرآن الكريم والتقنيات المعاصرة (تقنية المعلومات).
- ✓ أنيس فريحة، اللهجات وأسلوب دراستها، دار الجيل، بيروت، ط1، 1989.
- ✓ بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 2006، ج1.
- ✓ بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت، لبنان، تح : يوسف عبد الرحمن المرعشلي وآخرون، 1410هـ، 1990م، ط1، ج1.
- ✓ البدراوي زهران، ظواهر قرآنية، في ضوء الدراسات اللغوية بين القدماء والمحدثين، دار المعارف للنشر، القاهرة، ط2، 1993م.
- ✓ تمام حسان، البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، القاهرة، (د، ط)، 1412، 1993.
- ✓ تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، المغرب، (د ط)، 1994.
- ✓ تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (د ط)، 1900.
- ✓ الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تعليق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، (د.ت).
- ✓ جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1988، ج4.
- ✓ حافظ إسماعيل علوي، امحمد الملاخ، قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، 2009، ط1.

- ✓ حسين محمد علي البومي، قاعدة بيانات معجمية دلالية لألفاظ القرآن الكريم وتطبيقاتها، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينه المنورة، السعودية، ندوة القرآن الكريم والتقنيات المعاصرة.
- ✓ خالد عبد الرحمن العك، تاريخ توثيق نص القرآن الكريم، دار الفكر، سورية، دمشق، 1986.
- ✓ خلدون أبو الهيجاء، فيزياء الصوت اللغوي ووضوحه السمعي، عالم الكتب الحديث، 2006، ط1.
- ✓ الداني أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان، التحديد في صنعة الاتقان والتجويد، تح : فرغلي غانم قدروي الحمد، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2000.
- ✓ الراجحي عبده، فصول في علم اللغة، دار المعرفة، الجامعة الاسكندرية، مصر، (د، ط، ت).
- ✓ الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، دت. الزبيدي (محمد بن الحسن أبو بكر): طبقات النحويين واللغويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1984م.
- ✓ الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة للطباعة والنشر، مصر ،(د.ط)، 1972م، ج4.
- ✓ الزمخشري، جار الله أبو القاسم، الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل، تح، عادل أحمد وعلي محمّد عوض، مكتبة العبيكان، الرياض، 1998، ط1، ج6.
- ✓ زين العابدين سليمان، تنغيم الجملة في اللغة العربية – دراسة أكوستيكية –، عالم الكتب الحديث، إربد، 2017، ط1.

- ✓ سعد عبد العزيز مصلوح، دراسة السمع والكلام، صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2000م.
- ✓ سيبويه، أبي بشر عمرو عثمان بن قنبر، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، ، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي، الرياض، ط2، 1982، ج04.
- ✓ سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، بيروت، لبنان، 1973.
- ✓ سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، بيروت، لبنان، 2002م.
- ✓ سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط36، 2007م.
- ✓ السيوطي (جلال الدين): الإتقان في علوم القرآن، الحلبي، القاهرة، ط3.
- ✓ الشاطبي، حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، سورية، تص محمد تميم الزعبي، ط4، 2004.
- ✓ شمس الدين أبو الخير محمد بن الجزري، التمهيد في علم التجويد، تح غانم قدوري الحمد، مؤسسة الرسالة، ط4، 1997.
- ✓ شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1968.
- ✓ صلاح الدين عبد التواب، الصورة الأدبية في القرآن الكريم، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، مصر، 1995.
- ✓ صلاح الدين محمد قناوي، التفكير الصوتي عند العرب بين الأصالة والتحديث، دار الفكر، دمشق، سوريا، (د ط)، 2008.
- ✓ عبد الجبار بن غريبة، مدخل إلى علم النحو العرفاني، (نظرية رونالد لانقاكر)، دار مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط01، 2010.
- ✓ عبد الحميد السّيد، دراسات في اللسانيات العربية، المشاكلة – التنغيم – رؤى تحليلية، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2004.
- ✓ عبد الرحمن أيوب، أصوات اللغة، مطبعة دار التأليف، القاهرة، ط1، 1963.

- ✓ عبد الصبور شاهين، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي " أبو عمرو العلاء "، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1987.
- ✓ عبد العزيز أحمد علام، من التزمين في نطق العربية الفصحى، دار البصائر، القاهرة، ط1، 2007.
- ✓ عبد الفتاح السيد عجمي المرصفي، هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، مكتبة طيبة، المدينة المنورة، ط2، دت.
- ✓ عبد الفتّاح عبد العليم البركاوي، مقدّمة في علم الأصوات، كلية اللغة العربية، القاهرة، ط3، 2004.
- ✓ عبد القادر الجليل، علم الصرف الصوتي، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1998.
- ✓ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تعليق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، (د ت).
- ✓ عبد الهادي الفضلي، القراءات القرآنية تاريخ وتعريف، مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، ط4، 2009.
- ✓ العبيدي فتحي، الجمع بالقراءات المتواترة، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2006.
- ✓ عشتار داود محمد، الإشارة الجمالية في المثل القرآني، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، سوريا، 2005.
- ✓ عصام نور الدين، علم وظائف الأصوات اللغوية، الفونولوجيا، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ط01، 1992.
- ✓ علي خليف حسين، منهج الدرس الصوتي عند العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971.

- ✓ عمر أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط3، 1995م.
- ✓ غازي مختار طليمات، في علم اللغة، مكتبة دار طلاس للنشر، دمشق، ط3، 2007م.
- ✓ غانم قدروي الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2، 2007 .
- ✓ غانم قدوري الحمد، علم التجويد – دراسة صوتية ميسّرة –، دار عمان للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1426هـ، 2005م.
- ✓ غانم قدوري الحمد، محاضرات في علوم القرآن، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2002.
- ✓ غانم قدوري الحمد، محاضرات في علوم القرآن، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 2003.
- ✓ فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1993.
- ✓ كريم زكي حسام الدين، الدلالة الصوتية، دراسة لغوية لدلالة الصوت ودوره في التواصل، مكتبة الأنجلو المصرية، ط01، 1992.
- ✓ كمال بشر، علم اللغة العام، الأصوات، دار المعارف، مصر، ط05، 1979.
- ✓ كمال بشر، فن الكلام، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د، ط)، 2002.
- ✓ لبيب السعيد، الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، (د.ت. ط).

- ✓ مبارك حنون، في التنظيم الإيقاعي للغة العربية، نموذج الوقف، دار الأمان، الرباط، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2010م.
- ✓ محمد الأنطاكي، المحيط في الأصوات العربية ونحوها وصرفها، دار الشروق العربي، بيروت، لبنان، (د ط ت).
- ✓ محمد العمري، تحليل الخطاب الشعري، البنية الصوتية في الشعر، الكثافة–الفضاء–التفاعل، الدار العالمية للكتاب للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط01، 1990.
- ✓ محمد بن أبي بكر المرعشي، جهد المقل، دراسة وتحقيق، سالم قدوري الحمد، دار عمار، عمان، ط2، 1429هـ، 2008م.
- ✓ محمد بن اسماعيل البخاري، كتاب فضائل القرآن، دار ابن كثير، دمشق، سورية، ط1، 2003، حديث رقم(4981).
- ✓ محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط3، 1980.
- ✓ محمد جواد النوري، علم الأصوات العربية، منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان، الأردن، 2007.
- ✓ محمد حسن جبل، المختصر في أصوات اللغة العربية، مكتبة الآداب، ط4، القاهرة، 1427هـ، 2006م.
- ✓ محمد حسن حسن جبل، المختصر في أصوات اللغة العربية، – دراسة نظرية وتطبيقة – مكتبة الآداب، القاهرة، ط5، 2006م.
- ✓ محمد حسين علي الصغير، الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، ط1، (د ت).

- ✓ محمد رشاد الحمراوي، المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1987م.
- ✓ محمد رفعت أحمد زنجير، مباحث في البلاغة وإعجاز القرآن الكريم، الكويت، ط1، 2007.
- ✓ محمد صادق قمحاوي، البرهان في تجويد القرآن، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط01، 1980.
- ✓ محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط10، 2009.
- ✓ محمد عبد الله درّاز، النبأ العظيم، دار القلم، الكويت، 1957.
- ✓ محمد عصام مفلح القضاة، الواضح في أحكام التجويد، دار النفائس، الأردن، (د ت ط).
- ✓ محمد علي الخولي، الأصوات اللغوية، دار الفلاح للنشر والتوزيع، ط2، 1992.
- ✓ محمد علي الشرقاوي، الذكاء الاصطناعي والشبكات العصبية، مركز الذكاء الاصطناعي للحاسبات، القاهرة (سلسلة علوم وتكنولوجيا حاسبات المستقبل)، (دت).
- ✓ محمد علي الصابوني، التبيان في علوم القرآن، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ط3، 1986.
- ✓ محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، 1402هـ 1981م، ط4.
- ✓ محمد كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، 2000م.
- ✓ محمد محمد العمري، الأسس الإبستمولوجية للنظرية اللسانية – البنيوية والتوليدية ، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط01، 2012.

- ✓ محمد مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، دار المسلم، الرياض، ط2، 1996.
- ✓ محمود خليل الحصري، أحكام قراءة القرآن الكريم، دار البشائر الإسلامية، (د ت ط).
- ✓ المرادي، المفيد في شرح عمدة المجيد في النظم والتجويد، تح علي حسين البواب، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، 1987.
- ✓ المرعشي، جهد المقل، تح سالم قدوري الحمد، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط02، 2008.
- ✓ مصطفى بوعناني، الصواتة المعرفية والمسارات الذهنية للإنجاز اللغوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2013م.
- ✓ مصطفى بوعناني، في الصوتيات العربية والغربية، أبعاد التصنيف الفونتيقي ونماذج التنظير الفونولوجي، علم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2010.
- ✓ مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، تح عبد الله المنشاوي، ط1، مكتبة الإيمان بالمنصورة، مصر، 1997.
- ✓ مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط9، 1973.
- ✓ نبيل بن محمد إبراهيم آل إسماعيل، علم القراءات نشأته – أطواره – أثره في العلوم الشرعية، مكتبة التوبة، الرياض، السعودية، ط01، 2000.
- ✓ نذير حمدان، الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، دار المنابرة، جدّة، السعودية، ط1، 1991.
- ✓ نشأة محمد رضا ظبيان، علوم اللغة العربية في الآيات المعجزات، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1997.

- ✓ النكت في إعجاز القرآن، للرماني، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح محمد خلف الله أحمد، د. زغلول محمد سلام، ط4، دار المعارف، مصر.
- ✓ نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، جامعة الشارقة، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، (د، ط).

-ب-

﴿ قائمة المصادر والمراجع المترجمة ﴾

- ✓ آلان بونيه، الذكاء الاصطناعي واقعه ومستقبله، ترجمة علي صبري فرغلي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1993.
- ✓ أندري مارتينيه، مبادئ اللسانيات العامة، ترجمة أحمد الحلو، المطبعة الجديدة، دمشق، 1985.
- ✓ برتيل مالمبرج، علم الأصوات، تر: عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، مصر، (د، ط)، 1984.
- ✓ جرهارد هلبش، تاريخ علم اللغة الحديث، تر سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، 2003، ط1.
- ✓ سيرل جون، العقل واللغة والمجتمع، تر : سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2006م.
- ✓ فردينان دو سوسر، محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة يوسف غازي، مجيد النصر، دار نعمان للثقافة، لبنان.
- ✓ فيلش هنري، العربية الفصحى دراسة في البناء اللغوي، تر: عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، مصر، (د ط)، 1997.

- ✓ كارل بروكلمان، فقه اللغات السامية، تر د. رمضان عبد التوّاب، مطبوعات جامعة رياض، (د ط ت).
- ✓ ماريو باي، أسس علم اللغة، تر: أحمد مختار عمر، جامعة طرابلس، طرابلس، (د، ط)، 1973.
- ✓ مالك بن نبي: الظاهرة القرآنية، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط4، 1987م.
- ✓ ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني، ترجمة سعد عبد العزيز مصلوح، وفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، ط02، 2000.

-ج-

﴿ قائمة المصادر والمراجع الأجنبية ﴾

- ✓ *L'ccenten francais: accent probaliture: in l'accent en francais contemprorain: fonagy ;studia phonetica: montreal ; paris: 1980*

Leech ,N (1979) , linguistique guide to english poetry , impression , london .

-د-

﴿ قائمة الدوريات والمجلات ﴾

- ✓ بن شيحة نصيرة، الانموذج الصوتي العربي ومسارات التحول من حيز الذكاء الفطري إلى رحاب الذكاء الاصطناعي، أعمال الملتقى الوطني " اللغة العربية وبرامج الذكاء الاصطناعي – الواقع والرهانات – جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية 2020.
- ✓ بن شيحة نصيرة، البعد التأويلي للمفارقة النغمية في الخطاب القرآني (مقاربة إجرائية صوتية)، مجلة مطارحات، المركز الجامعي، أحمد زبانة، ع:05، ديسمبر 2016م.
- ✓ حمدان رضوان أبو العاصي، الأداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى، مجلة الجامعة الإسلامية، سلسلة الدراسات الإنسانية، المجلد السابع عشر، ع: الثاني، يونيو 2009.
- ✓ خليل إبراهيم الحماش، دراسة مقارنة للنواحي الصوتية في كتاب العين والنظرية الحديثة في علم الأصوات، مجلة كلية الآداب، مطبعة المعارف، بغداد، العراق، ع16، 1973.
- ✓ سامي عوض، وصلاح الدين سعيد حسين، التغيرات الصوتية وقوانينها: – المفهوم والمصطلح – مجلة جامعة – تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سورية، اللاذقية، مجلد 31 – العدد : 2009– .
- ✓ سمير استيتية، منهج التحليل اللغوي في النقد الأدبي، مجلة التراث العربي، دمشق، ع: 15 يناير 1985.
- ✓ عبد الحق العبادي، دور الذكاء الاصطناعي " في خدمة اللغة العربية، والقرآن الكريم من خلال المعاجم، والمواقع الإلكترونية، أعمال الملتقى الوطني " اللغة العربية وبرامج الذكاء الاصطناعي – الواقع والرهانات – جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية 2020.

- ✓ عليان بن محمد الحازمي، التنغيم في التراث العربي، مجلة العلوم الشرعية واللغة العربية وآدابها، جامعة أم القرى، العدد: 05، كانون الثاني 2007م.
- ✓ كمال أبو ديب، جماليات الخروج والانقطاع، مجلة دراسات لسانية سيميائية، الدار البيضاء، ع: 22، 1999م.
- ✓ محمد زكي خضر، الذكاء الاصطناعي في خدمة القرآن الكريم، الجامعة الأردنية، المجلة الدولية للتطبيقات الإسلامية في علم الحاسب والتقنية، المجلد 2، العدد 1مارس.
- ✓ محمود النّوادي، الذكاء الإنساني والاصطناعي في ضوء القرآن الكريم، مجلة الكلمة ،ع 26، 2000م.
- ✓ مزاحم مطر حسين، أثر التنغيم في توجيه الأغراض البلاغية لعلم المعاني "الاستفهام أنموذجا"، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العددان (3 –)، المجلد 2، بغداد، 2007م.
- ✓ الملامح التطريزية في الدراسات النحوية والصرفية القديمة ونظرية تكامل العلوم، مجلة آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، مارس 2012، ع: 21.

–هـ–

﴿المعاجم والموسوعات﴾

- ✓ الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، المطبعة الخيرية، مصر، 1306هـ، ج14.
- ✓ ابن منظور جمال الدين، لسان العرب، تح عامر أحمد حيدر عبد المنعم خليل إبراهيم، دار المكتوب العلمية المصرية، بيروت، لبنان، ط1، مج5.
- ✓ ابن منظور جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1990.

- ✓ إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح في اللغة والعلوم، تقديم العلامة الشيخ عبد الله العلاّلي، إعداد وتصنيف: نديم مرعشلي، وأسامة مرعشلي، دار الحضارة العربية، بيروت، المجلد: 02.
- ✓ الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، ج01.
- ✓ الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح علي الهلالي، الكويت، 1966، ج1.
- ✓ سامي عياد – كريم زكي حسام الدين – نجيب جريس، معجم اللسانيات الحديثة (انجليزي، عربي)، مكتبة لبنان، 1997، ط1.
- ✓ محمد التونجي، راجي الأحمر، المعجم المفصل في علم اللغة، – الألسنيات –دار الكتب العلمية، بيروت، 1993.

–و–

﴿ المذكرات والرسائل الأكاديمية ﴾

- ✓ ابتسام حسين جميل، التحليل النطقي والأكوستيكي للحركات وللانتقال بينها وبين الوقفيات في العربية، رسالة ماجيستر، جامعة اليرموك، الأردن، 1994.
- ✓ إبراهيم عواد إبراهيم، السمرقندي، روح المريد في شرح العقد الفريد في علم التجويد، تح: إبراهيم عواد إبراهيم، رسالة ماجيستر، جامعة صدام للعلوم الإسلامية، بغداد (د، ط)، 1990م
- ✓ ابراهيمي بوداود، فيزياء الحركات العربية بين تقديرات القدامى وقياسات المحدثين، رسالة دكتوراه، جامعة السانيا، وهران، كلية الآداب واللغات، 2011/2012.

- ✓ بسّام مصباح أغبر، الفونيم وتجلّياته في القرآن الكريم، رسالة ماجيستر، جامعة النّجاح الوطنية، نابلس، 2014.
- ✓ حسام محمد عزمي العفوري، النّبر في العربية – دراسة نطقية فيزيائية –، شهادة ماجيستر، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، تاريخ 2006-12-7م، 17 ذو القعدة 1427هـ.
- ✓ رشيد بودالية، دلالة الظواهر فوق المقطعية، في توجيه الخطاب القرآني، جامعة أحمد بن بلة، وهران، أطروحة دكتوراه، 2016م.
- ✓ عبير نواف بني مصطفى، التحليل النطقي والأكوستيكي للظواهر الصوتية في القراءات الشاذة، رسالة دكتوراه، إشراف سمير شريف استيتية، جامعة اليرموك، الأردن، 2003.

-ز-

﴿ المواقع الالكترونية ﴾

www.moe.edu.qa/arabic/magazines/tarbawya/art2.shtml.

https://mawdoo3.com

www.psy-cognitive.net

cantineau *;etudeslinguistiqearabe.*

http://kalema.net/home/article/list/38/1

https://mawdoo3.com/%D8%A7%D9%84%D8%B0%D9%83%D8%A7%D8%A1_%D9%81%D9%8A_%D8%B9%D9%84%D9%85_%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%81%D8%B3

فهرس الموضوعات

الفهرس الصفحة

إهداء.

- شكر.

مقدّمة:..... أ – ي

مدخل:

المقولات المركزية للإعجاز القرآني بين الدرس اللغوي القديم والحديث

1–تعريف الإعجاز لغة واصطلاحا..... 06

2–إعجاز القرآن الكريم بين المنظور البلاغي القديم والحديث..... 07

2–1–ملامح الإعجاز اللغوي القرآني من المنظور البلاغي القديم..... 07

2–1–1– الرماني ونظريته في الإعجاز..... 07

2–1–2 – وجه الإعجاز من منظور الإمام الخطابي..... 09

2–1–3– عبد القاهر الجرجاني والنظم..... 10

2–2–ملامح الإعجاز اللغوي القرآني من منظور المحدثين..... 12

3–الإعجاز القرآني ومقولة التصور الفني والبياني..... 19

الفصل الأول:

مقتضيات التنظير الفونيتيكي للبنية الصوتية في الخطاب القرآني

تمهيد 26

1–معالم المقاربة الفونيتيكية للخطاب القرآني..... 27

1–1–المجال التصوري للنظرية الفونيتيكية في التراث اللغوي العربي..... 28

1-1-1-السياق التمهيدي للدراسات الصوتية العربية..... 28
1-1-2-السياق التمهيدي للدراسات الصوتية مع أبي الأسود الدؤلي..... 30
1-1-3-السياق التمهيدي للدراسات الصوتية مع الخليل بن أحمد الفراهيدي..... 31
1-1-4-السياق التأسيسي للدراسات الصوتية مع سيبويه..... 37
أ-تصنيف مخارج الحروف من منظور سيبويه..... 40
ب- تصنيف صفات الحروف من منظور سيبويه..... 41
1-1-5-طبيعة المقاربة الصوتية لدى ابن جني..... 43
أ-تصنيف مخارج الحروف من منظور ابن جني..... 45
ب- تصنيف صفات الحروف من منظور ابن جني..... 46
1-2-روافد النظرية الصوتية العربية في ظل القراءات القرآنية..... 48
1-2-4-1-مفاهيم عامة حول القراءات القرآنية..... 48
1-2-4-2- مفهوم القراءة القرآنية..... 51
أ- المفهوم اللغوي..... 51
ب- المفهوم الاصطلاحي..... 53
1-2-4-3- الفرق بين علم القراءات وعلم التجويد..... 54
2-الأسس الإجرائية لصوتيات الخطاب القرآني..... 56
2-1-معالم الدراسة الصوتية لدى علماء التجويد والقراءات..... 57
2-1-1-في فضل علم التجويد والتلاوة..... 57
2-1-2-الإطار المعرفي لعلم التجويد..... 59
2-1-3-مقتضيات التنظير الفونيتيكي من منظور علماء التجويد..... 61

2-1-3-1-تصنيف صفات الحروف من منظور علماء التجويد..... 66
2-1-3-2-التغيرات الصوتية في أداء بعض القراءات القرآنية..... 73
- تسهيل الهمزة وتخفيفها..... 73
- اختلاس الحركة..... 77
- قانون المماثلة الصوتي..... 81

الفصل الثاني :

نماذج التنظير الفونولوجي للخطاب القرآني بين التوجه النسقي والصواتة التطريزية

تمهيد..... 87
1- المرجعية اللسانية للنظرية الفونولوجية النسقية..... 87
1-1-السياق اللساني للنظرية الفونولوجية النسقية..... 88
1-2-إجرائية المقاربة الفونولوجية النسقية..... 92
1-2-1-إجرائية التعارض الفونيتيقي..... 92
1-2-2-إجرائية التقطيع المزدوج..... 97
1-3-حدود الاستمداد من النظرية الفونولوجية النسقية للتحليل الوظيفي للصوت في الخطاب القرآني..... 98
2-المرجعية اللسانية للتصور الفونولوجي التطريزي..... 107
2-1-المقولات المركزية للصواتة التطريزية..... 109
2-2-الفونيمات التطريزية وملامح الإعمال الفونولوجي..... 111
2-3-تجليات النظرية الفونولوجية التطريزية في الممارسات الصوتية القرآنية..... 113
2-4-الظواهر التطريزية لدى القدماء..... 115
2-4-1-تجليات الظواهر التطريزية في كتب الموسيقى والخطابة والتجويد..... 117

3-الملامح الوظيفية للفونيمات التطريزية في الخطاب القرآني..... 123
3-1-الملامح الوظيفية للنبر..... 123
أ- المفهوم اللغوي للنبر..... 123
ب- المفهوم الاصطلاحي..... 124
3-2- أنواع النبر..... 125
3-2-1-نبر الكلمة أو (الصيغة) ***word stress***..... 125
أ-النبر الرئيسي ***primary stress***..... 125
ب-النبر الثانوي ***secondary stress***..... 125
3-2-2-نبر الجملة أو السياق ***sentence stress***..... 126
3-3-المظاهر الأدائية للنبر في القراءات القرآنية..... 128
أ- الهمزة..... 128
ب-مد الحركات..... 129
ت-التضعيف..... 129
3-4- الملامح الوظيفية للنبر في الخطاب القرآني..... 129
3-4-1- الوظيفة الصوتية..... 129
3-4-2- الوظيفة الصرفية..... 130
3-4-3- الوظيفة الدلالية..... 132
3-4-4- الوظيفة التعبيرية..... 132
3-5- مفهوم التنغيم..... 134
أ- التعريف اللغوي للتنغيم..... 134
ب- التعريف الاصطلاحي للتنغيم..... 135

3-6- درجات التنغيم..... 137
1- النغمة الهابطة..... 137
2- النغمة الصاعدة..... 138
3- النغمة المستوية (العادية)..... 139
3-7- الملامح الوظيفية للتنغيم في الخطاب القرآني..... 140
3-7-1- الوظيفة الصوتية (الأدائية) للتنغيم..... 140
3-7-2- وظيفة التنغيم الانفعالية..... 141
3-7-3- وظيفة التنغيم الجمالية..... 145
3-7-4- وظيفة التنغيم التركيبية..... 146
3-8- المفارقة النغمية ودورها في الخطاب القرآني..... 148

الفصل الثالث:

طبيعة المقاربة الصوتية للخطاب القرآني في رحاب الذكاء الاصطناعي

تمهيد 156
1-روافد المقاربة الصوتية العربية بين الذكاء الفطري والذكاء الاصطناعي..... 158
1-1-طبيعة الإفراز النظري في ظل الذكاء الفطري..... 158
1-1-1-سمات المقاربة الصوتية الخليلية في ظل الذكاء الفطري..... 159
1-1-2-سمات المقاربة الصوتية لدى سيبويه في ظل الذكاء الفطري..... 162
1-1-3-سمات المقاربة الصوتية لدى ابن جني في ظل الذكاء الفطري..... 163
1-2-طبيعة المقاربة الصوتية العربية في ظل برامج الذكاء الاصطناعي..... 165
1-2-1-التأصيل الدلالي لمصطلح الذكاء ومسارات تحوله..... 165
2-الذكاء الاصطناعي ونماذج المقاربة الصوتية للخطاب القرآني..... 168

3-دور التقنية المخبرية في تحليل الفونيمات فوق تركيبية في الخطاب القرآني..... 178
3-1-المجال النظري للمقاربة الصوتية المخبرية..... 178
3-1-1-علم الأصوات الفيزيائي / الأكوستيكي..... 178
3-1-2-1- الملامح الأكوستيكية للصوت اللغوي..... 182
أ-الموجة الصوتية..... 182
ب- التردد..... 183
ت- السعة 184
ث- العلو..... 184
ج- درجة الصوت..... 185
ح- طابع الصوت (نوعه) 185
خ- شدة الصوت 186
د- الزمن 187
3-2-فاعلية الأجهزة الطيفية في استقراء المقاطع الصوتية..... 188
4-المقاربة المخبرية للفونيمات فوق تركيبية في الخطاب القرآني—قراءة في بعض النماذج- 188
4-1-أساسيات الدراسة..... 188
4-2-نماذج مختارة 189
4-3-خطوات العمل..... 191
4-5-تحليل المعطيات واستخلاص القيم الرقمية من الرسم الطيفي..... 191
4-1-1-قراءة تحليلية للتنغيم..... 191
4-1-2-قراءة تحليلية للنبر..... 204
التطبيق الفيزيائي لظاهرتي النبر بنوعيه على مستوى المقطع والجملة..... 206

4-1-3-قراءة تحليلية للوقف..... **214**
4-1-4-قراءة تحليلية للمد..... **220**
خاتمة..... **227**
قائمة المصادر والمراجع..... **232**
فهرس الموضوعات..... **250**

الملخص :

تتعرض الدراسة إلى سؤال الإعجاز القرآني بوصفه عتبة بلاغية وسمت للخطاب القرآني، بوصفه أنموذجا مُتعاليا انمازَ بِخِصّيصةِ التفرّد في كلّ مستوياته اللسانية بدءا بالمستوى الصوتي وصولا إلى الأساليب التعبيرية في مَرَاقّها العليا، التي جلّتها مظاهر العدُول والانزياح عبر خطّية التبليغ والإخبار وعبر محور حُسن التأليف والاختيار.

وعبر هذا المقترب من الحقيقة، كان الاشتغال في منجزنا على المظاهر الإعجازية التي أدّتها البُنى الصوتية وظيفيا، وذلك بالارتهان إلى جملة الإجراءات الحداثية التي نهلت من مقتضيات الحقل الفونولوجي قصد الوصول إلى إجلاء التشكلات الصوتية لبنية الخطاب القرآني في ظل أطروحات السند الإعجازي.

الكلمات المفتاحية : التشكلات الصوتية – البنية – الخطاب القرآني – الإعجاز.

Sommaire:

L'étude traite la question du miracle coranique en tant que seuil rhétorique caractérisant le discours coranique, car il s'agit d'un modèle transcendant distingué par l'aspect d'unicité à tous ses niveaux linguistiques, commençant par le niveau linguistique et arrivant aux méthodes expressives du haut niveau, qui se manifestaient par le biais des aspects de déviation et de déplacement à travers la linéarité de transmission et d'information et via l'axe de la bonne composition et de bon choix.

En se rapprochant de la vérité, notre travail s'est intéressé aux aspects miraculeux que les structures phonémiques exécutaient fonctionnellement, en dépendant de l'ensemble des procédures modernistes qui se nourrissaient du champ phonologique pour parvenir à montrer les formations phonologiques de la structure du discours coranique à la lumière des théories du support miraculeux.

Mots clés: formation phonologique - structure - discours coranique - miracles.

Abstract :

The study deals with the question of the Quranic inimitability as a rhetorical threshold characterizing Quranic discourse, as it is a transcendent model distinguished by the aspect of uniqueness at all its linguistic levels, ranging from the linguistic level to high-level expressive methods, which manifested in aspects of deflection and displacement via linearity of transmission and information and through the axis of right composition and right choice.

By approaching the truth, our work was interested in the inimitability aspects that the phonemic structures performed functionally, depending on the set of modernist procedures which fed on the phonological field to succeed in showing the phonological formations of the structure of Quranic dicourse in the light of the theories of the inimitability's support.

Keywords: phonological formation - structure - Quranic discourse - inimitability.